المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد السادس والعشرون
محرم ١٤٣٤ هـ
نوفمبر ٢٠١٢ م

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

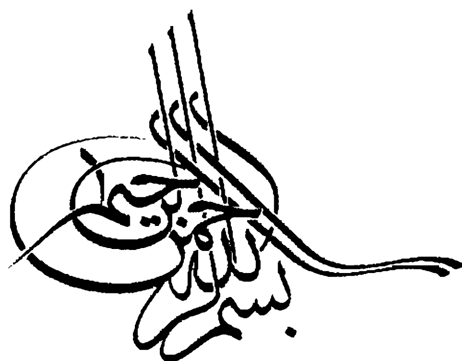
العدد السادس والعشرون

محرم ١٤٣٤هـ

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ ـ ١٦٥٨



أعضاء هيئة التحرير

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A ٤) .

٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً : يُعطى الباحث عشر نسخ من المجلة، وعشرين مستلة من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

ظاهرة الجمود النحوي والصرفي في العربية

د. إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم المطرودي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة ـ كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ظاهرة الجمود النحوي والصرفي في العربية

د. إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم المطرودي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

في التراث النحوي للغتنا العربية ظواهر، تفرّقت في الأبواب، وتناثرت في بطون الكتب، وحالها هذه، كانت ثمرة من ثمار النمط التأليفي، الذي كان سائدا على أيدي الأسلاف، ومُوجّها لجهودهم في بنيان هيكل العربية، وحفظ قوانينها، وكان حريّا بمثلي حين يرى أطراف هذه الظاهرة مُوَزّعة، أن يبذل جهده في جمعها، ولملمة أطرافها، وذا - بحمد الله - ما كان.

وهذه الظاهرة حقيقةٌ أن تُدرس، لأنها تُبرز جانب القصور في اللفظ عن أمثاله، سواء كان قصرانه عن غيره في العمل، أوفي الحركة داخل التركيب اللغوي، فالجمود وصف، ينضوي تحته العامل، والمعمول، فكلاهما أخذ من الجمود بنصيب.

وهي جديرة بالدراسة، لأنها تُشكل الخروج عن الأصل، فالأصل في العربية، عاملا ومعمولا، التصرف وعدم الجمود، فيضحي تبيان هذا الخروج، وإيضاحه، وجمع متفرقاته، تتميما لصورة العربية، وتسهيلا على متعلمها.

المقدمة

إن الحمد لله - تعالى - أحمده وأستغفره وأستهديه، وأصلي على محمد عبده ورسوله، وبعد:

فلو أراد المرء أن ينظر إلى العربية نثرها وشعرها من خلال مصطلح الجمود والتصرف، لكان في مقدوره ذلك. ففي الشعر يكون الجمود في المفردات والتراكيب أقل، لغة الشعر وتراكيبه أكثر انديادا وأوسع مجالا، للشاعر - حسب رأي جماهير النحويين - ما ليس للناثر. فالجمود نصيب الشعر منه أقل، ودائرته فيه أضيق.

ولم يزل الجمود في العربية يبعث في نفسي التساؤلات حتى رأيت أن في دراسته جديدا، يجمل بمثلي تناوله وجمع أطرافه. وكان مما أثاره في ذهني من الأسئلة ما يلي:

أكان للجمود الصرفي والنحوي مفهوم معالمه جليّة؟ ثم ما المقصود بالجامد الصرفي؟ المراد منه ما لم يُشتق أم ما لم يُشتق منه؟ ثم ما بال النحويين يربطون بين الرفع والجمود النحوي، فما جاء مرفوعا، لم يعدوه جامدا، مع أنّ من المرفوعات ما لزم حالة الرفع؟ ثم ما أثر الجمود الصرفي في العامل على الجملة العربية؟ ثم هل وقع خلاف بين قبائل العرب أو بين النحويين في مسائل الجمود صرفية أو نحوية؟

تلك كانت أهم أسئلة البحث - وإن صاحبها غيرها - التي خطّت فصوله وحواشيه، وسعى صاحبه - ما أسعفه الوسع وواتته الطاقة - إلى تقديم أجوبتها عبر فصوله الثلاثة، أولها الجمود في العامل النحوي وأثره، وثانيها أنواع الجمود في المعمول، وآخرها قضايا في ظاهرة الجمود، وترأس هذه الفصول تمهيد ومقدمة، وأعقبها خاتمة صيغت فيها أعز نتائج البحث.

ولم ألقَ في رحلة البحث صعوبات غير مألوفة لكل من طرق أبواب البحث والنظر، وتلك أمور أضحت مألوفة غير مستراب منها، ولله وافي الحمد على ما طيّع لي من أمر هذا البحث، وسهّل من حزنه، وأسأله - وهو الكريم - أن يكتب لقرائه نفعا، أنتظر في الأخرى أجره.

التمهيد

مفهوم الجمود الصرفي

الجمود الصرفي مصطلح اشتهر شهرة واسعة، وتعلّق في أذهان دارسي العربية وطلابهم بالاشتقاق، وكان مداره على مفهومين، أولهما:

ما لا يُشتق منه

فالذي لا يشتق منه جامد، لا يتصرف، وما يُشتق منه متصرف غير جامد، وللنظر في هذا المفهوم آثرت عرض بعض نصوص النحويين حتى أتلمس بعد ذلك صدق هذا المفهوم وشموله، فكان من هذا قول ابن السراج في حديثه عن "نعم وبئس": "وهما يُشبهان التعجب في المعنى، وترك التصرف"[1] وكذا قول ابن عصفور "وأفعال هذا الباب كلها تتصرف، فيستعمل منها الماضي والمستقبل والأمر واسم الفاعل، إلا "ليس وما دام وقعد وجاء""[2] ومثل قوله ما قاله ابن مالك: "وما سوى "ليس ودام" من أفعال هذا الباب يتصرف، أي يستعمل منه ماض ومضارع وأمر واسم فاعل ومصدر"[3] ومثل ما سلف حديث ابن هشام حين قال عن "نعم وبئس": "وهما فعلان... جامدان.."[4].

ورد في الأقوال الآنفة نقلان، أحدهما لابن السراج والآخر لابن هشام، وكلا النقلين يدوران حول شيء واحد، هو "نعم وبئس"، ومع كل ذلك تحدّث النحويان عن ظاهرة واحدة بمصطلحين مختلفين، الأول استعمل مصطلح "ترك التصرف"، والآخر استنجد بمصطلح "الجمود" الذي كان عنوان هذا المبحث.

---

(١) الأصول ١/ ١١١ ومثله قول ابن برهان في شرح اللمع ٢/ ٤١١: "باب الأفعال التي لا تتصرف".

(٢) شرح ابن عصفور ١/ ٣٨٢ وشبيه بهذا قوله عن "نعم وبئس" ١/ ٥٩٨: "والذاهبون إلى أنهما اسمان استدلوا على صحة مذهبهم بكونهما لا مصدر لهما، وبكونهما لا يتصرفان...".

(٣) شرح التسهيل ١/ ٣٤٣ توحي عبارة ابن مالك أنه يميل إلى أن المصدر يؤخذ من الفعل، وهو في هذا كالكوفيين، ومثله قوله عن "نعم وبئس" ٢/ د: "بل فعلان لا يتصرفان".

(٤) أوضح المسالك ١/ ٢٧٠ وانظر التصريح على التوضيح ٢/ ٩٤ حتى يبين لك أن قول ابن هشام: "جامدان" يقصد به رأي البصريين فيهما وليس رأي الكوفيين.

وأما في النقلين الآخرين، فكان الحديث فيهما عن أخوات "كان"، ووظّف النحويان مصطلحا واحدا، وهو عدم التصرف.

وتلك النقول الأربعة كلها تدور حول مفهوم واحد تقريبا، هو أن الجامد لفظ لا يُشتق منه، وذا المعنى ظاهر في قولي ابن عصفور وابن مالك، فبعض أخوات "كان" لا يستعمل منها المضارع والأمر واسم الفاعل.

وذا المعنى في الجمود الصرفي ظاهر، لكن ليس الجمود مقصورا عليه، ولعل الإشارة إلى المصدر تومئ إلى شيء من ذلك، فالمصدر يعدّه النحويون البصريون جامدا[1]، مع أنّه عندهم أصل المشتقات، فكيف يصفه البصريون بالجمود لو كان مفهوم الجمود هو ما لا يشتق منه فقط؟

ويُشكل على هذا المفهوم أيضا تلك الأفعال الجامدة كـ:نعم وبئس، وعسى، وليس، وذلك أن هذه الأفعال لو كان لها مضارع وأمر لم يكن مشتقا منها على رأي البصرة، إذ الأفعال عندهم جميعا مأخوذة من المصدر، يقول سيبويه عن الأفعال: "أُخذت من لفظ أحداث الأسماء"[2]، فكيف يُحكم على أفعال لا يُشتق منها أصلا بالجمود؟

ويشكل عليه الوصف أيا كان، إذ هو مأخوذ من الفعل . كما في المنقول عن السيرافي في الهامش السابق . ولا يؤخذ منه شيء[3]، فكان من المظنون أن يدخل الوصف في الجامد؛ لأنه لا يُشتق منه، هذا هو المفهوم الأول، وأما الثاني فهو: ما لا يُشتق

---

(1) أوضح المسالك ٢/ ٣٠٥ . ٣٠٨ حيث جاء المصدر حالا مؤولا بالمشتق وكذا في ٣/ ٣١٢ في مجيء المصدر نعتا بالتأويل.

(2) الكتاب ١/ ١٢ ويؤكد الأمر السيرافي في شرح الكتاب ١/ ١٦ قائلا: "يعني أن هذه الأبنية المختلفة أخذت من المصادر التي تحدثها الأسماء..." ويقول في ١/ ٤٤٤: "وذلك أن الفعل متوسط بين المصدر واسم الفاعل؛ لأنه مأخوذ من المصدر، واسم الفاعل مأخوذ منه" وانظر الإنصاف ١/ ٢٣٥ ففيه الخلاف في أصل الاشتقاق وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٦٠ فيه: "والمصدر أصلٌ في باب التصرف والاشتقاق، إذ جميع أنواع الأفعال والأسماء المتصلة بها صادرة عنه على الصحيح".

(3) في شرح الرضي للكافية ت المصري ١/ ٧٢١ قوله: "قوله: "ما اشتُقّ من فعل" أي: مصدر، وذلك على ما تقدم أن سيبويه سمّى المصدر فعلا وحدثا وحدثانا، والدليل على أنه لم يرد بالفعل نحو: ضَرَبَ، ويضرب،

ويرد مفهوم آخر للجمود الصرفي غير الأول، له صلة بالاشتقاق، يكون الجامد فيه غير المشتق، ومن أمثلته قول ابن عصفور عن الخبر: "فإن كان غير مشتق لم يتحمل ضميرا نحو: هذا زيد، وأخوك عمرو، ... ليس فيهما ضمير، لأنهما ليسا مشتقين"[1].

ينضوي تحت هذا المفهوم المصدر في رأي البصرة والفعلُ في رأي الكوفة[2] ويشكل عليه أولا الأعلام المشتقة كـ:محمد، وخالد، يقول ابن عصفور: "وأما العلم فلم ينعت به، لأنه ليس بمشتق، ولا في حكمه، لأن العلمية تُذهب منه معنى المشتق، وإن كان لفظه مشتقا"[3]. ويزعج هذا المفهوم أيضا تلك الأفعال التي وُصفت بالجمود وعدم التصرف، وهي عند البصرة مشتقة من المصادر.

وعلى كل حال فثمة أشياء يصدق عليها المفهومان كلاهما؛ كالضمائر والحروف وأسماء الشرط والاستفهام والظروف، فهذه جميعا لا يُشتق منها[4]، وليست بمشتقة.

إنّ هذين المفهومين اللذين ذكرتهما، وهما مما يسبق إلى ذهن قارئ النحو، ويستروح له بعض معلميه، يقلّ أحدهما ويكثر الآخر. والذي دعا إلى شيوع هذين المفهومين ـ مع ما بينهما من اختلاف ـ أنّ النحويين تركوا تحديد المصطلح والحديث عنه، فلم يخصوه بحديث مستقل، وإنما كان يأتي عرضا هنا وهناك. لقد كانوا يتحدثون عن الجامد، وليس عن الجمود، يعرضون لأفراد الجمود دون محاولة وضع مفهوم كلي له، فكان لزاما على باحث مثلي أن يتلّمس ما استطاع تلك المواضع، ثم يبني عليها ما يميل إلى أنه المفهوم الصرفي للجمود عند النحويين.

وإن كان مذهب السيرافي أن اسم الفاعل واسم المفعول مشتقان من الفعل، والفعل مشتق من المصدر...".

(1) شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٥٠

(2) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١/ ١٦ والإنصاف ١/ ٢٣٥

(3) شرح الجمل ابن عصفور ١/ ٢١٧

(4) ذكر ابن جني في الخصائص ٢/ ٢٧ أن الحرف تُشتق منه بعض الأفعال؛ لكن هذا خلاف الأصل، إذ الأصل في الاشتقاق المصدر عند البصرة، والفعل عند الكوفة.

وحيال هذا التنوع في مفهوم الجمود رأيت أن أتجه إلى الجمع بين هذين المفهومين وغيرهما في هذا البحث، فكان ذلك توسيعا لمفهومه المشتهر، فدخل في الجمود الصرفي هذان وغيرهما، وبهذا يكون قول ابن مالك عن الضمير: "والمراد بالجمود عدم التصرف في لفظه بوجه من الوجوه، حتى بالتصغير، وبأن يوصف أو يوصف به، وبأن يُبنى منه مفعلة دالا على الكثرة..."[1] جزءا من مفهوم الجمود، وليس الجمود كله، فالجمود الصرفي قد يكون - كما قال ابن مالك - كليا[2]، وقد يكون جزئيا، ومن شواهد الجمود الجزئي قول سيبويه: "واعلم أن علامات الإضمار لا يُحقرن"[3] فعدم قبول الاسم للتصغير من الجمود، وقريب منه قول سيبويه عن "غير": "و(غير) أيضا ليس باسم متمكن، ألا ترى أنها لا تكون إلا نكرة، ولا تُجمع، ولا تدخلها الألف واللام"[4] فعدم جمع اللفظ مظهر من مظاهر الجمود، ومن أمثلة الجمود الجزئي جمود "ما زال"[5] وأخواته التي لا يُستعمل منها الأمر، ومنه أيضا "كاد" التي لا يُستعمل منها اسم فاعل ولا فعل أمر[6]، ولعلي بهذا أكون أوضحت مفهوم الجمود الصرفي الذي اتُّخذ في هذه الدراسة، فهو نقص اللفظ في تصرّفه عن غالب جنسه، ولعل هذا المفهوم بعمومه أقرب إلى مراد النحويين، وهو واقع - كما سيأتي - في العامل والمعمول.

---

(1) شرح التسهيل ١/ ١٦٧

(2) أشار ابن مالك إلى الجمود المحض، لكنه أومأ إليه في الحديث عن قضية نحوية لا صرفية في ٢/ ٢٣٩ حين حديثه عن "مع" قائلا: "والمراد بالجمود المحض ملازمة وجه واحد من الاستعمال...".

(3) الكتاب ٣/ ٣/ ٤٧٨ أردت من المثال قضية التحقير، فكل لفظ لا يحقر فيه شيء من الجمود، ولم أرد أنّ الضمير جموده جزئي فقد صرّح ابن مالك في المنقول عنه في المتن بجموده الكلي.

(4) الكتاب ٣/ ٤٧٩ وللمزيد قال سيبويه ٣/ ٤٨٠: "واعلم أنك لا تحقر الاسم إذا كان بمنزلة الفعل، ألا ترى أنه قبيح: هو ضويرب زيدا..".

(5) شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٨٩

(6) شرح التسهيل ١/ ٣٣٩ وانظر ١/ ٣٨٩ ففيها حديث عن "كاد" لكن دون تصريح بما لا يُستعمل منها.

مفهوم الجمود النحوي

لم يحظَ الجمود النحوي مفهوما بأكثر مما حظي به مفهوم الجمود الصرفي، فكلاهما كان النحاة يدورون في أحاديثهم حول مفرداتهما، ولا يقتربون كثيرا من إيضاح المفهوم العام للجمود النحوي. وهذا يقود الباحثين دوما إلى تعقب مواطن حديثهم ـ ما استطاعوا ـ حتى يظفروا بما يُعينهم على تحديد مفهوم قريب لهذا المصطلح. وهذا ما صنعته هنا وسعيت قدر طاقتي له.

مفهومه في كتب النحو

أشهر باب جرى فيه حديث النحويين عن الجمود النحوي هو باب المفعول فيه، وأكثر النحويين اليوم ـ ومنهم كاتب هذه السطور قبل البحث ـ يظنون في الغالب أن الجمود النحوي مقصور على هذا الباب. ودفعهم إلى ذلك أن النحاة مجمعون على الحديث عن الجوامد من الظروف النحوية في هذا الباب[1]، ويُلبسون بعض الظروف مصطلح الجمود نفسه، على حين تجد حديثهم عن الجوامد في بقية أبواب النحو يأتي عرضا، مما يجعل القارئ لا يتذكر أنّ في هذا الباب أوذاك حديثا عن الجمود وألفاظه.

ولعل مما يوضح عناية النحويين بالجامد في حديثهم عن الظروف أن أضع بين أيدي القراء شيئا من نصوصهم. فها هو سيبويه يقول: " واعلم أن ظروف الدهر أشد تمكنا في الأسماء؛ لأنها تكون فاعلة ومفعولة. تقول: أهلكك الليلُ والنهارُ، واستوفيت أيامَك.."[2] ويقول السيرافي: " اعلم أن الظروف على ضربين: منها متمكن، وغير متمكن، فالمتمكن منها ما يجوز أن يكون مرفوعا في حال نحو: اليوم، والليلة، وخلفك، وقدامك؛ لأنك تقول: اليومُ طيب، والليلة مظلمة، وخلفُك واسع. وغير المتمكن ما لا

---

(١) انظر على سبيل المثال الكتاب ١/ ٤٠٣ و٤١١ و٤١٩ وشرح الكتاب السيرافي ٢/ ٢٩٥ و٢٩٩ و٣٠٨ وشرح التسهيل ١/ ٢٠٠ و٢٠٢ و٢٢٩ مابعدها

(٢) الكتاب ١/ ٤١٩

يدخله الرفع ولا يستعمل إلا ظرفا نحو: قبل، وبعد، وعند؛ لأنك لا تقول: قبلُك قديم، ولا بعدُك متأخر، ولاعندك واسع"[1].

ومن اللفتات التي تُسجل لابن مالك أنْ حاول أن يضع مفهوما عاما للجمود النحوي، لا يرتبط بباب دون باب؛ لكنه قصر هذا المفهوم على الجمود المحض، حين حديثه عن "مع" قائلا: " والمراد بالجمود المحض ملازمة وجه واحد من الاستعمال"[2].

مشكلة هذا المفهوم الذي جادت به قريحة ابن مالك أنه ورد في سياق الحديث عن مفردة من مفردات الجمود، وهي "مع"، وكان مقصورا على وجه من وجوه الجمود، وهو الجمود الكلي، وورد في باب المفعول فيه فقط، فلم يتم التأكيد عليه ـ فيما أحسب ـ في أبواب أخر، لمفرداتها أوبعضها نصيب من هذا المفهوم الذي أبداه ابن مالك، وعموما فيكفي ابن مالك أنه وضع في أيدينا مفهوما ذا وجهين؛ محضا، وغير محض، وإن كان القسم الثاني يفهم من قوله، ولم يصرح به، يكفيه أنه أخرج مفهوم الجمود النحوي من ضيق المفعول فيه إلى سعة العربية.

وحين لم أجد من صاغ مفهوم الجمود النحوي وأشار إلى مفرداته المتفرقة يممت شطر كتب النحو أجمع منها ما إخال له علاقة وطيدة بالجمود، لعلي أقدم صورة شبه وافية لهذا المفهوم، متّخذا ما أعرب عنه ابن مالك صراحة وضمنا مظلة لهذا المفهوم، فكان علي قبل صوغ هذا المفهوم أن أُري القارئ مشاهد مما ينطبق عليها مفهوم ابن مالك " والمراد بالجمود المحض ملازمة وجه واحد من الاستعمال" ومشاهد أخر لا تتسق

---

(1) شرح الكتاب ١/ ٢٦٧ وأعاد هذا مرة أخرى في ٢/ د ٢٩ قائلا: " وأما الظرف غير المتمكن فهو الذي لا يدخله رفع ولا حروف الجر إلا "من" في بعضها، وذلك نحو: عند، وقبل، وبعد.." ومثلهما في التذييل والتكميل ٨/ د٠ حيث قال: " يعني بالتصرف استعماله غير ظرف، كأن يكون مبتدأ..." وأوضح المسالك ٢/ ٢٣٨

(2) شرح التسهيل ٢/ ٢٣٩ لم يضف أبو حيان حول هذا المفهوم شيئا في التذييل والتكميل ٨/ ٧٨ وما بعدها ومثله ناظر الجيش في تمهيد القواعد ٤/ ٢٠٢٦

معه تماما. وهي التي دفعتني إلى ما سيراه القارئ أخيرا في مفهوم الجمود النحوي. وها قد حان موعد الحديث عن تلك المشاهد.

مشاهد من الجمود المحض

للجمود المحض ظهور في أبواب نحوية عديدة، منها المفعول فيه، ومنها غيره، ومن تلك المظاهر ما يلي:

مالا يستعمل إلا منفيا

قال سيبويه: "ولا يجوز لـ"أحد" أن تضعه في موضع واجب، ولو قلت: كان أحد من آل فلان، لم يجز، لأنه إنما وقع في كلامهم نفيا عاما"[1].

أسماء اختصت بالنداء

قال سيبويه: "ومن هذا النحو أسماء اختُص بها الاسم المنادى لا يجوز منها شيء في غير النداء نحو: يا نومان، ويا هناه، ويا فُل"[2].

المصادر المثناة

قال سيبويه: "فـ"حنانيك" لا يتصرف، كما لم يتصرف "سبحان الله"، وما أشبه ذلك"[3].

استعمال "كافة"

قال ابن مالك: "وما استعملت العرب "كافة" قط إلا حالا"[4].

---

(1) الكتاب ١/ ٤د. د د وشرح الكتاب للسيرافي ١/ ٣١٨ وأشار سيبويه إلى ملازم النفي بتفصيل في ٢/ ١٨١ قائلا: "وأما "أحد، وكرّاب، وأرم، وكتيع، وعريب، وما أشبه ذلك، فلا يقعن واجبات ولا حالا ولا استثناء" والسيرافي ٣/ ١٢ وقد زاد على ما ذكره سيبويه وشرح التسهيل ٢/ د٤٠ وشرح الرضي تحقيق يحيى المصري ١/ ٢د د

(2) الكتاب ٢/ ١٩٨ وشرح التسهيل ٣/ ٤١٩ وشرح الرضي ت الحفظي ١/ ١٢٦ وشرح الرضي ت المصري ١/ ٣٢٩

(3) الكتاب ١/ ٣٤٨

(4) شرح التسهيل ٢/ ٣٢٧ وشرح الرضي ت الحفظي ٢/ ٦٩٠ وفيه يقول الرضي: "وقد يلزم بعض الأسماء الحالية، نحو: كافة، وقاطبة، ولا يضافان، وتقع "كافة" في كلام من لا يوثق بعربيته مضافة غير حال، وقد خطّئوا فيه".

هذه نماذج شاهدة ـ وإن كانت قليلة ـ على أنّ المفهوم الذي طرحه علينا ابن مالك ليس مقصورا على باب المفعول فيه، وهذا يقود إلى استنتاج، مفاده أن لزوم وجه واحد من الاستعمال مشترك بين أبواب نحوية كثيرة، وهو نفسه يأخذ بنا إلى توسيع المفهوم، كما أراد له ابن مالك.

مشاهد من الجمود غير المحض

ثمة جمود جزئي كبير في العربية، وإحصاؤه صعب، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لما جعلت بحثي في ظاهرة الجمود كلها، لأن العموم وأخذ الشيء من أطرافه له ضريبة في غض الباحث طرفه عن الإحصاء والاستقراء وتوجهه إلى الإلمام الشيء من عل، لكني حاولت الوفاء بالظاهرة ولها من خلال تقديم صورة واضحة عنها في شتّى تفرعاتها، وهذا شيء ـ إن شاء الله ـ تُجليه فصول البحث، وها هي نماذج الجمود الجزئي.

لفظ الجلالة إذا لحقته الميم

يقول سيبيويه: " وإذا ألحقت الميم لم تصف الاسم، من قبل أنه صار مع الميم عندهم بمنزلة صوت كقولك: يا هناه "[1].

إنّ عدم وصف "اللهم" جمود جزئي، أخرجه عن المستقر من أمره، وهو التصرف.

عدم نداء ما فيه "أل"

جاء في الكتاب قول سيبويه: " واعلم أنه لا يجوز لك أن تُنادي اسما، فيه الألف واللام البتة، إلا أنهم قد قالوا: يا ألله اغفر لنا، وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه، وكثر في كلامهم فصار كأن الألف والام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الحروف"[2].

---

(1) الكتاب ٢/ ١٩٦

(2) الكتاب ٢/ د ١٩

وفي هذا النص جمودان، أولهما ما وضع له العنوان، وثانيهما لزوم الألف واللام لهذا الاسم العظيم. وهذان الجمودان جزئيان، لأن ما فيه "أل" ولفظ الجلالة اسمان في الغالب متصرفان.

حروف الجر

قال سيبويه: " وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به، ثم التاء، ولا تدخل إلا في واحد..."(١).

حروف الجر فيها جمود من حيث العمل، وكذا الحروف العاملة، لكن حروف الجر تختلف في معمولها، فمنها ما يجر كل شيء، ومنها ما يختص بالنكرة أوبالقسم، وما يختص بالقسم نوعان، أولهما ما يجر كل محلوف، وثانيهما ما يختص بلفظ الجلالة و"رَبّ" مضافا للكعبة أولياء المتكلم، وهي التاء، هكذا يظهر أن حروف الجر - وإن كانت كلها جامدة في عملها - إلا أنها تختلف في جمودها، فشيء أشد جمودا من شيء، وبهذا وما سبقه يتأكد أن في العربية جمودا جزئيا، ويتراءى به للباحث أن الجمود - كما قال ابن مالك - محض وغير محض، وإن كان أشار للأول، وترك الثاني ضمنا، ويتضح بما تقدم كله أن البحث سيجري في أبوابه وفقراته على هذا المفهوم الواسع، فلن يقتصر صاحبه على دراسة الجمود المحض (المطلق) وحده، فثمة وجه آخر للجمود سيُوليه البحث عناية، ويعطيه حقه - إن شاء الله -.

مصطلحات الجمود في كتب النحو

حين الحديث عن المصطلحات المستعملة في تقرير هذه الظاهرة لم ينح البحث إلى التفريق بين الجمودين، الصرفي والنحوي، فتناول المصطلح هنا لا تفريق فيه، سواء كان مستعملا في جمود صرفي أم نحوي.

وبعد النظر في أحاديث النحاة عن مفردات هذه الظاهرة وجدتهم يستعملون في تقريرها ما يلي من المصطلحات.

---

(١) الكتاب ٣ / ٤٩٦ وأوضح المسالك ٣ / ٢١

عدم التصرف

في مقدوري أن أقول: إنّ أكثر المصطلحات دورانا في حديث النحاة عن هذه الظاهرة، هو هذا المصطلح ومشتقاته، ورد في كتب النحو الأولى والتي تلتها، فسيبويه يقول في ما ينتصب من المصادر: " إلا أنّ هذا يتصرف، وذاك لا يتصرف"[1] ويقول مرة أخرى: " فـ"حنانيك" لا يتصرف، كما لم يتصرف "سبحان الله ومعاذ الله"، وما أشبه ذلك"[2] ويتحدث عن "أنْ وأخواتها" قائلا: " ولم يفصلوا بين "أنْ" وأخواتها وبين الفعل كراهية أن يشبهوها بما يعمل في الأسماء نحو: ضربت، وقتلت، لأنها لا تصرف تصرف الأفعال"[3].

عدم التمكن

يلي مصطلح "عدم التصرف" أومفهومه مصطلح "عدم التمكن" في كثرة استعماله حين الحديث عن الجمود، فسيبويه في حديثه عن "سحر وضحى" يقول: " ومثله: سير عليه ضحى، إذا عنيت ضحى يومك، لأنهما لا يتمكنان من الجر في هذا المعنى، لا تقول: موعدك ضحى، ولا عند ضحى، ولا موعدك سحير، إلا أن تنصب"[4] ويقول أيضا: " وجميع ما ذكرنا من غير المتمكن إذا ابتدأت اسما لم يجز أن تبنيه عليه وترفع إلا أن تجعله ظرفا، وذلك قولك: موعدك سحيرا، وموعدك صباحا.... فليس يجوز هذه الأسماء التي لم تتمكن من المصادر التي وُضعت للحين وغيرها من الأسماء أن تُجرى مجرى "يوم الجمعة وخفوق النجم" ونحوهما"[5].

---

(١) الكتاب ١/ ٢٢٥

(٢) الكتاب ١/ ٣٤٨

(٣) الكتاب ٣/ ١٣ ومثله قول ابن عصفور في شرح الجمل ١/ ٣٨٨: " بأن الفعل إذا لم يتصرف في نفسه لم يتصرف في معموله" وقوله ١/ ٥٨٠: " فإن كان غير متصرف لم يجز التعجب منه.." ومثله قول ابن مالك في شرح التسهيل ٢/ ٢٣٤: " ومن الظروف العادمة التصرف" ومثله في ٢/ ٢٣٨ و٢٤٢ و٢٤٣ و٣/ ٤٠

(٤) الكتاب ١/ ٢٢٥

(٥) الكتاب ١/ ٢٢٧ وأحسب الصواب في العبارة: "فليس يجوز في هذه..." وانظر ٣/ ٢٩٨ و٢٩٩ ويقول ابن السراج في الأصول ٢/ ٢٧٣: " وكذلك كل ظرف غير متمكن في الإعراب ليس مما يرفع" ومثله في ٢/ ٢٧١

لكن ثمة اعتراض يرد على استعمال هذا المصطلح، وهو أن النحويين يستعملونه في المبني والمعرب أيضا، وقد كفاني السيرافي ذلك في قوله: " وتمكن الشيء المتمكن هو وجوده متصرفا في أكثر من حركة، إذا كان اللفظ يتصرف في حركتين، ولفظ آخر يتصرف في أكثر من ثلاث حركات وتنوين، فالذي يتصرف في ثلاث حركات وتنوين أشد تمكنا، لأنه أكثر تصرفا.

وقد استعمل سيبويه لفظ التمكن في الظروف، ولم يرد بها الإعراب، قال: كل ظرف يكون مرفوعا في حال، ومنصوبا في حال، فهو متمكن، نحو قولنا: اليوم، والليلة، وخلفك، وأمامك، لأنك تقول: قمت اليوم، وقمت الليلة، وقمت خلفك وأمامك، فتكون ظروفا، وتقول: اليوم طيب، والليلة باردة..... فتكون أسماء مرفوعة، فيقال: ما جرى هذا المجرى من الظروف متمكن، فليس يراد به أنه متمكن بمعنى متصرف أنه معرب، إنما يراد به أنه يدخله الرفع، وكل ظرف لا يدخله الرفع فهو غير متمكن، وإن كان معربا نحو: قبل، وبعد، وعند..... فهذه غير متمكنة من الظروف، وإن كانت معربة بدخول الجر والنصب عليها"[1].

الجمود

يستعمل النحويون لفظا ثالثا حين حديثهم عن هذه الظاهرة، وهو لفظ الجمود، لكنه - وإن كان في المعنى لا يختلف عن أخويه - أقل ورودا منهما، فمن ذلك قول سيبويه عن "أنْ" الناصبة للمضارع وأخواتها سوى "إذن": ولا تكون إلا في أول الكلام لازمة لموضعها لا تفارقه، فكرهوا الفصل لذلك، لأنه حرف جامد"[2] وشبيه بقوله قول ابن مالك: " والمراد بالجمود المحض ملازمة وجه واحد من الاستعمال"[3].

---

(1) شرح الكتاب للسيرافي ١/ ١٦٦ ولم أعثر على النص المعزو إلى سيبويه في كتابه بلفظه، لكني وجدت بمعناه في ١/ ٢٢٧ وقد ذكرته بنصه في المتن آنفا.

(2) الكتاب ٣ / ١٣ ويقول قبل ذلك: " ولا تفصل بين شيء مما ينصب الفعل وبين الفعل سوى "إذن"..".

(3) شرح التسهيل ٢ / ٢٣٩ لم يضف أبو حيان حول هذا المفهوم شيئا في التذييل والتكميل ٨ / ٧٨ وما بعدها ومثله ناظر الجيش في تمهيد القواعد ٤ / ٢٠٢٦ وشبيه بهذين النصين في الأصول ١/ ٢١٣ و٢٢٩ وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٢١٣

هذه هي الألفاظ الاصطلاحية التي جرى النحويون عليها حين الحديث عن مفردات ظاهرة الجمود. ولهم في ذلك عبارات أخر، يغلب ظهورها في الجمود الجزئي كقول سيبويه: "وإذا لحقت الميم لم تصف الاسم، من قبل أنه صار مع الميم عندهم بمنزلة صوت كقولك: يا هناه"[1] ومثله قوله: "ومن هذا النحو أسماء اختُص بها الاسم المنادى لا يجوز منها شيء في غير النداء نحو: يا نومان، ويا هناه، ويا فُل"[2].

الأصل في الجمود

استقر في العربية ونحوها أنّ الأصل في البناء الحروف، وكذا الحال في الظاهرة التي تدور رحا البحث حولها، فالحرف أصل في الجمود، وما فيه أحيانا من تصرف، فهو خروج عن أصله. وأما الأفعال والأسماء فهي حين تجمد تشبهه، وتدنو منه. وهذا شيء نص عليه النحويون، ولعله يكفي القارئ أن أورد له موجِزا شيئا من نصوصهم.

يحدثنا سيبويه عن أفعل التعجب قائلا: "وبناؤه أبدا من "فعَل وفعِل وفعُل وأفعل". هذا لأنهم لم يريدوا أن يتصرف، فجعلوا له مثالا واحدا يجري عليه، فشُبه هذا بما ليس من الفعل نحو: لات، ما"[3].

من حديث رائد التدوين في نحو العربية يتراءى لنا أنّ الحرف أصل الجمود، ألا ترى كيف جعل سيبويه صيغة التعجب مشبها، والحرف مشبها به، في قضية لزوم طريقة واحدة من الاستعمال؟

يقول ابن عصفور: "وأما "ليس" فإنها لم تتصرف، لتمكن شبه الحرف فيها حتى قال بعض النحويين: إنها حرف.."[4].

---

(١) الكتاب ٢/ ١٩٦

(٢) الكتاب ٢/ ١٩٨ وانظر ٣/ ١١٩ حيث يقول: "و"إذا" هذه لا تضاف إلا إلى الأفعال" ومثل ذا قول السيرافي عن فعل الأمر ١/ ٨٦: "لأن فعل الأمر لا يوصف به كما يوصف بالفعل الماضي..".

(٣) الكتاب ١/ ٧٣

(٤) شرح الجمل ١/ ٣٨٣ وانظر ١/ ٢٧٨ حيث قال: "فمذهب الفارسي ومن أخذ بمذهبه أنها حرف. واستدل على ذلك بأنها لا مصدر لها ولا تتصرف".

ومثل ما سلف من ربط بين الحرف والجمود قول ابن مالك في حديثه عن "مع": "وكان حقه أن يبنى، لشبهه بالحروف في الجمود المحض"[1].

وشبيه بهذين قول الرضي: " وإذا شابه الفعلُ الحرفَ بلزوم معنى الإنشاء الذي هو بالأصالة للحرف، أُعطي حكم الحرف في عدم التصرف، كما في "عسى" وفعل التعجب"[2].

ولعلي بهذا الإيراد وشواهده أكون قد عضّدت ما ملت إليه من كون الحرف هو الأصل في الجمود، وهو أمر يكشفه حال الحرف عموما في العربية، فثمة جمود صرفي جلي، وهناك أيضا جمود نحوي يظهر في علاقة الحرف - إذا كان عاملا - بمعمولاته، وذا الشيء الذي أسعى جاهدا في هذا البحث لإيضاح صورته - إن شاء ربي - وتقديم معالمه.

* * *

---

(1) شرح التسهيل ٢/ ٢٣٩ ومثله قوله عن "لدن" ٢/ ٢٣٨: "وبُنيت "لدن" في أكثر اللغات، لشبهها بالحروف في لزوم استعمال واحد..".

(2) شرح الكافية ت الحفظي ١/ ١٠١ ومثله قوله في ت المصري ١/ ١٧٤ عن ضمير الفصل: "وهذا هو معنى الحرف، أعني إفادة المعنى في غيره، صار حرفا وانخلع عنه لباس الاسمية، فلزم صيغة معينة، أي صيغة الضمير المرفوع، وإن تغير ما بعده عن الرفع إلى النصب كما ذكرنا، لأن الحروف عديمة التصرف" وقوله عن "عسى" في ت المصري ٢/ ١٠٦٧: " وإنما لم يُتصرف في "عسى" بل لم يأت منه إلا الماضي، لتضمنه معنى الحرف، أي إنشاء الطمع والرجاء.." ويقول عن "حاشا وخلا وعدا" في ت المصري ٢/ ١١٣٧: "بأنها لما تضمنت معنى الاستثناء أشبهت الحرف في عدم التصرف".

الفصل الأول

الجمود في الفعل

الفعل جنسُه الأب الأكبر للعامل النحوي في العربية. ومع هذه المنزلة التي جعلتها أبا - كما أن في أبواب النحو أمهات - وصيّرته أكثر تصرفا وأليق بتقلّب الأحوال من غيره، إلا أنّه لم يخل من عوارض عدم التصرف. فلحقه الجمود في بعض حالاته. وأضحى الأب قاصرا كالأبناء، حين دخله الجمود. وناله شيء من نوعيه، فكان فيه جمود صرفي ونحوي.

ولمّا كان الفعل جنسا تحته ثلاثة أنواع: مضارع، وماض، وأمر، لم يكن بدّ من إيضاح الجمود في هذه الأنواع كلها. وتسهيلا للأمر آثرت أن أعرضه في نقطتين، الأولى تتعلق بالجمود الصرفي، والثانية تتعلق بالجمود النحوي. فما أوجه الجمود الصرفي في الفعل؟

الجمود الصرفي في الفعل

إن كنت قدّمت آنفا أن الفعل جنسا هو أبو العامل في العربية. فإني أقول مثل ذلك في الحديث عن الفعل المضارع. فهو - بحق - أبو الأفعال، إذ هو أغزرها تصرفا، وأكثرها تلونا. وليس في العربية فعل مضارع جامد جمودا صرفيا، هذا ما بدا لي من خلال الدرس. ونمته إليّ مطالعتي حين الفحص. فالمضارع خلو من الجمود الذي كان أكثر وجوده ووقوعه في صيغتي الماضي والأمر[1]. فهما الفعلان اللذان تفرّدا بالجمود الصرفي. وإن كان الأول منهما أفرادُ الجامد فيه أغزر وأوفر.

وقبل إيراد شواهد جمود صيغتي الماضي والأمر أحبّ أن أعرض ذلك في فقرتين، أولاهما تتعلق بالجمود الصرفي المطلق. وثانيتهما تدور حول الجمود الجزئي. وإليك - أيها القارئ - هاتين الصورتين.

---

(1) ربما يرد في بال بعض القراء "ليس ولا يكون" في الاستثناء. لكن هذا ليس جمودا صرفيا بل هو جمود نحوي استعمالي.

الجمود الصرفي المطلق للفعل

إن الجمود المطلق له جانبان، الأول يمس جنس الفعل، فمن جموده أنه لا يُصغر، جاء ذلك في قول سيبويه: "وسألت الخليل عن قول العرب: ما أُميلحه. فقال: لم يكن ينبغي أن يكون في القياس؛ لأن الفعل لا يُحقر، وإنما تحقر الأسماء؛ لأنها توصف بما يعظم ويهون، والأفعال لا توصف"[1].

في قول الخليل وإجابته وجهان لجمود الفعل؛ أولهما عدم تصغيره، وثانيهما عدم وصفه، وذا جمود مطلق يدخل فيه كل فعل، وليس خاصا بفعل دون فعل.

والجانب الآخر يخص بعض أفراد الفعل، ففي العربية أفعال لا تستعمل إلا بصورة واحدة، إذ لم يجر على ألسنة العرب من مادتها شيء آخر، وهي مشهورة، لكن إيراد بعض النصوص فيها يتطلبه البحث، فمن ذلك قول ابن بابشاذ: "ومنها نوع ثامن، لا يتصرف بمستقبل ولا أمر ولا نهي ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول ولا فعل ما لم يسم فاعله، وذلك ستة أفعال، وهي: نعم، وبئس، وحبّذا، وعسى، وليس، وفعل التعجب"[2].

ولست أميل إلى رأي ابن بابشاذ في قَرْنه فعل التعجب و"حبذا" بـ"نعم وبئس" فالأولان الجمود فيهما استعمالي نحوي تركيبي، وأما الأفعال الأخر فهي جامدة جمودا صرفيا، وهو مدار الكلمة هنا.

وهذه الأفعال التي ساقها ابن بابشاذ كلها من صيغة الماضي، ولا أدري ما الذي منعه من سياق ما ورد في العربية من أفعال الأمر الجامدة؟ وهما فعلان وردا في الحديث عن "ظن" وأخواتها، إنهما "هَبْ وتعلّم" اللذان قال فيهما ابن مالك: "و"هَبْ" غير متصرف" وقال: "ومن أخوات "علم" ذات المفعولين "تعلّم" بمعنى "اعلم"، ولم يستعمل لها ماض ولا مضارع"[3].

---

(1) الكتاب ٣/ ٤٧٨

(2) شرح المقدمة المحسبة ٢/ ٣٧٧

(3) شرح التسهيل ٢/ ٧٦ و٧٨ و٧٩ والمساعد ١/ ٣٥٩ و٣٦١

وثمة أفعال أخرى في العربية لا يستعمل منها إلا الماضي، لكنها في ظني لم تشتهر كسابقتها، وهي أفعال المقاربة، فإن أغلبها كذلك، يقول ابن مالك: "ويُلازمهن لفظ المضي إلا كاد وأوشك"[1].

يظهر من خلال العرض السابق أن الماضي كان أكثر الأفعال جمودا، فهل هو أصل أقسام الفعل؟

يُجيب عن هذا السؤال ابن الخباز قائلا: "واختلف النحويون في الأصل من الأقسام الثلاثة، فقال قوم: الماضي هو الأصل، لأنه يكون مجردا من الزيادة ثم تلحقه زيادات المضارعة، والأصل عدم الزيادة، وقال قوم: الأصل فعل الحال، لأنه موجود، والماضي والمستقبل معدومان، ولا شبهة في أن الموجود أقوى من المعدوم، وقال قوم: المستقبل هو الأصل، لأن العِدات به تكون، وهو يصير إلى الحال ثم إلى الماضي"[2].

رمى ابن الخباز هذا الخلاف بين النحويين على صفحات كتابه وتركه، والذي أظنه أنّ طرح مثل هذا السؤال غير متوافق مع مذهب البصريين الذين يرون أن المصدر هو الأصل الذي تُؤخذ منه الأفعال، إلا إن كان للأصل مفهوم آخر غير ما تبادر إلى ذهني[3].

الجمود الجزئي في الفعل

تلك كانت الصورة الأولى للجمود الصرفي في الفعل، وأما الصورة الثانية فتدور حول الجمود الجزئي، الذي يكون فيه الفعل جامدا ومتصرفا معا، أو فيه جمود وتصرف.

---

(1) شرح التسهيل 1/ 389 وانظر د 39 و 400 والمساعد 1/ 294 يقول: "فالأربعة عشر فعلا لا يستعمل منها إلا الماضي، وأما "كاد وأوشك" فلا يلزمان الماضي" ولعل القارئ يعجب حين يسمع ابن عصفور في شرح الجمل 2/ 177 يقول: "وهذه الأفعال كلها متصرفة إلا "عسى" فإنها غير متصرفة" ودراسة هذا الخلاف ستأتي - إن شاء الله - في خلاف النحويين حول أفراد الجمود من الفصل الثالث.

(2) توجيه اللمع 100

(3) يُمكن طرح هذا السؤال على الكوفيين ومن يختار مذهبهم في أن الفعل هو أصل المصدر والمشتقات، فإن مواجهتهم به مقبولة، لأنهم يقولون: الفعل أصل المشتقات، فيقال لهم: أي الأفعال أصل المشتقات؟

ومنه شواهد قول ابن مالك في "كاد": "إذ لا يُستعمل لها اسم فاعل. واسم فاعل "كان" مستعمل. ولا يستعمل منها أمر. والأمر من "كان" مستعمل" وشبيه بهذا الفعل "أوشك" أيضا. فله مثل حال المذكور[1].

فهذان الفعلان صرفيا فيهما جمود وتصرف، فجمودهما في عدم استعمال الأمر واسم الفاعل. وتصرفهما في استعمال مضارعيهما.

ومن أمثلته أيضا قوله في ملازمات النفي من أخوات "كان": "إلا أن الأمر لا يتأتى صوغه من ملازمات النفي"[2].

الجمود النحوي في الفعل

في الفعل جمودان: جمود صرفي تقدّم الحديث عنه، وجمود نحوي حان وقت الكلام عليه، ولهذا الجمود صور وأوجه، تكشف شيئا من جمود الفعل، فما أوجه هذا الجمود؟

إنّ للجمود النحوي في الفعل صورتين، الأولى تدور حول جمودٍ جرّه على الفعل جموده الصرفي. والثانية تتناول جمود الفعل بعيدا عن جموده الصرفي. فليس كل جمود نحوي في الفعل مردّه إلى الجمود الصرفي فيه.

الترابط بين الجمود النحوي في الفعل وجموده الصرفي

ثمة ظاهرة واضحة، هي الترابط بين الجمود الصرفي والنحوي، ويُنبي عن ذلك بعض أفراد هذه الظاهرة. ومن تلك الأفراد ما يلي:

---

(1) شرح التسهيل ١/ ٣٣٩ وقوله في ٣٩٥: "إلا "كاد وأوشك" فإن المضارع منهما مستعمل" وكذا ٤٠٠ - ٤٠١ والمساعد ١/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(2) شرح التسهيل ١/ ٣٤٣ والمساعد ١/ ٢٥٥ ويقول الرضي في شرح الكافية ت المصري ٢/ ١٠٦١: "وجميع هذه الأفعال متصرفة إلا "ليس ودام" ولتصاريفها ما لها. ولا يستعمل لـ"ما زال" وأخواتها مصدر. ولا اسم فاعل إلا نادرا...".

العمل النحوي

يجرّ الجمود الصرفي معه على الفعل جمودا نحويا. يظهر شيء منه في عمل هذا الفعل. فتجده أحيانا لا يعمل في شيء من الأسماء إلا المنكور. يقول السيرافي في حديثه عن "أفعل التعجب": "اعلم أن "أفعل" لا يعمل في شيء من الأسماء إلا في المنكور على جهة التمييز"[1].

ومثل ما تقدّم أن فعلي التعجب وأفعل التفضيل لا يُؤتى لها بمفعول مطلق. قال الرضي: "ولا يُؤتى لفعلي التعجب، ولا لأفعل التفضيل بمفعول مطلق. خلافا لمن أجاز ذلك؛ لأنها لجمودها صارت كـ:نعم وبئس، مما لا مصدر له"[2].

ومثلهما أنّ "ليس" تختص بكثرة مجيء اسمها نكرة. قال الرضي: "واعلم أن "ليس" تختص بكثرة مجيء اسمها نكرة، لما فيها من النفي"[3].

ويُلحق بما تقدّم حال "نعم وبئس" مع الضمير المبهم فيهما؛ إذ هو كما يقول الرضي: "على الأظهر الأغلب لا يُثنى ولا يُجمع، ولا يؤنث، اتفاقا بين أهل المصرين"[4].

التركيب الاستعمالي

يحمل الجمود الصرفي معه إلى الفعل تقييدا في استعمالاته. فمن ذلك أن الفعل الجامد لا يُبنى للمفعول. يقول ابن عصفور: "وأما الأفعال التي لا تتصرف فلم يجز بناؤها للمفعول، لأن في ذلك ضربا من التصرف. والعرب قد امتنعت من تصرفها، فلم يجز لذلك بناؤها لها"[5].

---

(1) شرح كتاب سيبويه ١/ ٤٧٨

(٢) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ت المصري ٢/ ١٠٩٩

(٣) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ت المصري ٢/ ١٠٦١

(٤) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ت المصري ٢/ ١١١٦

(٥) شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٣٥

ويُضارع هذا أن الفعل الجامد لا يتعجب منه. قال ابن عصفور أيضا: "فإن كان غير متصرف لم يجز التعجب منه نحو: نعم، وبئس، وعسى، وأمثالها"[1].

وكل ما تقدم يكشف مدى الارتباط بين الجمود الصرفي والجمود النحوي في الفعل. وبقي الآن الحديث عن الجمود النحوي الذي لم يكن الجمود الصرفي سببا فيه، وهو الجانب الثاني. وهو أيضا الجانب الذي يكشف بوضوح جمود الفعل إذا قيس بالاسم.

الجمود النحوي في الفعل المتصرف

لم يكن الجمود النحوي مقصورا على الفعل الجامد. ففي جنس الفعل جمود نحوي، به يُفارق الاسم. ويظهر الجمود في مجموعة من القضايا منها:

الفعل لا يضاف إليه

من ظواهر الجمود النحوي في الفعل أنه لا يقع مضافا إليه. ألمح إلى هذا المعنى السيرافي قائلا: "إن الجر إنما يكون بأدوات يستحيل دخولها على الأفعال، وهي حروف الجر، وبالإضافة المحضة، وليس لدخول ذلك على الأفعال معنى يُعقل، ألا ترى أنك لو قلت: هذا غلامُ يضرب، ... فسد الكلام"[2].

لا يكون الفعل إلا نكرة

مما يفارق جنس الفعل فيه الاسم أنه لا يكون إلا نكرة. قال السيرافي: "إن الفعل لا يكون إلا نكرة، ولا يكون شيء منه أخص من شيء"[3].

---

(١) شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٨٠

(٢) شرح كتاب سيبويه ١/ ٤٢ ثمة أشياء تضاف إلى الجمل الفعلية نحو: إذا، وحيث. لكن هذا لا يؤثر على قول السيرافي، لأن حديثه عن الإضافة إلى الفعل، وهذان (إذا، وحيث) يضافان إلى الجمل الفعلية.

(٣) شرح كتاب سيبويه ١/ ٤٣ لكن إذا نُظر إلى أن الفعل جملة فلا فرق حينئذ بين الجملة الفعلية والاسمية، لأن كلتا الجملتين نكرة، إذ هم يقولون: الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال، والحال ـ كما تقرر ـ نكرة.

اختلاف أنواع الفعل من حيث الجمود النحوي

وإذا كان هذا نموذجا لجمود جنس الفعل نحويا، فإن بين أنواع الفعل اختلافا في هذا الجمود، فليس جمود الماضي في الاستعمال كجمود الأمر، فالأول أقرب إلى الفعل المضارع، قال سيبويه: " والفتح في الأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة قولهم: ضرب، وكذلك كل بناء من الفعل معناه "فعل"، ولم يسكنوا آخر "فعل"؛ لأن فيها بعض ما في المضارعة، تقول: هذا رجل ضربنا، فتصف بها النكرة... وتقول: إن فعل فعلت، فيكون في معنى: إن يفعل أفعل"[1].

وإذا كان الماضي أقل من المضارع فإن الأمر أقلهما فأكثرهما جمودا، قال سيبويه: " والوقف قولهم: اضرب، في الأمر لم يحركوها؛ لأنها لا يُوصف بها، ولا تقع موقع المضارعة، فبعدت من المضارعة بعد "كم وإذ" من المتمكنة"[2].

يتضح من خلال هذين النصين المنقولين عن كتاب النحو الأساسي أنّ ثمة اختلافا بين الأفعال في مواقعها النحوية، وهذا يكشف شيئا من جمود الفعل النحوي، وبها وبما تقدّم يظهر مفهوم الجمود النحوي في استعمال الفعل.

الجمود في الحرف

في تمهيد البحث تبيّن أنّ الأصل في الجمود الحرف، سواء كان الجمود صرفيا أم نحويا، وإذا كان يقال: إن الأصل في الحروف البناء، فإنني أقول هنا. وربما قاله أئمة النحو قبلي .: إن الأصل في الحرف الجمود الصرفي؛ إذ لا يُشتق منه، ولم يُشتق هو من شيء قائم قبله، ولا يضر هذا قولَ ابن جني: " وأيضا فإن كثيرا من الأفعال مشتق من الحروف نحو: قولهم: سألتك حاجة فلوليت لي، أي: قلت لي: لولا، وسألتك حاجة فلا ليت لي أي: قلت لي: لا، واشتقوا أيضا المصدر – وهو اسم – من الحرف فقالوا اللالاة واللولاة وإنْ كان

---

(١) الكتاب ١/ ١٦ وانظر شرح كتاب سيبويه ١/ ٧٨ و٧٩ و٨٧

(٢) الكتاب ١/ ١٧ وانظر شرح كتاب سيبويه ١/ ٨٥، ٨٦

الحرف متأخرا في الرتبة عن الأصلين قبله الاسمِ والفعلِ. وكذلك قالوا: سوّفتُ الرجلَ أي قلت له: سوف. وهذا فعل – كما ترى – مأخوذ من الحرف ومن أبيات الكتاب[1]:

لو ساوفتْنا بِسوفٍ من تَحِيّتِها   سوفَ العَيُوفِ لَراحَ الركبُ قد قَنِعَ"[2].

فإنّ ابن جني نفسه يعد الحرف جامدا؛ إذ قال: " الحروف يُشتق منها، ولا تُشتق هي أبدا". وذلك أنها لمّا جمدت فلم تتصرف.."[3]، لكنه جعل الجمود مقصورا على كون الشيء لم يُشتق. وقد تقدم أن مصطلح الجمود استخدم مع ما لم يُشتق. ومع ما لم يُشتق منه شيء. وعلى كل حال فإنّ الاشتقاق من الحرف خلاف الأصل.

وإذا كان الجمود الصرفي في الحرف ليس بشيء يُعاد فيه الكلام. فإنّ البحث يتجه إلى تلمس أهم مظاهر جموده النحوي. التي منها:

لا يعمل الحرف إلا مختصا

لم يذكر الاختصاص صراحة في عامل من العوامل في العربية حاشا الحرف. يقول سيبويه: " وأما بنو تميم فيُجرونها مجرى "أما وهل" أي لا يعملونها في شيء. وهو القياس؛ لأنه ليس بفعل، وليس "ما" كـ:ليس"[4].

قول سيبويه يُعلّق عليه السيرافي قائلا: " واعلم أن "ما" حرف نفي يليه الاسم والفعل، وقد كان حكمه ألّا يعمل شيئا. وذلك أن عوامل الأسماء لا تدخل على الأفعال، وعوامل الأفعال لا تدخل على الأسماء. فإذا كان الحرف يدخل عليهما جميعا. فمن حكمه ألّا يعمل في واحد منهما"[5].

---

(1) البيت لابن مقبل. وهو في ديوانه ١/ ٨٣ والكتاب ٤ / ٢١٢ دون نسبة

(2) الخصائص ٢/ ٣٤

(3) الخصائص ٢/ ٣٧

(4) الكتاب ١/ ٥٧

(5) شرح كتاب سيبويه ١/ ٣٢٣ ويقول ابن مالك في شرح التسهيل ٢ / ٨ معللا عمل "إن" وأخواتها: " وسبب إعمال هذه الأحرف اختصاصها بمشابهة "كان" الناقصة في لزوم المبتدأ والخبر، والاستغناء بهما. فاللزوم مخرج لما يدخل عليهما وعلى غيرهما كـ:ألا وأما، الاستفتاحيتين".

وإذا كان هذا ما يراه النحويون في عمل الحرف، فذا جمود فيه حين العمل، وليس الاختصاص حينئذ إلا وجهاً من أوجه جمود الحرف نحويا، وسيأتي مزيد حديث - إن شاء الله - عن اختصاص العامل في الفصل الثاني، سواء كان فعلا أم حرفا أم اسما.

شروط عمل الحرف

الاختصاص شرط يُذكر للحرف كجنس، فإذا ما جاء الحديث عن عمل الحروف وجدت شروطا صريحة، وأخرى غير صريحة، ترد في تآليف النحاة، وكل تلك الشروط تُشير بجملتها إلى جمود الحرف، فليس في العربية عامل كالحرف في كثرة شروطه.

فمن شروطه الصريحة في العمل ما يُذكر في عمل "ما" الحجازية وأخواتها، يقول سيبويه في "ما": "فإذا قلت: ما منطلقٌ عبدالله، أوما مسيءٌ من أعتب، رفعت، ولا يجوز أن يكون مقدما مثله مؤخرا، كما أنه لا يجوز أن تقول: إن أخوك عبدَ الله، على حد قولك: إن عبدَ الله أخوك.."[١] ومثل هذه الشروط جلية في تبيان جمود الحرف نحويا.

ومن الشروط غير الصريحة في عمل "إنّ" وبعض أخواتها عدم تقدم الخبر - وهو غير ظرف وجار ومجرور - على الاسم، وكذا عدم تخفيفها، وعدم دخول "ما" عليها[٢]. فهذه أمور يذكرها النحويون في الحديث عن هذه الأحرف، لكنها لا تُساق شروطا لعمل هذه الأحرف كما سيقت شروط عمل "ما" الحجازية عند ابن مالك مثلا، فهناك شروط

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ٥٩ ويقول ابن مالك في شرح التسهيل ١/ ٣٦٨: "ألحق الحجازيون بـ"ليس" "ما" النافية، بشرط تأخير الخبر، وبقاء نفيه، وفقد "إنْ"، وعدم تقدم غير ظرف أوشبهه من معمول الخبر" وانظر أوضح المسالك ١/ ٢٨٤ و٢٨٧

(٢) يقول سيبويه ١/ ٥٩: "كما أنه لا يجوز: إنّ أخوك عبدَ الله، على حد قولك: إن عبدَ الله أخوك، لأنها ليست بفعل، وإنما جعلت بمنزلته فكما لم تتصرف "إنّ" كالفعل كذلك لم يجز فيها كل ما يجوز فيه" وانظر شرح التسهيل ٢/ ١٠ حيث قال: "لكن يجب هنا تأخير الخبر، ما لم يكن ظرفا أوشبهه فيجوز توسيطه" لكنه لم يذكر هذا وغيره في صدر الباب على أنها شروط عمل ومثله في ذلك ابن هشام في أوضح المسالك ١/ ٣٢٦ وما بعدها.

يُنص عليها، وشروط تؤخذ من حديثهم، وكلا النوعين ظاهر الدلالة على جمود الحرف نحويا.

الجمود في الاسم العامل

في الاسم العامل ـ كالفعل ـ جمودان: جمود صرفي، وآخر نحوي، أما الأول فقد حان ـ إن شاء الله ـ وقت الحديث عنه، وأما الآخر فيعقبه ويتلوه.

الجمود الصرفي في الاسم

الأسماء التي تعمل في العربية كثيرة، وإخال تقسيمها معينا على تقديم صورة واضحة عنها، فهي ـ إن صحّ رأيي ـ ثلاثة أقسام:

الأول منها جامد جمودا صرفيا، ويشمل ذلك أسماء الشرط ـ أخوات "إنّ" ـ وأسماء الأفعال، عدا ما صيغ من الفعل الثلاثي التام على وزن "فَعالِ"، والمصدر، والمبتدأ لرفعه الخبر[1]، والأعداد حين تنصب التمييز.

والثاني مشتق غير جامد، وهو الوصف العامل: اسم الفاعل، وصيغ المبالغة المحولة عنه، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل.

والثالث يكون مشتقا وجامدا، وهو المضاف[2]، ففي الإضافة اللفظية يكون المضاف مشتقا، وفي المعنوية يكون جامدا غالبا.

وعلى كلّ حال فالاسم العامل في العربية ـ وإن كان بعضه جامدا، والآخر مشتقا ـ فإن فيه كافة جمودا نحويا، وهذا هو مدار حديث الفقرة التالية.

الجمود النحوي في الاسم العامل

كل ما تقدم من أقسام للاسم العامل يدخلها الجمود النحوي، فلا فرق بين الجامد والمشتق في ذلك، ومن مظاهر هذا الجمود ما يلي:

---

(١) وجه الغرابة في عمل المبتدأ في الخبر أنه يكون جامدا يقول ابن عصفور في شرح الجمل ١/ ٣٥٠: "وأما الجامد الذي لا رائحة للفعل فيه فلا ينبغي أن يعمل".

(٢) جريا على القول بأنه هو الجار للمضاف إليه، والمسألة فيها خلاف مشهور.

شروط عمل هذه الأسماء

في العربية يعمل الاسم، وإن كان عمله خلاف الأصل[1]، ووجه مخالفة عمله للأصل تظهر من خلال ما يذكره النحويون من شروط عمله، فمِن ذا ما يُساق من شروط عمل المصدر، قال ابن مالك: "يعمل المصدر مُظهرا مكبّرا غير محدود ولا منعوت قبل تمامه"[2].

وشبيه بهذا أن أسماء الأفعال معمولها لا يتقدم، يقول سيبويه عن أسماء الأفعال: "واعلم أنه يقبح: زيدا عليك، وزيدا حذرك، لأنه ليس من أمثلة الفعل، فقبح أن يجري ما ليس من الأمثلة مجراها، إلا أن تقول: زيدا، فتنصب بإضمارك الفعل، ثم تذكر "عليك" بعد ذلك، فليس يقوى هذا قوة الفعل"[3].

ومثل هذين اسم الفاعل جموده يظهر في ما اشترطه النحويون لعمله، يقول ابن عصفور: "واعلم أن اسم الفاعل لا يعمل حتى يعتمد على أداة نفي أواستفهام أويقع خبرا لذي خبر"[4].

ويُضارع ما سلف ما يُشترط في بعض أدوات الشرط، يقول سيبويه: "ولا يكون الجزاء في "حيث ولا في إذ" حتى يُضم إلى كل واحد منهما "ما""[5].

---

(1) شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٠٥ جاء فيه: "العمل أصل في الأفعال فرع في الأسماء والحروف، فما وجد من الأسماء والحروف عاملا، فينبغي أن يسال عن الموجب لعمله".

(2) شرح التسهيل ٣ / ١٠٦ وانظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢ / ٢٤ وشرح الرضي للكافية ت المصري ١/ ٧٠٦ و٧١٠ و٧١١ وأوضح المسالك ٣ / ٢٠١ وما بعدها وقال ابن هشام في شرح قطر الندى ٣٦٦: "وإنما يعمل بثمانية شروط".

(3) الكتاب ١/ ٢٥٢

(4) شرح جمل الزجاجي ١/ ٥٥٣ وانظر شرح التسهيل لابن مالك ٣ / ٧٢ ومابعدها وشرح الرضي للكافية ت المصري ١/ ٧٢٤ ومابعدها

(5) الكتاب ٣ / ٥٦

إنّ هذه الشروط وغيرها ـ مما يذكره النحويون في الأسماء العاملة ـ تكشف شيئا من جمود هذه العوامل، وهو جمود وقصرانٌ نحوي، تدلّ عليه مقارنة النحويين لهذه الأسماء بالفعل، وليس للجمود النحوي في هذا النوع من العوامل معنى إلا أن تكون أقل تصرفا من الفعل الذي هو أصل العمل في العربية.

امتناع تصغيرها مع عملها

مما يتجلّى فيه الجمود النحوي لبعض هذه الأسماء العاملة أنّها لا تصغر حين تكون عاملة، فتصغيرها مبطلٌ عملها، وذا شيء يُضيّق ميدانَها في العمل، فتضحي في التصرف أقل من الفعل، جاء على لسان سيبويه: "واعلم أنك لا تُحقّر الاسم إذا كان بمنزلة الفعل، ألا ترى أنه قبيح: هو ضويربٌ زيدا، وهو ضويرب زيدٍ، إذا أردت بـ"ضارب زيد" التنوين، وإن كان "ضارب زيدٍ" لما مضى فتصغيره جيد"[1].

ومثل اسم الفاعل المصدرُ في اشتراط عدم تصغيره حين عمله، يقول الرضي: "والتصغير يمنع المصدر من العمل"[2].

عدم نصب بعضها للمفعول

الوصف يُؤخذ من اللازم والمتعدي، ويجري في عمله وَفق ما أُخذ منه، ذاك حكم الوصف إلا أفعل التفضيل فإنّ له حالة من الجمود النحوي يُخالف فيها أشقاءه في الوصفية، إذ يمتنع من نصب المفعول به، يحدثنا الرضي عن هذا قائلا: "وأمّا المفعول به فكلهم متفقون على أنه لا ينصبه، بل إن وُجِد بعده ما يُوهم ذلك، فـ"أفعل" دالٌّ على الفعل الناصب له"[3].

---

(١) الكتاب ٣/ ٤٨٠ وانظر شرح الجمل لابن عصفور١/ ٤٤د وشرح التسهيل ٣/ ٧٤ وشرح الرضي للكافية ت المصري١/ ٧١٩

(٢) شرح الرضي للكافية ت المصري ١/ ٧١٩ وشرح قطر الندى ٢٦٧ وقال عنه: "ولا يختلف النحويون في ذلك".

(٣) شرح الرضي للكافية ت المصري١/ ٧٨٧ وفي النحويين من خرج عن نقل الرضي انظر الارتشاف ٢٣٢٦

عدم وصف الاسم العامل

من مظاهر جمود الاسم العامل نحويا امتناعُ وصفه حين العمل. وعلة ذلك أن الوصف يُقصيه عن شبه الفعل، وهو ما عمل إلا بذلك الشبه. يقول ابن عصفور: "وإذا وصفت اسم الفاعل فلا يخلو أن تصفه قبل العمل أو بعده. فإن كانت الصفة بعد العمل عَمِل... نحو: هذا ضاربٌ زيدا عاقل. فإن كانت الصفة قبل المعمول لم يجز له أن يعمل"[1].

وبما تقدم يظهر شيء من جمود الاسم، نحويا كان ذا الجمود أم صرفيا. وقبل ذلك أُبرزت أوجه جمود الفعل والحرف صرفيا ونحويا.

* * *

---

(1) شرح جمل الزجاجي ١/ ٤٤٥ وشرح التسهيل ٣ / ٧٤ وشرح الرضي للكافية ت المصري ١/ ٧١٩ جاء فيه: " والتصغير يمنع المصدر من العمل، كما يمنع اسم الفاعل والمفعول، لضعف معنى الفعل.... ومن ثمة يمنع الوصف ثلاثتها من العمل".

الفصل الثاني

عرض البحث في الفصل الأول صورة لجمود العامل؛ فعلا كان أوحرفا أواسما. وتبدّت تلك الصورة من خلال نماذج مختلفة،كلها في نهاية الأمر تومئ إلى اختلاف بين هذه العوامل في الجمود، وتفاوت فيه، وحين يُذكر جمود العامل يخطر على البال معه جمود المعمول، وهذا أوان الحديث عنه. إن شاء ربي..

الجمود في حركة المعمول

جرى الحديث في الفصل الأول وفق أنواع العامل. وفي هذا الفصل سيجري الحديث عن جمود المعمول على خطى الكلام هناك، ولما كان العامل فعلا وحرفا واسما، فإنّ دراسة جمود المعمول ستُصاغ من خلال هذه المسارب الثلاثة.

جمود حركة المعمول مع الفعل

تقدّم أنّ الفعل أب لأنواع العامل من حيث التصرف في نفسه، وهو كذلك مع معمولاته، فالفعل - على ما فيه من جمود أحيانا - هو الأكثر تصرفا في حركة معمولاته داخل التركيب اللغوي، يشهد لذا أن الأصل في العمل الفعل، ويشهد له معنى قول ابن برهان: "فأما الأفعال فكلها عاملة"[1] وذا وجه فرق بين الفعل وغيره من العوامل، يجعل من الفعل عاملا متفردا؛ لكن الفعل الذي يراد الحديث عنه هنا نوعان؛ أولهما الجامد، وثانيهما المتصرف، فكيف كانت حركة المعمول فيهما؟

حركة المعمول مع الفعل الجامد

حين يكون الفعل جامدا في نفسه تغمر ظلال جموده معمولاته، ألمح إلى ذلك النحويون كقول ابن عصفور: "بأنّ الفعل إذا لم يتصرف في نفسه لم يتصرف في معموله"[2] ويتضح أثر جمود الفعل على حركة معمولاته من خلال المظاهر التالية.

---

(1) شرح المقدمة المحسبة ٣٤٨ ربما يعترض معترض على قول ابن برهان بأن الفعل يُزاد، والزائد لا عمل له، ويعترض عليه أيضا بالفعل الذي يأتي توكيدا لفظيا لمثله، لكن قوله متجه بالنظر إلى الفعل جملة.

(2) شرح الجمل ١/ ٣٨٨ وشرح المقدمة المحسبة ٣٨٥ فيه: "وهذه الأفعال التي لا تتصرف لا تعمل في ... لعدم تصرفها في نفسها، .... وكذلك لا يتقدم شيء من معمولاتها عليها، كل ذلك لأنها أفعال غير متصرفة".

خبر "ليس"

جرى خلاف بين النحويين في "ليس". فريق يراها حرفا، وآخر يراها فعلا. وعلى كلا القولين فهي عامل جامد صرفيا، فيميل المرء أول وهلة إلى أنّ تصرفها في معمولها ممنوع؛ جريا على أن العامل الذي لا يتصرف في نفسه. كما تقدم في نقل ابن عصفور. لا يتصرف في معمولاته، وإلى هذا أشار ابن برهان قائلا: "فأما تقديم خبر "ليس" عليها فلا يجوز؛ لأنها لا تتصرف"[1].

وفي هذا العامل نكتة، هي أنه جامد في صورتيه، ومع ذلك فهناك من يرى جواز تقديم خبره عليه[2]، يقول ابن عصفور: "والذي يُجيز التقديم احتج بالسماع، ولولا ذلك لم يجز تقديمه، والذي يدل على ذلك من السماع قوله ـ تعالى ـ: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾[3] ألا ترى أن "يوم يأتيهم" منصوب بخبر "ليس" الذي هو "مصروف" وقد تقدم عليه، وتقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل"[4].

سلك ابن برهان وابن عصفور طريقين مختلفين؛ أولهما غلّب جانب القاعدة الكلية في الجامد، والآخر غلب جانب السماع الفرد، ومثل هذا ـ وبعيدا عمّا تأوّله صاحب الإنصاف في الآية الكريمة ـ يجرّ على القواعد الكلية أن تنقض بالسماع الفرد المختلف فيه أيضا.

---

(1) شرح المقدمة المحسبة د د ٣ وتوجيه اللمع ١٣٩ جاء فيه: "والمتأخرون من البصريين والكوفيين يمنعون تقديم الخبر عليها، واحتجوا بأنها فعل غير متصرف، جرى مجرى الحرف" والمساعد ١/ ٢٦٢ وفيه أيّد المنع قائلا: "وهو الموافق للسماع" ولعله يقصد السماع الكثير الغالب.

(2) الإنصاف ١/ ١٦٠ وجعل مؤلفه الجواز مذهب البصريين، ورجح المنع والمساعد ١/ ٢٦٢ فيه أن الجواز مذهب قدماء البصريين!

(3) سورة هود ٨

(4) شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٨٨ انظر رد صاحب الإنصاف على الاستدلال بالاية ١/ ١٦٣

تقدم الحال على الفعل الجامد

لا يجوز أن تتقدم الحال على عاملها الجامد، وفي ذا يقول ابن مالك: " ويلزم تقديم عاملها إن كان فعلا غير متصرف نحو: ما أكرمك مستنجدا"[1].

تقديم التمييز على عامله الجامد

إن وقع خلاف في تقديم التمييز على عامله المتصرف، فلم يدر خلاف بين النحويين في امتناع تقديم التمييز على عامله الجامد. يقول ابن هشام: " لا يتقدم التمييز على عامله إذا كان ... أوفعلا جامدا نحو: ما أحسنه رجلا"[2].

تقدم خبر أفعال المقاربة عليها

تقدم في الفصل الأول أن أفعال المقاربة كلها لا يستعمل منها إلا لفظ الماضي حاشا كاد وأوشك[3] فهي أفعال بالجملة جامدة، بهذا وبغيره علل ابن مالك عدم تقدم أخبارها عليها قائلا: " والسبب في ذلك أن أخبار هذه الأفعال خالفت أصلها بلزوم كونها أفعالا، فلو قدمت لازدادت مخالفتها للأصل، وأيضا فإنها أفعال ضعيفة لا تصرف لها، إذ لا ترد إلا بلفظ الماضي..."[4].

---

(1) شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٣٤٣ وشرح السيرافي ٢/ ٧٨ وتوجيه اللمع ٢٠٥-٢٠٦ وأوضح المسالك ٢/ ٣٢٨

(2) أوضح المسالك ٢/٣٧١-٣٧٢ وشرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٣٩٠ ذكر الفعل الجامد وقال: " لم يجر التقديم بإجماع" لكنه لم يضرب مثالا على الجامد وفي شرح السيرافي لم يتعرّض للفعل الجامد ٢/ ٧٨ ذُكر فيه عامل التمييز اسما وفعلا متصرفا.

(3) شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٨٩ و٣٩٥ والمساعد ١/ ٢٩٤

(4) شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٩٥ وفي شرح الكافية للرضي ت المصري ٢/ ١٠٨٠: " ولكون أفعال المقاربة، أي: كاد، ومرادفاته، وأفعال الشروع أي: طفق، ومرادفاته فروعا لـ "كان" ومحمولة عليها، لم تقدم أخبارها عليها، كما كان يتقدم خبر "كان" عليها" ومثل أفعال المقاربة في امتناع تقدم الخبر أخوات "كان" المسبوقة بـ "ما" انظر شرح الرضي للكافية ت المصري ٢/ ١٠٤٨.

تقديم مفعولي "هب وتعلم" عليهما

ليس لمفعولي "هبْ وتعلمْ" من الحركة ما لغيرهما من أخوات "ظن". فلم يجز فيهما الإلغاء يوضح ذلك ابن مالك" وقد نبهت على أن "هب وتعلم" غير متصرفين. فإذا خص جواز الإلغاء بمتصرفاتها. علم أن "هب وتعلم" لا يلغيان. ولا يلغى ما يُلغى غالبا إلا متوسطا أو متأخرا"[1].

ولعل في سالف الذكر تبيانا لجمود المعمول مع الفعل الجامد. وبعده يأتي دور الحديث عن حركة المعمول مع الفعل المتصرف. إن شاء الله.

جمود حركة المعمول مع الفعل المتصرف

الفعل المتصرف نوعان، تام. وناقص. ولم أجد صورة لجمود حركة المعمول مع هذين النوعين إلا في بعض أفعال المقاربة. وهي "كاد وأوشك" مع أن فيهما جمودا صرفيا جزئيا. وأما البقية فليس ثمة جمود إلا وداعيه خارجي. ليس من الفعل نفسه. ولعل في هذا شهادة على أنّ الفعل المتصرف يُعطي معمولاته من الحرية ما لا يبذله غيره لها.

تقدم خبر "كاد وأوشك"

أفعال المقاربة جميعا لا يتقدم خبرها عليها. ومنها "كاد وأوشك". وذا شيء تقدمت الإشارة إليه[2].

توسط خبر "كان" وأخواتها المنفيات

تقدم في حاشية الصفحة السابقة أنّ ما كان من أخوات "كان" مسبوقا بـ"ما" لا يجوز تقدم الخبر عليه. والحديث هنا عن نوع آخر من الجمود. إنه عدم توسط الخبر. وذلك في "زال وبرح وفتئ وانفك" المسبوقة بـ"لم. ولن. ولا" يقول الرضي: " وأما غيرها.

---

(1) شرح التسهيل ٢/ ٨٥ والمساعد ١/ ٣٦٤

(2) شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٩٤ وشرح الكافية للرضي ت المصري ٢/ ١٠٨٠

غير "ما" - فإذا انتفى بها الأفعال المذكورة، لم يجز توسيط الخبر بينها وبين الأفعال اتفاقا"[1].

تقدم معمول الفعل المقترن بلام الابتداء أوالقسم

لا يجوز أن يتقدم معمول الفعل المتصرف إذا كان عامله مقرونا بأحد هذين الحرفي، وفي هذا يقول ابن مالك: " ومن العوامل التي لا يتقدم عليها الحال ولا غيرها .... والفعل المقرون بلام الابتداء أوالقسم نحو: لأصبر محتسبا، ولأقومن طائعا"[2]

جمود حركة المعمول مع الحرف العامل

الحرف العامل هو جملةً أضعف العوامل في العربية، فلم يعمل الحرف قط في معمول متقدم عليه، إلى ذلك أشار ابن عصفور قائلا: " واستدل بأنّ معمول الحرف لم يقدم على الحرف في موضع من المواضع"[3] ولتبيان هذه الحال تُذكر بعض المواضع التي امتنع فيها تقدم معمول الحرف عليه.

تقدم الحال

لا يجوز في الحال أن تتقدم على الحرف العامل فيها، قال ابن مالك: " ومن العوامل التي لا يتقدم الحال عليها الجامد المضمن معنى مشتق كـ:أما، وحرف التنبيه والتمني والترجي[4].

تقدم الحال على حرف التنبيه

خصصت حرف التنبيه بحديث - وإن كان ابن مالك أشار إليه في نصه السالف - لطرافة أمره أولا، ولأن ابن مالك لم يعتنِ بإيضاح ذلك. وممن عُني به ابن الخباز حيث وضّح أن قولك: هذا زيد قائما، يحتمل أن يكون العامل في الحال "ذا" وهو اسم الإشارة،

---

(1) شرح الكافية للرضي ت المصري ٢/ ١٠٤٩ وفيه أيضا: " ويجوز تقديمها عليها اتفاقا، لأنها ليست كـ"ما" في طلب التصدير".

(2) شرح التسهيل ٢/ ٣٤٣ وأوضح المسالك ٢/ ٣٣٠

(3) شرح الجمل ١/ ٣٨٨

(4) شرح التسهيل ٢/ ٣٤٤

وليس محل الحديث عنه هنا. وأن يكون "ها" التنبيه، وحينئذ يجوز لك أن تقدم الحال على اسم الإشارة فتقول: ها قائما ذا زيد. ولا يجوز لك تقديمها على "ها"[١]؛ لأنها على قول ابن مالك المتقدم عامل جامد مضمن معنى مشتق.

تقدم المستثنى على "إلا"

عزا ابن مالك إلى المبرد أن العامل في المستثنى هو "إلا"[٢] ومال إلى هذا الرأي، وسعى في الاحتجاج له والتدليل عليه؛ لكن الذي يهمني هنا أنّ القول بعمل "إلا" في المستثنى يتوافق مع امتناع تقديمه عليها. فلم يقل أحد من النحويين بجواز تقديم المستثنى على "إلا". وأحسب لو كان العامل الفعل وحده لم يكن ثمّ مسوغ لمنع تقديم المستثنى؛ إذ هو كغيره من الفضلات.

ويُلحق بهذا حركة معمولي "إنّ" وأخواتها، إذ لا يجوز تقديمهما عليها مطلقا، وكذا لا يجوز تقديم الخبر على الاسم إلا إذا كان ظرفا أوجارا ومجرورا[٣]. ومثل "إن" وأخواتها "ما" وأخواتها[٤]. ويلحق بهذين حروف الجر وحروف الجزم[٥]. وكل ذلك يكشف جمود معمولات الحرف.

جمود حركة المعمول مع العامل الاسم

يعمل من الاسم الوصف المشبه للفعل والمصدر وأسماء الأفعال وأسماء الشرط والمبتدأ واسم الإشارة، ولمعمولاتها جميعا جمود في الحركة يُظهر جانبا منه ـ إن شاء الله ـ هذا المبحث.

---

(١) توجيه اللمع ٢٠٥ـ٢٠٦

(٢) انظر شرح التسهيل ٢/ ٢٧١ والذي في المقتضب ٤/ ٣٩٠ قوله: "كانت "إلا" بدلا من قولك: أعني زيدا، وأستثني فيمن جاءني زيدا، فكانت بدلا من الفعل" وهنا جدل طويل حول حقيقة مذهب المبرد فانظر حاشية الصفحة السالفة من المقتضب.

(٣) انظر توجيه اللمع ١٥١ وأوضح المسالك ١/ ٣٢٢

(٤) توجيه اللمع ١٤٦ وشرح التسهيل ١/ ٣٦٨ و٣٧٤ وأوضح المسالك ١/ ٢٧٩ و٢٨٢ و٢٨٤ و٢٩١

(٥) شرح الكتاب للسيرافي ١/ ٤٧٩ جاء فيه: "إن ما بعد حرف الشرط لا يجوز أن يعمل فيما قبله؛ لأنك لا تقول: زيدا إن تأتِ يكرمك. على معنى: إن تأت زيدا يكرمك".

تقدم معمول الوصف المقترن بـ"أل"

لا يجوز تقديم معمول الوصف المقترن بـ"أل" عليه، يقول ابن مالك: "وكذا لو كان صلة لـ"أل" ... لم يجز أن يتقدم عليه ما يتعلق به من حال وغيره"[1].

تقدم معمول المضاف إليه على المضاف

لا يجوز تقديم معمول المضاف إليه على المضاف نحو: هذا غلامُ ضاربٍ زيداً. فلا يجوز أن يتقدم "زيداً" على "غلام".

ومثله عند السيرافي نحو: حين تأتي زيداً يكرمك. فلا يجوز أن تقدم "زيداً" على "حين"؛ لأن الأخير مضاف إلى الجملة الفعلية، قال أبو سعيد: "اعلم أن ما قبل المضاف لا يعمل فيه المضاف إليه"[2].

تقدم الحال على اسم الإشارة

في نحو: هذا محمد قائماً. خلاف في ناصب الحال. وقد تقدم الحديث عن عمل حرف التنبيه، وهنا جاء دور الحديث عن عمل اسم الإشارة "ذا". فإن عددت العامل في الحال اسم الإشارة.لم يجز أن تقول: قائماً هذا محمد[3].

تقدم معمول المصدر عليه

منصوب المصدر تجمد حركته، وليس في مقدوره أن يتقدم عليه، فلا يجوز أن يقال: هذا زيداً ضَرْبُك. يعلل السيرافي ذلك في قوله: "لأن المصدر مقدر بـ"أن" والفعل بعدها، وما بعد "أن" لا يعمل فيما قبلها"[4].

---

(١) شرح التسهيل ٢/ ٣٤٣

(٢) شرح الكتاب ١/ ٤٧٩ والمقدمة المحسبة ٤٠٣ وما بعدها

(٣) انظر المقدمة المحسبة ٤٠٣ وتوجيه اللمع ٢٠٦ وشرح التسهيل ٢/ ٣٤٣

(٤) شرح السيرافي ١/ ٤٤٦ وشرح التسهيل ٢/ ٣٤٣ وشرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٧١١ فيه: "ومعمول المصدر في الحقيقة معمول الفعل الذي هو صلة الحرف، ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول".

تقدم التمييز على عامله الاسم

يجمد التمييز حين يكون عامله اسما. قال السيرافي: "ولم يجز المبرد: أما درهما فعندي عشرون، لأن "درهما" منصوب بـ"عشرين". ولا يعمل "عشرون" فيما قبلها"[1].

ومثل هذا تقدم معمول اسم الفعل عليه[2] وكل هذه المشاهد المتقدمة تشهد على جمود معمول الاسم، لكن بقي أمر أحسبه غريبا، إذ هو يُخالف القاعدة في العامل الجامد إذا كان اسما. وهو أنّ المبتدأ عامل في الخبر[3]، والغرابة هنا أن المبتدأ جامد. فكيف جاز تقدم الخبر عليه؟

الجمود في نوع المعمول

لم يكن أثر الجمود مقتصرا على حركة المعمول داخل التركيب اللغوي. فله آثار تظهر على نوع المعمول أيضا. وهذه المظاهر في نوع المعمول تُصاحب أنواع العامل كلها فعلا كان أوحرفا أواسما. وسيكون البدء ـ إن شاء الله ـ بالفعل.

الجمود في نوع المعمول مع الفعل

وجد البحث صورا ـ وإن كانت قليلة ـ لقصر العامل على معمول معين أومحدود، ولا فرق بين الفعل متصرفا أوجامدا. فكلاهما قد غشيه ذلك، وإن كان الأمر في الأول أندر من الثاني.

---

(1) شرح الكتاب ٢/ ٢٧٨ وشرح التسهيل ٢/ ٣٩٠ فيه: "فإن كان عامل التمييز غير فعل أوفعلا غير متصرف لم يجز التقديم بإجماع".

(2) سبق ذكره وانظر الكتاب ١/ ٢٠٥ وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ١٥٣ وشرح التسهيل ٢/ ٣٤٢ وشرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٢٩٧ وفيه: "لأن الأغلب فيها إما مصادر. ومعلوم امتناع تقدم معمولها عليها، وإما صوت جامد في نفسه منتقل إلى المصدرية ثم منها إلى اسم الفعل. وإما ظرف أوجار ومجرور. وهما ضعيفان قبل النقل أيضا... وجوز الكوفيون ذلك ...".

(3) الإنصاف ١/ ٤٤ ومما يستغرب تركيب "حبذا خالد" إذا أُخِذ بالرأي الذاهب إلى أن "حبذا" برمته اسم، إذ يجوز فيه أن يكون مبتدأ والمخصوص خبره. ويجوز أن يكون خبرا والمخصوص هو المبتدأ. فإذا كان "حبذا" هو المبتدأ كان واجب التقديم كما هو الأصل، لكن الغرابة تكمن حين يكون هو الخبر والمخصوص هو المبتدأ. فكيف لزم تأخر العامل وتقدم المعمول؟ انظر شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٦١١ وأوضح المسالك ٣/ ٢٨٥

"أجمعُ" ومعموله

هذا الفعل يظهر جموده في معمولاته، إذ لا ينصب إلا الأمر والكيد ونحوهما، إلى هذا أومأ ابن مالك قائلا: " فلا يجوز أن يُجعل ﴿شركاءكم﴾[1] معطوفا، لأن "أجمع" لا ينصب إلا الأمر والكيد ونحوهما"[2].

والجمود في نحو هذا الفعل المتصرف خلاف الأصل، فهو في جموده شاذ.

خبر المقاربة

أفعال المقاربة أكثرها من حيث التصريف جامد . كما تقدمت الإشارة . وهي جميعا لا يكون خبرها إلا فعلا مضارعا، وفي المضارع الواقع خبرا جمود آخر، إذ يجب تجرده من "أنْ" مع: طفق، وطبق، وجعل، وأخذ، وعلق، وأنشأ، وهبّ، وهلهل، و يلزم اتصاله بها مع: حرى، واخلولق، وأولى[3].

فاعل "نعم وبئس"

هما فعلان جامدان، يظهر جمودهما على معمولهما . وكذا الأفعال التي تُستعمل استعمالهما . إذ " لا يكون فاعلهما إلا فيه الألف واللام... أوما أضيف إلى ما فيه الألف واللام...أومضمرا على شريطة التفسير...أومضافا إلى نكرة، وذلك قليل جدا، وبابه الشعر"[4].

وإذا كان الجمود هنا جرّه على المعمول العامل، ففي العربية حالة انعكست فيها الحال، فأضحى المعمول يُحدد نوع العامل، وذلكم في المفعول فيه، إذ لا ينتصب المفعول فيه المشتق من المصدر إلا بذلك المصدر أوما تفرّع عنه[5].

الجمود في نوع المعمول مع الحرف

وإذا كانت تلك الظواهر أشارت . ولو بإيجاز . إلى الجمود في نوع معمول الفعل، فللحرف في هذا السبيل القدر الأكبر، لأنه . كما تقدم . الأصل في الجمود. وعمله موثق دوما باختصاصه بمعموله، فمن ذلك:

---

(١) سورة يونس ٧١

(٢) شرح التسهيل ٢/ ٢٦١

(٣) شرح التسهيل ١/ ٣٨٩ والمساعد ١/ ٢٩٤

(٤) شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٦٠٠ وشرح التسهيل ٣/ ٨ وأوضح المسالك ٣/ ٢٧١ و٢٨١

(٥) شرح التسهيل ٢/ ٢٢٦ وكتاب سيبويه ١/ ٤١٤ وأوضح المسالك ٢/ ٢٣٧

معمول "لا" المشبهة "ليس"

يحكي بعض النحويين أن "لا" لا تعمل إلا في نكرة، فلا يجوز عملها في معرفة. وذلك جمود في نوع المعمول[1].

معمول "لات" المشبهة بـ"ليس"

لا يجاوز بـ"لات" الحين، وذا جمود في معموليها معا[2].

معمول "لا" النافية للجنس

لا يكون اسم "لا" إلا نكرة، فذا عامل اقتصر في عمله على النكرة، واقتصاره عليه جمود في عمله[3].

معمول بعض حروف الجر

حروف الجر مختصة بالاسم . وكذا حال الحرف العامل . لكن فيها أيضا جمودا آخر، فبعض حروف الجر توغل في جمود معمولها، فمن ذاك "رب" التي لا تجر إلا النكرة[4]، ومن ذلك التاء التي لا تجر إلا لفظ الجلالة وربّ مضافا للكعبة أولياء المتكلم[5] ومثل ذين "مذ ومنذ" المختصين بجر الزمان[6].

بما تقدم تظهر صورة جمود الحرف في نوع معموله، وإذا كان هذا هو الأصل، فمن الطريف أن يقع المرء على حرف له تصرف في معموله، فيعمل مذكورا ومحذوفا، وذاك هو حرف الجر "رُبّ"[7] والعمل محذوفا ومذكورا نوع تصرف، لكنه تصرف في عامل، المنتظر منه عدم ذلك.

---

(1) انظر الكتاب ٢/ ٢٩٦ وشرح التسهيل ١/ ٣٧٤ فيه: "وتلحق بها... و"لا" كثيرا، ورفعها معرفة نادر" وجعل في ١/ ٣٧٧ هذا النادر شاذا وفي أوضح المسالك ١/ ٢٨٤ عدّ ذلك شرطا.

(2) الكتاب ١/ ٥٨ وشرح التسهيل ١/ ٣٧٧ وسّع الأمر قليلا فقال: "ولم تستعمل "لات" إلا في الحين أومرادفه" وأوضح المسالك ١/ ٢٨٧

(3) انظر الكتاب ٢/ ٢٧٤ شرح التسهيل ٢/ ٥٣ وأوضح المسالك ٢/ ٣

(4) انظر الكتاب ١/ ٤٢٧ وفيه: "فـ"رب" لا يقع بعدها إلا النكرة، فذلك يدلك على أن "غابطنا" و"مثلك" نكرة" و٢/ ٢٧٤ وأوضح المسالك ٣/ ١٩

(5) انظر الكتاب ١/ ٥٩ يقول سيبويه: "كما أن التاء لا تجر في القسم ولا في غيره إلا في "الله"" و٣/ ٤٩٦ وأوضح المسالك ٣/ ٢١

(6) انظر الكتاب ٤/ ٢٢٦ وأوضح المسالك ٣/ ١٩

(7) انظر الكتاب ١/ ١٠٦ و٢/ ١٦٣ وشرح التسهيل ٣/ ١٨٦ وأوضح المسالك ٣/ ٧٣

الجمود في نوع المعمول مع الاسم

الاسم في الجملة من العوامل التي ترفع وتنصب وتجر وتجزم. فالرفع والنصب من عمله في الوصف والمصدر، والجر في المضاف، والجزم في أسماء الشرط. ومع تنوع عمله إلا أن بعض عوامل الاسم يصيبه الجمود في معمولاته، ومن ذلك ما يلي:

فاعل التفضيل

لا يرفع "أفعل" التفضيل ظاهرا إلا على لغة ضعيفة، واقتصاره في المشهور على رفع الضمير دون الظاهر وجه جمود في معموله[1].

منصوب التفضيل

لا ينصب أفعل التفضيل إلا التمييز النكرة، وقصوره عن نصب غيره جمود في معموله[2].

مجرور "كم"

مجرور "كم" لا يكون إلا اسما لازم التنكير، فهي مضاف، ومعمولها مضاف إليه، ولزومه تنكيره جمود فيه[3].

الأسماء المضافة الملازمة للإضافة

في العربية ألفاظ ملازمة للإضافة، ومنها أسماء تلازمها الإضافة إلى أشياء محددة، فإذا كان المضاف يعمل في المضاف إليه، فثمّ جمود في المعمول، وإليك هذه الأمثلة.

---

(١) انظر المقدمة المحسبة ٣٩٧ وشرح التسهيل ٣/ ٦٥ وشرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٧٨٧

(٢) انظر الكتاب ١/ ٢٠٣ وشرح السيرافي ٢/ ٦٦ والمقدمة المحسبة ٣٨٧ وشرح التسهيل ٣/ ٦٥ و٦٨ وفيها: "ولا ينصب أفعل التفضيل مفعولا به، بل يعدى إليه باللام إن كان متعديا إلى واحد كقولك: زيد أوعى للعلم، وأبذل للمعروف..".

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٢٣٢ وفيه: "ويخرج كل اسم لازم التنكير، كالمجرور بـ"كم"، واسم "لا" التبرئة، وخبرها، والحال، والتمييز المنصوب...".

إضافة "وحد"

تلزم إضافته، ولا يضاف إلا إلى ضمير، فمعموله - وهو المضاف إليه - لا يكون إلا ضميرا. وذا جمود في المعمول[1].

إضافة "كلا وكلتا"

لفظان ملازمان للإضافة، ويشترط فيما تضافان إليه أن يكون معرفة مثناة، فحالهما في جمود المعمول كحال الذي قبلهما[2].

معمول "إذا"

لا تضاف "إذا" عند البصريين إلا إلى جملة فعلية، فهو اسم يعمل في الجمل الفعلية عندهم دون غيرها، فعمله فيه قصور، وهذا هو الجمود النحوي[3].

وثمة أمور أخر في الأسماء الملازمة للإضافة، لكنّ فيما ذُكر - إن شاء الله - دلالة على الباقي.

الجمود في الإعراب الذي يأخذه المعمول

في المبحثين الأول والثاني كان الحديث عن جمود، له علاقة وطيدة بالعامل، وفي هذا المبحث ينصب الكلام على صورة أخرى من الجمود، إنها جمود الاسم في الإعراب الذي يأخذه، وهو إعراب لا علاقة له بالعامل، فمهما كان العامل سيكون للمعمول إعراب واحد، لا يفارقه.

وبعد النظر في المادة ظهر للباحث أنّ هذا النوع من الأسماء يكثر في المنصوبات، فله وجود في المفعول فيه والمفعول المطلق والحال، وكثرته فيها حسب ترتيبها، ويندر في المرفوعات، وينعدم في المجرورات، ولَمّا كانت الحال هكذا آثرت أن أعرض للمادة من خلال هذا التقسيم.

---

(١) انظر شرح التسهيل ٣/ ٢٤٠

(٢) انظر شرح التسهيل ٣/ ٢٤٠

(٣) انظر أوضح المسالك ٣/ ١٢٧

الأسماء الملازمة للرفع

لا زال قارئ البحث متذكرا لما تمّت الإشارة إليه في التمهيد من أنّ الجامد نحويا هو الملازم وجها واحدا، سواء أكان رفعا أونصبا، وليس الجمود النحوي مقصورا على المنصوبات، وذا شيء أشار إليه ابن مالك في قوله: " والمراد بالجمود المحض ملازمة وجه واحد من الاستعمال"[1] فما يلازم الرفع والنصب سيان في هذا الحكم، وليس الأمر -في ظني- كما يوحي به قول السيرافي وابن عصفور من أن الفيصل بين المتصرف وغيره هو دخول الرفع عليه[2].

ضمائر الرفع متصلة ومنفصلة

ضمائر الرفع متصلة ومنفصلة من الجامد الذي يلزم حالة إعرابية واحدة، وإن كانت مبنية[3].

"ما" في التعجب

في نحو قولك: ما أجمل التأمل، أجمعوا النحويون على أن "ما" مبتدأ، فهي ملازمة لهذا الإعراب في هذا التركيب، ولا تخرج منه إلى غيره، وذا جمود فيها[4].

---

(1)شرح التسهيل ٢/ ٢٣٩ وسبق نقله في التمهيد.

(2) انظر شرح الكتاب ١/ ٢٦٧ ففيه: " فالمتمكن منها ما يجوز أن يكون مرفوعا في حال نحو: اليوم، والليلة، وخلفك، وقدامك، لأنك تقول: اليومُ طيب، والليلة مظلمة، وخلفُك واسع، وغير المتمكن ما لا يدخله الرفع ولا يستعمل إلا ظرفا" و٢/ د ٢٩٥ وشرح ابن عصفور للجمل ١/ ٣٦ د فيه: " ويشترط في الظرف أن يكون تاما متصرفا، وأعني بذلك أن يجوز استعماله في موضع رفع..." فهذا يوحي بأن ما يستعمل مرفوعا فقط يصدق عليه مصطلح التصرف، وهو شيء جرى البحث على خلافه.

(3) انظر شرح التسهيل ١/ ١٦٧ ففيه حديث صرفي عن جمود الضمير، لكن ذا ليس محل النظر هنا، وهو من جملة الاهتمام بالجمود الصرفي دون الجمود النحوي.

(4) شرح الكافية للرضي ت المصري ٢/ د ١٠٠ وأوضح المسالك ٣/ ٢٥١ ومغني اللبيب ٢/ ٢٩٧

الأسماء الملازمة للنصب

وهي أكثر الأسماء في هذا الباب رواجا. وسيتم الحديث عنها عبر كل باب نحوي. والأبواب التي ترد فيها الأسماء هي باب المفعول به، والمفعول فيه، والمفعول المطلق، والحال. وفي كل باب ستُرد أمثلة - إن شاء الله - دالة إلا باب المفعول به، فلم يجد الباحث لها سوى شاهد واحد.

الأسماء الملازمة للنصب في باب المفعول به

إنها الأسماء التي اختصت بالنداء، وهي فُل، وملأمان، وملأم، ولُؤمان، ونومان، والمعدول إلى "فُعَل" في سب المذكر، وإلى "فَعالِ" في سب المؤنث[1].

ووضعتها في باب المفعول به، لأن المنادى إذا كان نكرة مقصودة فهو في محل نصب مفعولا به.

الأسماء الملازمة للنصب في باب المفعول فيه

أكثر ما تكون هذه الجوامد النحوية في باب المفعول فيه. ومن أمثلتها ما يلي:

عند

يلزم هذا الاسم النصب على الظرفية. يقول سيبويه: " ألا ترى أنك لو قلت: ولا على عندنا، لم يكن، لأن "عندنا" لا تُستعمل إلا ظرفا"[2].

سواء

جرى خلاف بين النحويين في "سواء". أهي ملازمة للظرفية أم غير ملازمة؟ لكن الذي يهمني هنا قول سيبويه: " ومن ذلك أيضا: هذا سواءَك.... فهذا بمنزلة مكانَك إذا

---

(1) انظر الكتاب ٢/ وشرح التسهيل ٣/ ٤١٩ وشرح الرضي ت الحفظي ١/ ١٢٦ وشرح الرضي ت المصري ١/ ٣٢٩

(2) الكتاب ١/ ٦٨ ولم يخرجه من الجمود جره بـ"من" انظر شرح التسهيل ٢/ ٢٣٤ و٢/ ١٢٨

جعلته بمعنى بدلك، ولا يكون اسما إلا في الشعر"[1] وعلى ما يُوحي به ظاهر كلام سيبويه جرى السيرافي فقال في قول الشاعر[2]:

ولا ينطقُ الفحشاءَ من كان منهمُ إذا جلسوا منّا ولا من سوائنا

: "وكان ينبغي ألّا يُدخل "مِن" على "سواء"؛ لأنها لا تستعمل إلا ظرفا"[3].

أسماء الإشارة للمكان

مما يلزم النصب على الظرفية أسماء الإشارة للمكان، وهي: هُنا، وهَنّا، وهِنّا، وثَمّ، وجميعها لا يفارق هذه الحالة الإعرابية[4].

أسماء الشرط الظرفية

تلزم أسماء الشرط الظرفية، وهي متى، وأيّان، وحيثما وأنى، وأين، النصب على الظرفية، وليس لها إعراب سواه[5].

ويُلحق بما تقدم: قطّ، وعوض، ودونك، وسحر، وصباحا، ومساء، وعشية، وعشاء - إذا أردت عشاء يومك ومساء ليلتك؛ لأنهم لم يستعملوه على هذا المعنى إلا ظرفا، وذات مرة، وبعيدات بين، وبَكَر، وضحوة، وليلا ونهارا، وذو صباح، وفوق، ومع، وحيث[6].

---

(1) الكتاب ١/ ٤٠٧ و١/ ٣١ وشرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٣٩٠ فيه: "وأما أسماء الشرط الظرفية، فلا تكون إلا منصوبة على الظرفية أبدا".

(2) البيت للمرار بن سلامة العجلي وهو في الكتاب ١/ ٣١ وشرح أبيات سيبويه ١/ ١٣٧ وخزانة الأدب ٤/ ٤٣٨

(3) شرح الكتاب ١/ ٢٥٦

(4) شرح التسهيل ١/ ٢٢٩ و٢/ ١٢٨

(5) شرح التسهيل ٤/ ٦٦ و٧١ و٧٢

(6) انظر في تفصيلها الكتاب ١/ ٢٢٥، ٢٢٦ وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ١١٩، ١٢٠ وشرح التسهيل ٣/ ٢٣٣ و٢٣٩ و١/ ٢٢٤ وشرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٤٧٥ و١/ ٤٢١ وأُشير في هامش التحقيق إلى خلاف في "حيث".

الأسماء الملازمة للمفعول المطلق

في باب المفعول المطلق مجموعة من المصادر لم تستعملها العرب إلا مفعولا مطلقا، ومنها: لبيك وسعديك، وحنانيك، وحذاريك، ودواليك، وهذاذيك، وسبحان الله، ومعاذ الله، وريحانه، وعمرك الله، وألبتة[1].

الأسماء الملازمة للحال

في العربية ألفاظ نقل النحويون أنّ العرب لم تستعملها إلا حالا، ومن تلك الأسماء: قاطبة، وطُرّا، وكافة، ووَحْدَ، وجهد[2].

وبهذا ينتهي الفصل الثاني، وفيه كان الحديث عن أنواع جمود المعمول، ولعل فيما أورده البحث من قضايا وأمثلة ما يرسم صورة لهذا الجمود في العربية.

* * *

---

(١) انظر الكتاب ١/ ٣٤٨ وما بعدها و٣٧٩ وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ٢٠٨ و٢١٣ و٢١٤ و ٢٣٧ و٢٦٦ و٢٦٩ وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٢٦د و٢/ ٤٩٥د وبعض هذه المصادر يجوز فيها أن تكون حالا ك: دواليك وهذاذيك. وتظل جامدة من حيث الإعراب الذي تأخذه وهو النصب، وإن اختلف توجيهه.

(٢) انظر الكتاب ١/ ٣٧٦ وما بعدها يقول سيبويه: "فصار "طرا وقاطبة" بمنزلة "سبحان الله" في بابه، لأنه لا يتصرف" والأصول ١/ ١٦٣ وما بعدها وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ٢٦٢-٢٦٣ وشرح التسهيل ١/ ٣٧٧ وفيه: "ما استعملت العرب "كافة" قط إلا حالا" وذكر فيها أيضا خلافا وشرح التسهيل ٣/ ٢٤٠ وفيه أن "وحد": "لا يكون إلا منصوبا على الحال" والغريب أن سيبويه قال في ١/ ٣٧٧: "وتقول: هو نسيج وحدِه" والكتاب ١/ ٣٧٣ وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ٢٦٠ فيه عن "جهد": "وهو في موضع الحال".

الخلاف بين القبائل العربية في الجمود

الجمود في العربية خلاف الأصل، جمودا صرفيا كان أونحويا، وقد جرى في أفراد هذا الجامد خلاف بين قبائل العرب، وهو خلاف يحسن حصره في أمرين، خلاف في الجامد جمودا صرفيا، وخلاف في الجامد جمودا نحويا، وعلى هذا سيجري الحديث هنا.

الخلاف في الجامد الصرفي

جرى خلاف بين العرب في "عسى"، وهي - على الأصح - فعل جامد، وأول خلاف روي فيها عنهم أنّ فريقا منهم - وهم عامة العرب كما قال سيبويه - يستعملها غير ملحقٍ بها الضمائر وعلامة التأنيث فيقول: عسى أن يفعل، وعسى أن يفعلوا، وعسى أن يفعلا، ومن العرب من يلحقها فيقول: سعيد عسى أن يقول، والرجلان عسيا أن يقولا، والرجال عسوا أن يقولوا، وهند عست أن تقول[1].

ومما نُقل فيه عن قبائل العرب خلاف "هلمّ"، إذ حُكي فيها لهم مذهبان، أولهما سبيل الحجازيين الذين يستعملونها غير متصلة بالضمائر، والآخر مسلك بني تميم الذي يُلحقون بها الضمائر فيقولون: هلمي، وهلما، وهلموا[2].

الخلاف في الجامد النحوي

وإذا كان المختلف فيه بين قبائل العرب من الجامد قليلا في الصرف فهو كذلك في النحو أيضا؛ لكن له صورا متعددة، لم يكن للأول منها نصيب، ومن تلك الصور:

الخلاف في تصرفه وجموده

مما اختلفت القبائل فيه بين الجمود والتصرف "ذو صباح"، فعامة العرب تُلزمه الظرفية نحو: لقيته ذا صباح، وخثعم تستعمله ظرفا وغير ظرف فيقال على لغتهم: سِري عليها ذو صباح، قال شاعرهم[3]:

---

(1) الكتاب ٣/ ١٥٨

(2) الكتاب ٣/ ٥٢٩ وشرح كتاب سيبويه ٢/ ١٤٢

(3) البيت في الكتاب ١/ ٢٢٦ معزو إلى رجل من خثعم وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ١٢٢ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٨٨ وشرح التسهيل ٢/ ٢٠٣ ورجح في الخزانة ٣/ ٩١ عزوه إلى أنس بن مدرك الخثعمي.

عزمتُ على إقامةِ ذي صباح لأمرٍ ما يُسوَّدُ مَنْ يسودُ[1].

ومثل "ذو صباح" "حيث" في اختلاف قبائل العرب حولها. فعامة العرب أنها ملازمة للنصب على الظرفية. ورُوي إعرابها عن فقعس فيقولون: جلست حيثَ كنت. وجئت من حيثِ جئت[2].

ومثل ذين "قضها بقضيضها". فمن العرب من يجعله حالا على كل حال فيقول: جاءت تميم قضَّها بقضيضها. ومنهم من يجعله تابعا في الإعراب فيقول: جاءت تميمٌ قضُّها بقضيضها[3].

الخلاف بين القبائل في أمور أخر

مما حُكي فيه خلاف بين القبائل العربية "أفعل التفضيل" فالمشهور فيه عدم رفع الاسم الظاهر إلا بشروط، لكن يونس حكى عن بعض العرب أنهم يرفعون به الظاهر دون شرط. فيقولون: مررت برجل أفضل منه أبوه[4].

ونقل عن القبائل العربية خلاف في حركة العين "عند". فالشهير كسرها. ومنهم من يفتحها. وآخرون يضمونها[5].

ومما حكاه الجرمي في "ما عدا وما خلا" أن بعض العرب يجر بهما. والمشهور نصب المستثنى بعدهما لا جره[6].

---

(1) انظر الكتاب ١/ ٢٢٦ وما بعدها وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ١٢٢ وشرح التسهيل ٢/ ٢٠٣

(2) انظر شرح التسهيل ٢/ ٢٣٣ ويعزى إليها الجمود مع جرها بـ"من"، لأنها لا تخرج عن هذين الاستعمالين

(3) انظر شرح الكتاب للسيرافي ٢/ ٢/ ٢٦١ وهذا المثال يختلف عن سابقيه، إذ لم يُصرح السيرافي بالقبائل.

(4) انظر الكتاب ٢/ ٣٤ لم يذكر سيبويه يونس وقال عن هذا: "وهي لغة رديئة" وشرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٧٨٦ وما بعدها

(5) انظر شرح التسهيل ٢/ ٢٣٥ الخلاف هنا غريب، إذ يُظن بالجامد صرفا ونحوا أن يخلو من مظاهر التصرف.

(6) انظر شرح التسهيل ٢/ ٣١٠

ومن خلال هذه النماذج يظهر أن الخلاف بين القبائل العربية لم يكن منه شيء في حركة المعمول داخل التركيب اللغوي. فليس هناك قبيلة عَزي إليها مثلا أن المفعول معه يجوز تقديمه على عامله. وكذا لم يُرو عن قبيلة أن معمول فعل التعجب يتقدم عليه. ويخرج البحث من هذا تقريبا بأنّ الجمود في حركة المعمول متفق عليه تقريبا بين عامة القبائل. وما فيه من خلاف فمرده إلى المسموعات الفردية عن أهل تلك القبائل. ومما يُثار هنا أن النحويين لم يحرصوا على إيضاح هذه المسموعات الفردية. أهي شيء فاشٍ في القبائل كلها أم مقصورة على فرد أوأفراد من قبيلة ما؟ وبادي الرأي الذي يُستأنس به أنهم حين سكتوا أرادوا أن هذه الظاهرة أوتلك لها ذيوع في القبائل كلها، لكنه يبقى استئناسا.

الخلاف بين النحويين في أفراد الجمود

لم يكن الخلاف في أفراد الجمود مقصورا على العرب وقبائلها. فالنحويون كان لهم نصيب كبير في هذا الصدد. ويحسن عرض صورة خلافهم عبر نموذجين، الأول يتناول الخلاف بينهم في الجمود الصرفي. والثاني يدور فيه الخلاف على الجانب النحوي.

الخلاف الصرفي في الجوامد بين النحويين

من غرائب الخلاف . وهي الحالة الوحيدة في ظني . أن ابن عصفور يذهب إلى أنّ أخوات "كاد" متصرفات إلا "عسى". ويتجه في طريق آخر ابن مالك. فيرى أنهن يُلازمن لفظ المضي إلا "كاد وأوشك"[1].

الخلاف النحوي في أفراد الجمود بين النحويين

كثرت مسائل هذا النوع من الخلاف. فكان حسنا أن تعرض في ثلاث صور، الأولى تدور حول حركة المعمول الجامد ومعمول الجامد. والثانية تتناول استعماله. والثالثة تدرس خلافهم في إعرابه.

---

(1) انظر شرح ابن عصفور ٢/ ١٧٧ وشرح التسهيل ١/ ٣٨٩ و ٣٩٠

خلافهم في حركة معمول الجامد والجامد

جرى خلاف ـ سبق الحديث عنه ـ بين النحويين في حركة معمول "ليس". فمن النحويين من منع تقدم خبرها، ومنهم من أجازه[1].

ومما جرى فيه خلاف بين النحويين تقديم معمول عامل وقع بعد الفاء نحو: أمّا زيدا فإني ضارب. فمنعه الأكثرون، وأجازه الكسائي والفراء[2].

ومثل ذين الخلاف حول تقديم المفعول معه على العامل في مصاحبه. فالنحويون كلهم منعوه إلا أبا الفتح فقد أجاز ذلك[3].

ومما اختلفوا فيه تقديم الحال على عامله المعنوي، إذا كان ظرفا أوجارا ومجرورا. فمنعه سيبويه، وأجازه الأخفش بشرط تقدم المبتدأ على الحال نحو: زيد قائما في الدار[4].

خلافهم في استعمالهما (العامل الجامد والمعمول)

اختلفوا في نيابة الظرف الجامد عن الفاعل، فمنعوه إلا الأخفش أجاز نحو: قُعِد عندك[5].

ونقل عنهم خلاف في تنازع فعلي التعجب، فمنعه فريق، وأجازه آخر، وأيدهم الرضي نحو: ما أحسن وما أكرم زيدا[6].

---

(1) انظر الإنصاف ١/ ١٦٠ والمقدمة المحسبة ٥ د ٣ وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٨٨ وتوجيه اللمع ١٣٩ والمساعد ١/ ٢٦٢

(2) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢/ ٢٧٩

(3) شرح الكافية للرضي ت الحفظي ٢/ ٦١٩

(4) شرح التسهيل ٢/ ٣٤٦ وفيه: "والصحيح جوازه محكوما بضعفه" وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ٢/ ٦٥٢

(5) شرح التسهيل ٢/ ١٢٨ وفيه: "وأجاز الأخفش نيابة الظرف الذي لا يتصرف... ومذهبه ضعيف" وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٢٤٦ وفيه: "وليس بوجه".

(6) شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٢٣٧ وما بعدها.

ومما اختلفوا فيه الأسماء الملازمة للنداء. إذ روى ابن سيده أنه يقال: رجل مكرمان، وملأمان، وامرأة ملأمانة. وذا خلاف المشهور[1].

وحكي عن الكسائي أن الخبر الجامد يتحمّل الضمير أبدا. وهو خلاف الرأي المشهور عن النحويين[2].

خلافهم في إعراب الجامد

مما اختلف فيه النحويون إعراب الجامد، فمن ذلك خلاف أشار إليه الرضي في خروج "إذا" عن الظرفية[3].

ومما اختلف في إعرابه من الجامد "وحده" فالمشهور أنه مصدر منصوب على الحال، وعُزي للكوفيين أن انتصابه على الظرفية[4].

ومثله "معا" ففي إعرابه مذهبان، الأول أنه منتصب على الحال، والآخر على الظرفية[5].

ومما جرى في إعرابه خلاف من الجامد "كافة". فالمشهور عن النحويين أنه ملازم للحالية، وخالف في ذلك الزجاج والزمخشري فأجازا أن تستعمل غير حال[6].

الجمود الذاتي والعلاقي

ليس في هذا المبحث شيء جديد، هو إعادة لما سلف، لكن من خلال نافذة جديدة، نافذة نتعرف من خلالها على أنّ الجمود له نوعان، ذاتي لا علاقة له بالتركيب

---

(١) شرح التسهيل ٣/ ٤٢٠

(٢) شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٢٩٢ وحاول الرضي تفسير رأيه بتأويل الجامد بالمشتق.

(٣) شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣١٣ حيث قال: "فإن "إذا" الظرفية غير متصرفة على الصحيح".

(٤) شرح التسهيل ٣/ ٢٤٠ وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ٢/ ٦٤٧ قال الرضي في تفسير مذهب الكوفيين: "أي لا مع غيره".

(٥) شرح الكافية للرضي ت الحفظي ٢/ ٦٤٧

(٦) شرح التسهيل ٢/ ٣٢٧

اللغوي. وعلاقي يقف وراءه التركيب اللغوي. وكلا النوعين لهما مظاهر. يتضحان من خلالها.

الجمود الذاتي

هذا الجمود يخص المفردات دون تركيبها. فهي جامدة قبل التركيب وبعده، وليس للتركيب أثر عليها. ويتضح هذا النوع من خلال أمور ثلاثة، أولها جمود إعرابي في المفردات. وثانيها جمود استعمالي فيها. وثالثها جمود في حركة هذه المفردات داخل التركيب.

ففي الأمر الأول نجد الظروف التي لا تُفارق الظرفية كـ: عند، وقط، وعوض، وهنا، وفوق، وتحت، ولدى، وبين بلا إضافة، وحوال[1].

ومثل الظروف المصادر المثناة كـ: لبيك وسعديك، وحنانيك، وهذاذيك، وسبحان، ومعاذ الله[2].

ومثل هذه المصادر ألفاظ لزمت الحالية كـ: كافة، وقاطبة، وطرا، ووحد[3].

وفي الأمر الثاني، وهو الجمود الاستعمالي، يجد الناظر في كتب النحو ما لا يُستعمل إلا منفيا كـ: أحد، وكرّاب، وعريب[4].

ويعثر على مالا يثنى ولا يجمع ولا يُصغر كـ: الآن[د].

---

(1) انظر الكتاب ١/ ٦٨ و٢/ ٢٦٨ وشرح التسهيل ١/ ٢٢٩ و١/ ٣٢٤ ٤/ ٧٢ وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ د٢٨٣ و٢/ ٢٩٢د ود٩د و٩٨د وشرح الكافية ت المصري ١/ ٤٧١ ود٤٧

(2) انظر الكتاب ١/ ٣٤٩ وشرح الكتاب للسيرافي ٢/ ٢١٣ و٢١٤ و٢١٩ و٢٣٧ وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٨٦

(3) انظر الكتاب ١/ ٣٧٦ وما بعدها والأصول ١/ ١٦٣ وما بعدها شرح الكتاب للسيرافي ٢/ ٢٦٢ وشرح التسهيل ٢/ ٣٧٧ و ٣/ ٢٤٠ وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ٢/ ٦٩٠

(4) انظر الكتاب ٢/ ١٨١ وشرح السيرافي له ١/ ٣٨١ وشرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٢د د وذكر فيه الرضي ألفاظ أخر.

(د) انظر شرح التسهيل ٢/ ٢١٩

وفي الثالث، وهو حركة المفردات داخل التركيب، نجد الألفاظ الملازمة للتصدر في الجملة كـ: كمْ، وحرفي الاستفهام هل والهمزة، وحروف التحضيض: هلّا، وألا، ولولا، ولوما، وما وإنْ من أدوات النفي، وأسماء الاستفهام كـ: من، وأي، وأين[1].

ومثل ما تقدم المفعول معه، إذ يلزم فيه التأخر دائما، ولا علاقة لهذا بالعامل[2].

إنّ هذه الأمثلة من العربية ـ على اختلاف أشكالها ـ تشهد للجمود الذاتي الذي يصيب المفردة نفسها، ويُلازمها ملازمة لا تنفك عنها.

الجمود العلاقي

يدور الحديث هنا عمّا يصيب المفردة بعد دخول التركيب من جمود، ويمكنني أن أُبرز هذه الحالة من خلال عنصرين؛ الأول يكون فيه جمود المفردة مرده إلى العامل، والثاني معاده إلى عارض داخل على التركيب، لكنه ليس بعامل.

فمن الأول المفردات التي يكون العامل فيها حرفا كـ: ما وأخواتها المشبهات بـ"ليس"، وإنّ وأخواتها، ولا النافية للجنس، وحروف الجر، ونواصب المضارع، وجوازمه. فهذه العوامل تُدخل على التركيب جمودا بعد دخولها عليه، فالجملة الاسمية نحو: سعيد حاضر، مفرداتها ذات حرية في التقديم والتأخير، لكن إن دخلت عليها "ما" وأخواتها أوإن وأخواتها جمدت حركة المعمولين، ولم يجز تقدم الخبر على الاسم.

ومثل ذا يجري في "لا" النافية للجنس؛ لكنها تجمع على التركيب جمودين، جمودا في الحركة، وجمودا في النوع، فلا يتقدم فيها الخبر على الاسم، ولا يكون اسمها وخبرها إلا نكرة.

ومثلما تقدم حروف الجر، فلا يفصل بينها وبين المجرور، ويختص طائفة منها بمجرور محدد كـ:رب في جره النكرة، ومذ ومنذ في جر الزمان[3].

---

(1) انظر شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٢٣ وما بعدها وثمة أمور أخر أشار إليها الرضي.

(2) انظر شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٩٤

(3) ما ذكر يجلب معه جمودا في التركيب اللغوي ـ تقدم بعضه في البحث ـ فليست بحاجة إلى إحالة.

ومثل هذه العامل إذا كان فعلا جامدا، فبه يصيب التركيب جمود. ومن تلك الأفعال: ليس، وهبْ، وتعلمْ، ونعم وبئس، وفعل التعجب. فالثلاثة الأُول والأخير تجلب معها جمودا في حركة المعمولات. ونعم وبئس تجلبان معها جمودا في نوعه.

وشبيه بذين إذا كان العامل اسما كأسماء الأفعال، وأسماء الشرط، والاسم الجامد الناصب للتمييز. فهذه الثلاثة تثبت أجزاء التركيب. فلا يتقدم المفعول به على اسم الفعل. ولا يتقدم مفعول فعل الشرط على الفعل نفسه نحو: من يذاكر دروسه ينجح. ولا يتقدم التمييز المنصوب بالجامد عليه نحو: عندي عشرون قلما.

ومن الاسم العامل الذي يدخل على معموله الجمود المضاف إليه، لأنه لا يعمل فيما قبل المضاف ففي نحو: زيد حين تكرمه يفرحُ. يجب رفع "زيد"، لأن نصبه بالفعل "تكرم" حين حَذْفِ الضمير يعني أنك قدمت مفعول الفعل الواقع مضافا إليه الظرفُ على المضاف، وهذا لا يجوز[1].

هذه شواهد فيها غُنية، يتضح من خلالها ما يصيب التركيب من جمود بعد دخول هذه العوامل عليه، وهذا الجزء الأول من الجمود المسمى علاقيا. وأما الثاني فمداره على ما يدخل على التركيب اللغوي، ويُحدث فيه جمودا، وليس بعامل.

من ذلك - وهو طريف - أن الفعل المؤكد بإحدى نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة لا يجوز أن يتقدم عليه مفعوله نحو: أكرمنّ زيدا، فلا يجوز تقديم "زيد" على الفعل[2].

ومثله أنّ الفعل الواقع صلة لحرف لا يتقدم مفعوله عليه نحو: عجبت من أن ظلمت زيدا، فلا يجوز تقديم "زيد" على الفعل، لأن الفصل بين الموصول الحرفي وصلته لا يجوز[3].

---

(١) انظر شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٥٢٥

(٢) انظر شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٩٤

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٩٥

وفي حكم ما تقدم "ما وإنْ" النافيتان، فلا يتقدم ما في حيزهما عليهما، فلا يجوز أن تقول: محمدا ما أكرمت[1].

ويُلحق بتلك أدوات التحضيض فليست بعوامل، لكن دخولها على الجملة يصير معمول الفعل فيها جامدا، فلا يتقدم على الأداة نفسها؛ لأن لها الصدارة في الجملة، ولا يتقدم على مدخولها؛ لأنها مختصة بالدخول على الأفعال[2].

ولعل البحث بهذه الشواهد جلّى هذه النافذة التي نُظر من خلالها إلى الجمود.

ما يُعارض الجمود

الجمود لم يكن الأصل في الألفاظ، نحويا كان أم صرفيا، وإلى ما تقدم فإنّ في العربية مظاهر تعكر الصفو على الجمود، وتضعفه، وتغلّب جانب التصرف عليه، فمن ذلك أمران؛ كون الشيء أمّا لبابه، وكثرة الاستعمال، وسيسعى البحث من خلال هذين أن يكشف معارضتهما للجمود.

في الأول تجدون "إنْ" الشرطية؛ إذ يجوز فيها أن يليها معمول شرطها نحو: إنْ زيدا تره تضرب، جاء في الكتاب: "وإنما أجازوا تقديم الاسم في "إنْ" لأنها أم الجزاء ولا تزول عنه"[3].

وأشار ابن الخباز إلى وجه آخر يبرز أمية "إنْ" الشرطية، وهو أنّها الحرف الوحيد الذي يدخل على الماضي والمضارع من بين حروف الجزم الخمسة، وما كان ذلك الاتساع لولا أنها أصل الجوازم[4].

ومثل "إنْ" الشرطية الهمزةُ في الاستفهام، فسيبويه قرنهما معا في المنقول عنه سلفا، فكان مما جاء في حديثه قوله: "فصار ذلك فيها كما صار في ألف الاستفهام ما لم

---

(1) انظر شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٢٤د

(2) انظر شرح التسهيل ٤/ ١١٣ وشرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٣٢٣د

(3) الكتاب ١/ ١٣٤ و٣/ ٦٣ و٣/ ١١٢ و١١٣ والسيرافي ٣/ ٤٨٢ وتوجيه اللمع ٣٧١ وسعى ابن الخباز إلى التدليل على أن "إن" أم الجزاء، فليراجعه من يريده.

(4) انظر توجيه اللمع ٣٧٠

يجز في الحروف الأخر"[1] ووصفها السيرافي بأم حروف الاستفهام. وظهرت أميتها عنده في أنها تدخل على الاستفهام في مواضعه كلها. وغيرها تلزم موضعا وتختص به. فـ"مَنْ" مثلا يستفهم به عن العاقل[2].

وذكر السيرافي وجها آخر. اكتسبته الهمزة بأميته. وهي أن الاسم يجوز أن يليها نحو: أزيدا أكرمت. وذا لا يجوز في أخواتها فلا يجوز: هل زيدا أكرمت[3].

وتُلحق بما تقدم "يا" النداء. فإنها حين كانت أما لحروفه جاز فيها وحدها أن تُستعمل في الاستغاثة والتعجب[4].

وشبيه بما تقدم "أنْ" الناصبة للمضارع. فهي أم النواصب وأصلها. ولذا عملت ظاهرة ومضمرة[5].

إنّ هذه الشواهد والنماذج كشفت ما تحققها الأمية للفظ من تصرف هو خلاف الأصل فيه.

وفي كثرة الاستعمال وأثرها يقع البحث على قول سيبويه: "وغيّروا هذا؛ لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره... فالعرب مما يُغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره" فكثرة الاستعمال تُتيح للفظ شيئا لم يكن لغيره. هذه قاعدة كلية يحكيها سيبويه عن العرب، ومن شواهدها حذف اسم "لا" النافية نحو: لا عليك[6].

---

(1) الكتاب ١/ ١٣٤

(2) انظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١/ ٤٠٦ وما بعدها وقد أطال السيرافي في المقارنة.

(3) انظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١/ ٤٦٦ و٤٨٢ وما بعدها.

(4) انظر شرح الكافية للرضي ت الحفظي ١/ ٤١٨ وصرح بأميته في ٤٩٤ قائلا: "لا يستعمل فيه إلا حرف النداء المشهور. أعني "يا" كما ذكرنا دون أخواتها. لأنها أمها. فتصرفت. ودخلت في جميع أنواعه".

(5) انظر توجيه اللمع ٣٦٠ وما بعدها وأشار ابن الخباز إلى وجه آخر تتضح فيه أمية "أن" وهو دخولها على الماضي. لكن "إذن". كما قال. تشاركها في ذلك.

(6) انظر الكتاب ٣/ ٢٨٩ فيه: "ومثل الحذ في أول لكثرة استعمالهم إياه قولهم: لا عليك" وشرح التسهيل ٢/ ٥٧

وقريب مما تقدم رأي الكوفيين في فعل الأمر نحو: قم، فإنهم يذهبون إلى أنه مضارع مجزوم باللام، أصله: لتقم، لكن كثرة استعمال الأمر جوّزت التصرف في الحرف الجازم فحذف[1].

استخدام الجمود دليلا

يتم تعليل قصور بعض العوامل بالجمود كأن يقال: إن الأفعال الجامدة لا تعمل في مصدر ولا ظرف، لأنها لا تتصرف في نفسها[2]. وهذا شيء شهير، لكن الحديث هنا مقصور على المواضع التي جعل النحويون فيها الجمود دليلا على ترجيح أمر على آخر. وهو - على وقوعه - كان على نطاق ضيق.

فمن استخدام الجمود دليلا أنّ من يرى حرفية "ليس" استدل على مذهبه بجموده[3].

ومنه أن ابن مالك ردّ على ابن عصفور جعله "هَنّا" اسم "لات" في قول الشاعر[4]:

حنّتْ نوارِ ولات هَنّا حنّتِ   وبدا الذي كانت نوار أجنّتِ

قائلا: "وما قاله غير صحيح، لأن "هَنّا" ظرف غير متصرف"[5].

ومما احتج به النحويون على أن أسماء الأفعال ليست أفعالا أنّها لا تتصرف تصرف الأفعال[6].

وشبيه بهذا ما احتج به الكوفيون في أن لام "لعل" الأولى أصلية، فقد كانت حجتهم أن الأصل في الحرف عدم التصرف بالزيادة[7].

---

(1) انظر الإنصاف ٢/ ٥٢٨ وأسرار العربية ١٦٦

(2) انظر المقدمة المحسبة ٣٧٧

(3) انظر شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٧٨ وهو مذهب معزو إلى الفارسي

(4) البيت مختلف فيه فقيل لشبيب بن جُعيل التغلبي وقيل لحَجْل بن نضلة، وهما جاهليان. في الخزانة ٢/ ١٥٦ وشرح أبيات مغني اللبيب ٧/ ٢٤٧ والدرر ١/ ١٣٥

(5) شرح التسهيل ١/ ٣٧٩

(6) انظر شرح الكافية للرضي ت المصري ١/ ٢٩١

(7) انظر شرح الكافية للرضي ت المصري ٢/ ١٢٩٥ ومذهب البصريين أنها زائدة وحجتهم كثرة التصرف فيها.

وبهذه الشواهد الأربعة يظهر لجوء النحويين إلى استخدام الجمود دليلا فيما وقع فيه الخلاف، وبهذا الحديث أيضا يقفل البحث أبوابه. بحمد الله ..

* * *

الخاتمة

البحث سفر قلم عبر مساحات شاسعة من الصفحات والأسطر، لكنه سفر يملأ به القلم مزادة صاحبه، وينتهي به إلى نهايات ما كان يظنها واقعة. ولما كانت تلك النهايات زبدة البحث وحصيلة جهد صاحبه كان من الأليق به أن يعيد التذكير بها في خاتمته، وإن كان ذلك لا يغني القارئ عن قراءة تلك النتائج في سياقها التي ورد فيه. ففي السياق تكون الأمور أكثر وضوحا وأجلى بيانا.

إنّ مما خرجت به أنّ مفهوم الجمود الصرفي فيه شيء من الارتباك. فتارة يكون الجمود عدم اشتقاق اللفظ من غيره، وتارة أخرى يكون عدم الاشتقاق منه. وارتضيت في البحث أن أتّكئ على جمع لهذين الأمرين، وبهذا جرى الحديث هناك. فكان الجمود نقص اللفظ في تصرفه عن غالب جنسه.

ومما دفع البحث إليه أن الجمود النحوي أضحى أكثر اتساعا، فكان كل قصور في اللفظ من حيث الاستعمال يعد جمودا نحويا، فأضحى الجمود نوعين، جمودا في العامل، وجمودا في المعمول.

ومما دفع نحوه البحث . وإن خالفت فيه أئمة قبلي . أنّ ملازم الرفع من الألفاظ يُعد جامدا أيضا، وليس الجمود بمقصور على ملازم النصب والجر. ومما دفعني إلى ذلك أنني لم أجد مسوغا لاستبقاء ملازم الرفع بعيدا عن دائرة الجمود.

ومما ألمح البحث إليه أنّ الجمود الصرفي للعامل يُلقي بظلاله على التركيب اللغوي، فتنعدم حرية حركة المعمولات أو تقل، لكنه أمر تختلف في العوامل، وإن كانت كلها في الجمود سواء. وكل ذلك يكشف أن ليس هناك قاعدة عقلية واحدة تُفسر هذه الظاهرة، فثمة جامد يخالف غيره، فيتصرف في أمور لم تُتح لغيره، مما يجعل اللغة عصيّة على التناول الذهني، فسعي الإنسان للإمساك بها صعب.

وكان من حصيلة البحث الانتباه إلى أنّ الجمود . وهو سبب من أسباب ضعف العامل . أضحى في مكان آخر سبب قوة، وكانت تلك الحال حين جعل النحويون أن

الأصل في الحرف العامل أن يكون مختصا، والاختصاص عند الباحث لم يكن سوى الوجه الآخر لعملة الجمود.

ومما جناه النظر في هذا الموضوع أنّ ظاهرة الجمود - وإن كانت خلاف الأصل - فقد جرى فيها خلاف بين العرب، وخلاف بين النحويين، فوقع البحث خلال رحلته على ألفاظ اختلفت في جمودها العرب، وألفاظ اختلف النحويون حولها.

وكان مما خلص إليه البحث أنّ هناك أمورا تُعيد الجامد إلى التصرف، وكان منها أمية اللفظ في بابه، وكثرة استعماله.

وإذا كانت تلك الخلاصات مبثوثة في البحث فإني أرى أن تكون ظاهرة الجمود محل عناية حين التعليم، فتُجمع للمتعلم أطرافها، ويُلمّ شملها؛ إذ بها - وهي خلاف الأصل - يظهر لدارس اللغة ما لا يجوز له في معمول عامل ما، وما لا يجوز له في حركة ذلك المعمول، وما لا يجوز له في إعرابه.

وفي نهاية هذه الخاتمة أسأل الله - تعالى - أن يجعل فيما كان خيرا لقارئه وكاتبه، وأسأل أن يصلي على حبيبه ومصطفاه.

* * *

مصادر البحث ومراجعه

. القرآن الكريم.

ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان. ت د. رجب عثمان. ط الأولى ١٤١٨هـ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

. أسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري. ت محمد حسين. ط الأولى ١٤١٨هـ دار الكتب العلمية بيروت.

. الأصول لابن السراج. ت د. عبد الحسين الفتلي. ط ٣ ١٤٠٨هـ مؤسسة الرسالة بيروت.

. الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن الأنباري. إخراج محمد محيى الدين. ط ١٤٠٧هـ المكتبة العصرية بيروت.

. أوضح المسالك لابن هشام. إخراج محمد محيى الدين. دون ط. دون سنة. دار الفكر بيروت.

. التذييل والتكميل لأبي حيان الأندلسي. ت د. حسن هنداوي. ط الأولى ١٤٣٠هـ دار كنوز إشبيليا المملكة العربية السعودية.

. التصريح على التوضيح. لخالد الأزهري. دون ط. ودون سنة. دار الفكر.

. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش. ت د. علي فاخر وجابر البراجة وإبراهيم العجمي وجابر مبارك وعلي السنوسي ومحمد نزال. ط ١ ١٤٢٨هـ دار السلام مصر.

. توجيه اللمع لابن الخباز. ت د. فايز دياب. ط الأولى ١٤٢٣هـ دار السلام القاهرة.

. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي. ت عبد السلام هارون. ط ٢ ١٤٠٢هـ مكتبة الخانجي مصر.

. الخصائص لابن جني. ت محمد النجار. دون ط. ودون سنة. دار الكتاب العربي بيروت.

. الدرر اللوامع لأحمد الشنقيطي. إعداد محمد باسل السود. ط ١ ١٤١٩هـ دار الكتب العلمية بيروت.

. شرح أبيات سيبويه. لأبي محمد بن السيرافي. ت محمد علي سلطاني. ط ١٩٧٩م. دار المأمون دمشق.

. شرح التسهيل لابن مالك. ت د. عبد الرحمن السيد ومحمد المختون. ط ١ ١٤١٠هـ هجر للطباعة والنشر مصر.

. شرح الجمل لابن عصفور. ت د. صاحب أبو جناح. دون ط. ودون سنة.

. شرح قطر الندى لابن هشام. إخراج محمد محيى الدين. دار الفكر.

. شرح الكتاب للسيرافي. إخراج أحمد حسن مهدلي وعلي سيد. ط ١ ١٤٢٩هـ دار الكتب العلمية بيروت.

ـ شرح الكافية للرضي. ت د. حسن الحفظي. ط ١ ١٤١٤هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.

. شرح الكافية للرضي. ت د. يحيى المصري. ط ١٤١٧١هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.

. شرح اللمع لابن برهان العُكبري، ت د. فائز فارس. ط ١٤٠٤١هـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

. شرح المقدمة المُحسبة لطاهر بن أحمد بن بابشاذ. ت خالد عبد الكريم. ط ١٩٧٧١م. المطبعة العصرية الكويت.

. الكتاب لسيبويه. ت عبد السلام هارون. ط١٩٧٧٢م. مكتبة الخانجي مصر.

. المساعد لابن عقيل. ت د. محمد كامل بركات. ١٤٠٠هـ جامعة الملك عبد العزيز. دار الفكر دمشق.

ـ المقتضب للمبرد. ت محمد عبد الخالق عضيمة. ط ٢ ١٣٩٩هـ وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى لإحياء التراث. لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة.

* * *

مرويات أبي ثروان العكلي
وأثرها في النحو والتصريف

د. عبدالعزيز بن ناصر الخريف
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مرويات أبي ثروان العكلي وأثرها في النحو والتصريف

د. عبدالعزيز بن ناصر الخريف
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يمثل هذا البحث أول دراسة متخصصة في مرويات أبي ثروان العكلي (عاش في النصف الآخر من القرن الثاني الهجري)، وهو من أهم رواة المذهب الكوفي. إذ عاصر الفراء (ت٢٠٧هـ)، وعنه أخذ اللغة والغريب. وقد تبين لي أن أبا ثروان لم يكن من الرواة المعدودين المشهورين بكثرة ما روي عنهم. كما أنه لم يحظ أبو ثروان بنصيب من دراسات سابقة، إذ لم يذكره الشيخ عبدالقادر المغربي ضمن فصحاء العرب. ولم يعرض له د. عبدالحميد الشلقاني إلا في مواضع قليلة. كررها بين كتابيه مصادر اللغة ورواية اللغة. فكان ذلك حريًا بأن أدرس مروياته وأثرها النحوي والتصريفي. وقد قسمت البحث ثلاثة مباحث مسبوقة بتمهيد عن سيرته وآثاره. هي: أولا: أنواع مرويات أبي ثروان وتوثيقها. ثانيًا: حجية الاستشهاد بمرويات أبي ثروان عند البصريين والكوفيين. ثالثًا: أثر مرويات أبي ثروان في النحو والتصريف. تلا ذلك الخاتمة التي عرضت فيها نتائج البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، أما بعد

فإن من نعم الله عز وجل على اللغة العربية أن يسَّر لها عوامل حفظها وبقائها، ووفَّر لها العلماء الذين تولوا تدوينها وإرساء قواعدها على مر العصور، ولم يكن العلماء وحدهم المؤثرين في تدوين علوم اللغة العربية، بل كانت لديهم مصادر متعددة، من أبرزها الأعراب الفصحاء الذين أخذوا عنهم اللغة والمرويات الشعرية والنثرية.

وقد لحظت في أثناء بحثي في مصادر النحو واللغة تردد أسماء بعض الأعراب، فانتقيت منهم أبا ثروان العكلي، فبحثت عنه، وجمعت مروياته، فأدركت أن له حظًا من التأثير، وإن لم يكن من الرواة المعدودين المشهورين بكثرة ما روي عنهم.

وإنما اخترت أبا ثروان العكلي مجالا للدراسة لعدم وجود دراسات مختصة عنه على الرغم من تقدم زمنه، فآثرت إبراز أثر مروياته، والتعريف بمصدر من مصادر اللغة والنحو والتصريف، وإن كان في الغالب مصدرًا للنحو الكوفي، الذي أيضًا استحق مني عناية خاصة، إذ لم أبحث في علومه وخصائصه ومصادره من قبل.

ولم يحظ أبو ثروان بنصيب من دراسات سابقة، إذ لم يذكره الشيخ عبد القادر المغربي ضمن فصحاء العرب[1]، ولم يعرض له د. عبدالحميد الشلقاني إلا في مواضع قليلة، كررها بين كتابيه مصادر اللغة ورواية اللغة[2]، وترجم له بعرض بعض مروياته في كتابه الأعراب الرواة[3]، ولم أقف على دراسة مستقلة عنه، فكان ذلك حريًا بأن أدرس مروياته وأثرها النحوي والتصريفي.

---

(1) انظر: فصحاء العرب / عبدالقادر المغربي.- دمشق: مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٩، ج٣، رمضان ١٣٤٧هـ - آذار ١٩٢٩م.- ص١٤٠-١٥٩.

(2) راجع: مصادر اللغة: ٤١٤، ٤٧٠، ووزان بما في رواية اللغة: ١٦٨- ١٦٩.

(3) راجع: ١٨١-١٨٣.

أسأل الله الإعانة والتوفيق، وأن يرزقني الصواب والسداد في القول والعمل.

تمهيد: سيرة أبي ثروان العكلي

يعاني الباحث في تراجم الأعلام السابقين، وبخاصة الأعراب واللغويون من عدم توافر تراجم كافية، ولعلها كانت في كتب تراجم فُقِدت ولم تصل إلينا[1]، ومن خلال بحثي في سيرة أبي ثروان وجدت المصادر ترجع إلى ترجمة أبي الفرج محمد بن إسحاق النديم البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، والتي كانت محدودة، في قوله عنه في سياق تعداد أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء: ((الوحشي، أبو ثروان العكلي، من بني عكل، أعرابي فصيح، يعلم في البادية، كذا ذكر يعقوب بن السكيت (ت٢٤٦هـ)، وله من الكتب كتاب خلق الإنسان، كتاب معاني الشعر))[2].

ومن هذه الترجمة وما ذكره العلماء بعده يمكن أن أعرض أبرز ملامح سيرته على النحو الآتي:

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه

لم تقف بنا المصادر على اسمه، ولكن اقتصرت على كنيته ونسبته إلى بني عكل، وعكل اسم امرأة حضنت ولد عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبدمناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهي أَمَة لهم، وأمهم بنت ذي اللحية بن حِمير، وبنو عوف بن وائل: الحارث وجشم وسعد وعدي وقيس، فكل من ولده واحد من هؤلاء كان عكليّاً[3].

وقد وُصِف بالوحشي[4]، وبالبدوي[5].

---

(١) انظر: تاريخ التراث العربي، مج٨، ج١، علم اللغة، ص٢٥ وما بعدها.

(٢) الفهرست: ٦٩.

(٣) انظر: الطبقات لابن خياط: ٤٠، معجم الأدباء: ٢/ ٣٦٩، وفيه: ... بن عبدمناف (بدل عبدمناة)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ٣٧٠.

(٤) انظر: الفهرست: ٦٩، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ١٠٥.

(٥) انظر: النوادر لأبي مسحل الأعرابي: ٢٧٦.

مولده ونشأته

عاش أبو ثروان في النصف الآخر من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي[1]. ولم تورد المصادر تاريخًا لولادته أو وفاته، ولا نشأته سوى أنه كان في البادية، ووفد على الحاضرة، وسمع منه الفراء (ت ٢٠٧هـ)[2].

وقد ذكر بعض الباحثين أنه ممن جعل الرواية صنعة له، فتراه في الكوفة حينًا، وفي بغداد حينًا آخر[3]. ولعل ذلك نشأ عندما رأى بعض الأعراب – ومنهم أبو ثروان – تعلق علماء العربية الأوائل بأهل البادية، وحاجتهم إليهم لأخذ اللغة عنهم، فارتحل الأعراب إلى الحواضر، واتصلوا بحلقات العلماء وأماكنهم، واتخذوا ذلك وسيلة للعيش والتكسب، بعرض ما عندهم من غريب ونادر كلام وشعر ورجز[4].

آثاره

ذكر ابن النديم[5] أنه ألف كتابين: أحدهما: خلق الإنسان، والآخر: معاني الشعر.

ولم يصل إلينا هذان الكتابان أو نص يصرح بالنقل عن أي منهما فيما وقفت عليه.

ولعل ما روي عنه من تأليفه لهذه الكتب ينطبق عليها ما قاله د. حسين نصار عن الكتب المنسوبة للأعراب: ((وقد أفاد العلماء من هؤلاء الأعراب كل فائدة، ودوّنوا أقوالهم وألفاظهم، وجعلوا بعض هذه المدونات على هيئة الكتب، ونسبوها إلى هؤلاء

---

(١) انظر: تاريخ التراث العربي، مج٨، ج١، علم اللغة، ص٥٥.

(٢) انظر: الفهرست: ٦٩، مراتب النحويين: ١٣٩، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/١٠٥، معجم الأدباء: ٢٦٩/٢.

(٣) راجع: مصادر اللغة: ٤٧٠، رواية اللغة: ١٦٨–١٦٩.

(٤) انظر: عبقري من البصرة: ٣١، المعجم العربي نشأته وتطوره: ١/٢٤–٢٥.

(٥) انظر: الفهرست ٦٩، وعنه: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/١٠٥، معجم الأدباء: ٢/٢٦٩، وفيه: خلق الفرس بدل خلق الإنسان.

الأعراب. ولذلك نسمع عن بعض الكتب اللغوية التي يقال: إن بعض الأعراب ألفوها، وهي في حقيقة الأمر من تدوين من رَوَى عنهم))[1].

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره: ١/ ٢٥.

أولا: أنواع مرويات أبي ثروان وتوثيقها

لأبي ثروان عدد من المرويات، رأيت أن أعرضها حسب نوعها من شعر ونثر:

١. الشعر والرجز

غلب على مرويات أبي ثروان من الشعر والرجز الاقتصار على بيت واحد، وجاء عنه أحيانا ذكر بيتين أو ثلاثة، وفيما يأتي رصد لمروياته من الشعر والرجز، وقد عنيت بتوثيقها من مصادرها، ووضعت رقمًا لكل مروية للإحالة إليه في البحث، وذلك تحت قسمين رئيسين هما:

أ. الشعر

رقم المروية	نص المروية
١	قال الفراء: ((وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض بالخفض إذا أشبهه... وقال الآخر: تُريكَ سُنَّةَ وجهٍ غيرِ مُقرفةٍ ... مَلساءَ ليس بها خالٌ ولا ندبُ ... قلت لأبي ثروان وقد أنشدني هذا البيت بخفض: كيف تقول: تريك سنة وجهٍ غيرَ مقرفةٍ؟ قال: تريك سنة وجهٍ غيرَ مقرفةٍ. قلت له: فأنشِد. فخفض "غير". فأعدتُ القول عليه. فقال: الذي تقول أنت أجود مما أقول أنا. وكان إنشاده على الخفض))[1].
٢	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان العكلي: تزورونها أو لا أزورُ نساءَكم ... ألهفِ لأَلاودِ الإماءِ الحواطبِ فخفضَ كما يخفض المنادى إذا أضافه المتكلم إلى نفسه))[2].

---

(١) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٧٤، المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ١/ ٢٩٧، خزانة الأدب: ٥/ ٩١-٩٢.

والبيت من البسيط لذي الرمة (ت ١١٧هـ) في: ديوانه: ٢٩، العين: ٥/ ١٤٧، ٨/ ٥١، لسان العرب: ٩/ ٢٨١ مادة قرف، ١٣/ ٢٢٤ مادة سنن.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٤٢١.

والبيت من الطويل لقران الأسدي (ت ١٨٩هـ) في: لسان العرب: ١٣/ ٥٠ مادة برثن، ودون عزو في: الجيم: ١/ ١٤٢.

٣	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: أحِبُّ لحبِّها السودانِ حتى أحِبَّ لحبِّها سُودَ الكلابِ))[١].
٤	وقال الفرّاء : ((الجِلِنْزُ من النساء ، بالهمز: القصيرة. وأنشد أبو ثروان: فوقَ الطويلةِ والقصيرةِ شَبْرُها لا جِلِنْزٌ كُنُدٌ ولا قَيْدُودُ))[٢].
٥	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: كأنّما أهلُ حجر ينظرون متى يرونني خارجًا طير تنادِيدِ طيرٌ رأتْ بازيًا نَضْخُ الدِّماء به أو أمةٌ خرجَتْ رهوًا إلى عيدِ[٣]
٦	قال الفراء: ((وأنشدني أبو ثروان: أشْبَهْنَ من بقَرِ الخلصاءِ أعيُنَهُ وهُنَّ أحسنُ من صِيرانه صِوَرا))[٤].

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٥ ١٣.

والبيت من الوافر دون نسبة في: الجمل في النحو للزجاجي: ١٨٢، خزانة الأدب: ٧/ ٢٧٣، ١١/ ٥٩ ٤.

(٢) تهذيب اللغة: ١٠/ ٦١٥.

والبيت من الكامل، دون عزو في: لسان العرب: ٥/ ٣٢٢، تاج العروس: ١٥/ ٦٧ مادة جلز.

(٣) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٤١.

والشعر من البسيط برواية "طير بناديد" دون عزو في: الألفاظ: ٤١، الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٥٠١، الجليس الصالح الكافي: ٣/ ٢٨٢-٢٨٣، لسان العرب: ٣/ ٤٢٠ مادة ندد.

(٤) إصلاح المنطق: ١٣٢، الفصوص: ٣/ ١٣٧-١٣٨، وذكر أنه يروى أيضًا: "صِيَرا".

والبيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه: ١١٥١، المحتسب: ٢/ ٥٩، ودون عزو في: لسان العرب: ٤/ ٤٧٣ مادة صور، ٧/ ٢٩ مادة خلص، تاج العروس: ١٢/ ٣٥٨ مادة صور، ١٧/ ٥٩٥ مادة خلص.

٧	قال الفراء: ((والعرب تقول: قد أعور منزلك إذا بدتْ منه عورة. واعور الفارسُ إذا كان فيه موضع خلل للضرب. وأنشدني أبو ثروان: له الشّدّةُ الأولى إذا القِرنُ أعورَا يعني الأسد))[1].
٨	قال الفراء: ((القَصا يمد ويقصر. ويُنشد هذا البيت لبِشر: فحاطونا القصا ولقد رأونا قريبًا حيثُ يستمعُ السِّرارُ وأنشدني أبو ثروان: فحاطونا القصاءَ وقد رأونا))[2].

(١) معاني القرآن للفراء: ٢/٣٢٧.

شطر من الطويل دون عزو ولا تكملة في: تهذيب اللغة: ٣/١٧٢، لسان العرب: ٤/٦١٧، تاج العروس: ١٣/١٦٢ مادة عور.

(٢) المقصور والممدود للفراء: ٤٢. وذكرت الروايتين دون النص على أن إحداهما لأبي ثروان في: الاشتقاق: ١٩، الفرق بين الحروف الخمسة: ٣٠٣–٣٠٤.

والبيت من الوافر لبشر بن أبي خازم (جاهلي) في: ديوانه: ٦٨، جمهرة اللغة: ١٣١٧، تهذيب اللغة: ٩/٢١٩، لسان العرب: ١٥/١٨٤ مادة قصو.

٩	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: وإنْ تزجراني يا بنَ عفان أنزجرْ وإنْ تدعاني أحمِ عِرْضًا مُمنَّعا ونرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان. وكذلك الرُّفقة. أدنى ما يكونون ثلاثة. فجرى كلام الواحد على صاحبيه. ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلا: يا صاحبَيَّ. يا خليلَيَّ))[1].
١٠	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان العكلي: فإنَّكما إنْ تُحكِماني وتُرسِلا عليَّ غُواة الناس إيبَ وتضلعا فهذا من ذلك. إيب من أبَيْت وأبى))[2].
١١	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: فقالوا: تعرَّفْها المنازلَ من مِنى وما كلُّ مَن يغشى منًى أنا عارفُ))[3].
١٢	قال الفراء: ((أنشد أبو ثروان: ما كان منذ تركْنا أهلَ أسْنُمةٍ إلا الوجيفَ لها رعيٌ ولا عَلَفُ ورفع غيره))[4].

---

(1) معاني القرآن للفراء: ٣/ ٧٨.

والبيت من الطويل لسويد العكلي في: التنبيه والإيضاح: ٢/ ٢٣٩. لسان العرب: ٥/ ٣٢٠. تاج العروس: ١٥/ ٦٠ مادة جزز.

(2) معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٥-١٦. ولم أقف على البيت عند غيره.

(3) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٩. المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ٢/ ٥٠.

والبيت من الطويل لمزاحم بن الحارث العقيلي (ت نحو ١٢٠هـ) في: ديوانه: ٢٨. شرح شواهد الإيضاح: ١٥٤. خزانة الأدب: ٦/ ٢٦٩. وهو دون عزو في: الخصائص: ٢/ ٣٥٤، ٣٧٦. لسان العرب: ٩/ ٢٣٧ مادة عرف.

(4) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٦٨.

والبيت من البسيط لجرير (ت: ١١٤هـ) في: ديوانه: ١٧٣. تاج العروس: ٣٢/ ٤٢٦ مادة سنم برواية: إلا الذميل لها ورد ولا علف.

١٣	قال الفراء: ((يقال: حَضَرْته وحَضِرته. قال: وأنشدني أبو ثروان العكلي لجرير: ما مَنْ جفانا إذا حاجاتنا حَضِرَتْ كَمَنْ لنا عنده التكريمُ واللَّطَفُ))[١].
١٤	قال الفراء: ((يقال: أَتَنَ الرجل يأتِنُ، وأَتَلَ يأتِلُ. وهو الأتلان والأتلال. وهو أن يقارب خطوَه في غضب. قال: وأنشد أبو ثروان: أأنْ حَنَّ أجمالٌ وفارقَ جيرةٌ عَنيتَ بنا ما كانَ نَولُكَ تَفعَلُ ومَنْ يسألِ الأيامَ نأيَ صديقِهِ وصَرْفَ الليالي يُعْطَ ما كان يسألُ أراني لا آتيكَ إلا كأنَّني أسأتُ وإلا أنت غَضْبانُ تأتِلُ أردتَ لكيما لا ترى ليَ عَثْرَةً ومن ذا الذي يُعطى الكمالَ فيَكمُلُ))[٢].
١٥	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: وترمينني بالطَّرْفِ أي أنتَ مُذنِبُ وتقلينني لكنَّ إياكَ لا أقلي يريد: لكنْ أنا إياك لا أقلي. فترك الهمز. فصار كالحرف الواحد))[٣].
١٦	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: أرى مرَّ السنين أخذْنَ مني كما أخذ السِّرار من الهلالِ فجعل "مرَّ السنين" هو السنون بعينها))[٤].

---

(١) إصلاح المنطق: ٢١٢-٢١٣. الصحاح: ٦٣٣/٢ مادة حضر. وزاد في نقله عن الفراء: "وكلهم يقول: يحضُر بالضم".

والبيت من البسيط لجرير في: ديوانه: ١٧٤. ديوان الأدب: ٢٣٢/٢. لسان العرب: ١٩٧/٤. تاج العروس: ٣٨/١١ مادة حضر.

(٢) الإبدال: ٦٦. وفيه "الأتنان" والصواب ما أثبت "الأتلال" من الأمالي للقالي: ٤٣/٢. والبيت الثالث في: الألفاظ: ١٩٧. ٢٠٣. والبيت الرابع أنشده الفراء عن أبي ثروان بلفظ "أنشدني" في معاني القرآن له: ٢٦٢/١. خزانة الأدب: ٤٨٦/٨.

والشعر من الطويل لم أقف على قائله.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١٤٤/٢.

والبيت من الطويل دون عزو في: تذكرة النحاة: ٢٣. خزانة الأدب: ٢٢٥/١١. ٢٢٩.

(٤) المذكر والمؤنث للفراء: ١١٤. معاني القرآن للفراء: ٣٧/٢. المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ١٩٩/٢.

والبيت من الوافر لجرير في ديوانه: ٥٤٦. ودون عزو في: المقتضب: ٢٠٠/٤. تهذيب اللغة: ١٥٣/١. لسان العرب: ٧٣/٨ مادة خضع.

١٧	وعن الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: أنتَ امرؤٌ من خيارِ الناسِ كلِّهمُ تُعطِي الجزيلَ وتُعطِي الحمدَ بالثمنِ))[1].
١٨	عن الفراء: ((وأنشدني: قومٌ أصابُهمُ من وَرْيِ زندِهِمِ شرارةٌ غِبُّها في ثوبِ واريها))[2].

ب . الرجز

رقم المروية	نص المروية
١٩	قال الفراء: ((أنشدني أبو ثروان: قال الجواري: ما ذَهَبْتَ مذهبا وعِبْنَنِي ولم أكن مُعَيَّبا هل أنت إلا ذاهبٌ لتلعبا أَرَيْتَ إنْ أعطيتَ نَهْدًا كَعْثبا أذاك أم نُعطيكَ هَيدًا هيْدَبا أبْرَدَ في الظلماءِ من مَسِّ الصَّبا فقلتُ: لا. بل ذا كما يا بِيَبا أجدُ ألاَّ تفْضَحا وتحْربا "هل أنت إلا ذاهب لتلعبا" ذهب بـ"هل" إلى معنى "ما"))[3].
٢٠	قال الفراء: ((والذَّنوب أنثى وذكر. أنشدني أبو ثروان: هَرِقْ لها من قَرْقَرَى ذَنُوبَا إنَّ الذَّنُوبَ ينفع المغلوبا))[4].
٢١	قال الفراء: ((أنشدني العُكلي أبو ثروان:

(١) إيضاح شواهد الإيضاح: ٢/٦٠٣ نقلا عن محمد بن الجهم.
والبيت من البسيط دون عزو في: تهذيب اللغة: ١٥/٢٨٧. لسان العرب: ١/١٥٦ مادة مرأ.
(٢) النبات: ١٣٤. ولم أقف على البيت عند غيره.
(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ٤.
والأبيات من الرجز دون عزو في: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/١٦٢-١٦٣. تهذيب اللغة: ٣/٣٠٥. لسان العرب: ١/٦٣٣ مادة عيب. ١/٧٢٠ مادة كعثب. تاج العروس: ٣/٤٥٠ مادة عيب. ٤/١٥٥ مادة كعثب.
(٤) المذكر والمؤنث للفراء: ٩١. المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ١/ ٤١٤.
والبيتان من الرجز دون عزو في: المخصص: ١٧/ ١٨.

	كُلِّفَ من عنائِهِ وشِقْوَتِهْ بنت ثماني عشرةٍ من حِجَّتِهْ))[١].

٢. النثر

اختلفت مرويات أبي ثروان النثرية من حيث النوع، إذ اشتملت على الأنواع الآتية:

أ. أقوال وجمل

رقم المروية	نص المروية
٢٢	((أتاني سواؤك))[٢].
٢٣	((أتيته لكرامته إياي))[٣].
٢٤	((كان صلى الله عليه وسلم يأكل القِثّاء والقَنَد بالمجاج. أي: بالعسل، لأن النحل تمجّه. وكل ما تحلّب من شيء فهو مُجاجُه ومجاجته. وعن أبي ثروان العكلي: أقويت فلم أطعَم إلا لثا الأذخر ومجاجة صمغ الشجر))[٤].
٢٥	((إنّهم على ما ترى من صدَعاتِهم لكرامٌ))[٥].
٢٦	قال الفراء: ((وقال لي أبو ثروان في كلامه: إن بني نمير ليس لجدّهم مكذوبة)) أي: تكذيب[٦].

---

(١) معاني القرآن للفراء: ٢/٣٤، ٢٤٢.

والبيتان من الرجز لنفيع بن طارق في: الحيوان: ٦/٤٦٣. ودون عزو في: تهذيب اللغة: ٩/٢٠٩، الإنصاف: ١/٣٠٩، لسان العرب: ١٤/٤٣٨ مادة شقا، خزانة الأدب: ٦/٤٣٠-٤٣٢.

(٢) الإنصاف: ١/٢٩٨، ارتشاف الضرب: ٥٤١، توضيح المقاصد: ٢/١١٩، خزانة الأدب: ٣/٤٣٩.

(٣) ارتشاف الضرب: ٥٢٢٦.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ٣/٣٤٦، وانظر: غريب الحديث للخطابي: ١/١٨٨.

(٥) لسان العرب: ٨/١٩٤، تاج العروس: ٢١/٣٢٨ مادة صدع.

(٦) معاني القرآن: ٢/٣٨، ٣/١٢١، ٢٧٢، وفي الموضع الأخير نص على سماعه عنه بلفظ "سمعت"، وفسره بأنه يقول: إذا لقُوا صدقوا القتال، ولم يرجعوا.

٢٧	قال الفراء: ((سمعت أبا ثروان يقول لرجل: بِعْ لي تمرًا بدرهم، يريد: اشترِ لي))[1].
٢٨	قال الفراء: ((وسمعت أبا ثروان يقول: شَتَوْنَا بِأَرْضٍ سَهْلٍ عُبُورُهَا، كَثِيرٌ حُبُورُهَا، نَاطِقٌ سَحَابُهَا، ضَاحِكٌ جَنَّاتُهَا))[2].
٢٩	حكي عن أبي ثروان أنه قال: ((ضِفْنا فلانًا، فلما طعِمنا أتونا بالمقاطر فيها الجحيم، يهصُ زَخِيخُها، فألقيَ عليها المندليّ))[3].
٣٠	وصف أبو ثروان مأدبة وبخور مِجمرها فقال: ((فتخمَّرتْ أطنابُنا))، أي: طابت روائح أبداننا بالبخور[4].
٣١	قال الفراء: ((وسمعت أبا ثروان العكلي يقول: قطع الله الغداة يدَ ورجلَ من قاله))[5].
٣٢	((كان والله من رجالِ العربِ المعروفِ له ذلك))[6].
٣٣	قال أبو ثروان في أحجية له: ((ما ذو ثلاثة آذان، يسبق الخيلَ بالرَّدَيان ؟)) يريد السهم[7].
٣٤	وعن الفراء: ((سمعت أبا ثروان: يقول: ما يضرُّك عليها جاريةً))، أي: ما يزيدك[8].
٣٥	قال الفراء: ((وسمعت أبا ثروان يقول لرجل من ضبّة وكان عظيم العينين: هذا عينانُ قد جاء، جعله كالنعت له))[9].

(١) معاني القرآن للفراء: ١/٦٥، ديوان الأدب: ٢/٤٠٨.
(٢) شرح مشكل الآثار: ١٣/٢١٨.
(٣) تهذيب اللغة: ٥/٣٤٨، ربيع الأبرار: ١/٩٧، لسان العرب: ٧/١٠٣-١٠٤، تاج العروس: ١٨/٢١٤ مادة هصص، وقد ذكرت في: مقطعات الأعراب النثرية إلى نهاية القرن الرابع في المصادر الأدبية جمعًا وتوثيقًا: ٥١٤، ولم يذكر غير هذه المروية بناء على منهجه في رصد المرويات من كتب الأدب. الجحيم: الجمر، المقاطر: المجامر، يهص زخيخها: يتلألأ بريقها.
(٤) تهذيب اللغة: ٧/٣٧٦، لسان العرب: ٤/٢٥٦، تاج العروس: ١١/٢٢٠ مادة خمر.
(٥) معاني القرآن للفراء: ٢/٣٢٢، الخصائص: ٢/٤٠٧، خزانة الأدب: ٦/٥٠٠.
(٦) التذييل والتكميل [المخطوط]: ٤/١١٩، همع الهوامع: ٢/٤٤٢، خزانة الأدب: ٥/٩٠.
(٧) المذكر والمؤنث للفراء: ٧٣، المذكر والمؤنث لأبي حاتم: ٩٦، المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ١/٢٥٩، النوادر لأبي مسحل: ٢٧٦.
(٨) تهذيب اللغة: ١١/٤٦٠، لسان العرب: ٤/٤٨٥، تاج العروس: ١٢/٣٩٤ مادة ضرر، وقد نصوا على رواية سلمة عن الفراء.
(٩) معاني القرآن للفراء: ١/٢٠٩.

ب - مفردات

رقم المروية	نص المروية
٣٦	حكى اللحياني عن أبي ثروان أنه قال: ((أَقْلَبَكُم اللهُ مَقْلَب أوليائه ومُقْلَبَ أوليائه))[١].
٣٧	قال الكسائي: ((وسمعت أبا ثروان ورجلا من غنيّ يقولان: بَشَرَني فلان بخير. وبَشَرتُه بخير))[٢]. في حين رواها الفراء بقوله: ((وبشرت لغة سمعتها من عكل، ورواها الكسائي عن غيرهم. وقال أبو ثروان: بَشَرني بوجهٍ حسنٍ))[٣].
٣٨	وحكى الفراء عن أبي ثروان عن العرب: ((عوى الكلب يعوي عيَّة، والأصل عَوْية))[٤].
٣٩	قال الفراء: ((وكان أبو ثروان يقول: وَرَتْ بك زنادي وَرْيًا، وزهرَت بك زنادي))[٥].
٤٠	حكى اللحياني: ((وقد وحى لهم يحي ووطّش بمعنى واحد من لغة أبي ثروان))[٦].

وما تقدم من مرويات هو ما ثبت لديّ أنها من مرويات أبي ثروان، حيث وجدت بعضًا آخر من المرويات تنمى إليه، ولا تثبت نسبتها عنه، من ذلك مثلا:

أولا:

أورد أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي (ت ٣٨٥هـ) شاهدًا من شواهد سيبويه، ونماه إلى أبي ثروان. على أن ذلك من صنيع سيبويه، إذ جاء في كتابه: ((قال سيبويه: قال أبو ثروان، ويروى للمعلوط بن بدل:

إنَّ الغزالَ الذي يرجونَ غِرَّته ... جمعٌ يضيقُ به العتكانِ أو أطدُ

مستحقبو حَلَقِ الماذيّ يحفزُها ... بالمشرفيِّ وغابٌ فوقَه حَصَدَ

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ٦/ ٢٥٩. لسان العرب: ١/٦٨٦. تاج العروس: ٤/ ٦٩ مادة قلب.

(٢) الأمالي للقالي: ١/٢١١.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/٢١٢.

(٤) الأيام والليالي والشهور: ٣١.

(٥) النبات: ١٣٤.

(٦) لسان العرب: ٦/ ٣٢٤ مادة غطش.

"العتكان" تثنية اسم موضع. و"أطد" معطوف عليه. و"الماذي" الدروع السهلة اللينة. و"مستحقبو" أي جعلوا الدروع حقائب لهم شدوها وراء ظهورهم. "يحفزه" يدفعه. يريد أن دروعهم إذا لبسوها وتقلدوا عليها بالسيوف. فالسيوف تدفع الدروع وتحفزها))[1].

ومع أن جميع مرويات أبي ثروان لم تصل مجموعة إلى زمننا. إلا أنه يمكن نفي نسبة هذه المروية إليه من وجوه:

أ . لم ينص سيبويه على أبي ثروان في كتابه. بل إن نص كتابه اقتصر على الزبرقان بن بدر. قال: ((وقال الزبرقان بن بدر:

مستحقبي حَلَقِ الماذيّ يحفِزُه ... بالمشرفيّ وغابٌ فوقَه حَصِدُ))[2].

ب . ما أورده أبو محمد السيرافي يشعر بأن أبا ثروان شاعر. في حين أنه راوية فقط. وقد أخطأ من عده شاعرًا من الباحثين[3]. قال أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت ٣٩٣هـ): ((أبو ثروان كنية رجل من رواة الشعر))[4].

ج . اعترض أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني (كان حيًّا سنة ٤٣٠هـ) ما ذكره أبو محمد السيرافي. ونفى نسبة البيت لأبي ثروان. قال بعد أن أورد نصه: ((لا أبو ثروان من هذا الشعر في شيء. ولا المعلوط. إنما هو للزبرقان بن بدر. ولم يذكر ابن السيرافي أيضًا من تفسيره ما يدل على شيء فيه فائدة؛ وذلك أنه لم يعرف قصته. ومثل هذا الشعر إذا لم تعرف قصته لم يعرف معناه البتة))[5].

---

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ١/٣١٢–٣١٤.

والبيتان من الطويل للزبرقان بن بدر في: الكتاب: ١/١٦٧. فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه: ١٧٦.

(٢) الكتاب (هارون): ١/١٦٧. (بولاق): ١/٨٤.

(٣) من ذلك مثلا: د. فائزة المؤيد في: فهارس معاني القرآن للفراء: ١٨٢.

(٤) الصحاح: ٦/٢٢٩٣ مادة ثرا.

(٥) فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه: ١٧٦.

ثانيًا:

أورد أبو إسحاق الثعلبي أبياتًا، نمى روايتها لأبي ثروان، نقلا عن الفراء، قال شرحًا لقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [سورة هود: ١٠٨]: ((وقال الفراء: معناه: وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة، و"إلاّ" بمعنى الواو سائغ جائز في اللغة. قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]. ومعناه، ولا الذين ظلموا، وأنشدني أبو ثروان:

مَنْ كانَ أسرعَ في تفرُّقِ فالج فلَبُونُه جربت معًا وأغدَّتِ

إلا كناشرةِ الذي ضيَّعتُمُ كالغُصْنِ في غُلوائِهِ المتنبِّتِ))[1].

ولم يثبت لي أن الفراء قد رواه عن أبي ثروان لأمرين:

أ. أني لم أقف على نص آخر يثبت رواية الفراء هذين البيتين عن أبي ثروان.

ب. أن في بعض كلام الفراء ما يناقض الرأي بأن "إلا" بمعنى الواو، إذ قال: ((وقد قال بعض النحويين: إن "إلا" في اللغة بمنزلة الواو.... وجعلوا مثله قول الله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، أي: ولا الذين ظلموا. ولم أجد العربية تحتملُ ما قالوا، لأني لا أجيز: قام الناس إلا عبدالله، وهو قائم، إنما الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد "إلا" من معنى الأسماء قبل "إلا"))[2].

ثالثًا:

ذكر الإمام محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) في شرحه لقول الراجز:

أرمض من تحت وأضحى من عله

---

(١) الكشف والبيان: ٥/١٩٠.

والبيتان من الكامل لعنز بن دجاجة المازني في: الكتاب: ٢/٣٢٨، وله أو لمعاوية بن كاسر المازني في: شرح أبيات سيبويه: ٢/١٧٢، ولكابية بن حرقوص بن مازن في: خزانة الأدب: ٦/٣٦٢. ودون عزو في: المقتضب: ٤/٤١٦، لسان العرب: ٢/٩٥ مادة نبت.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٢/٢٨٧.

((أقول: قائله هو أبو ثروان، وهو من الرجز))[1].

ونسبته الرجز لأبي ثروان خطأ، لأمرين:

أ. لم ينقل عن أبي ثروان أنه من الشعراء أو الرجاز.

ب. أن هذا الرجز رواه ثعلب (ت: ٢٩١هـ) عن أبي الهجنجل، ونصّ على أن هذه كنيته[2]، ونقله أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ) عنه[3].

وعلى هذا فلابد من التثبت قبل نسبة المرويات إلى راويها، من خلال الرجوع إلى عدد من المصادر، ومن خلال تحليل المتن الواردة فيه الرواية.

ثانياً: حجية الاستشهاد بمرويات أبي ثروان عند البصريين والكوفيين

اشتهر في الدرس النحوي الخلاف بين البصريين والكوفيين في حجية الاستشهاد ببعض القبائل العربية وبالمعاصرين للعلماء الأوائل، وفي بحثي عن أبي ثروان العكلي لم أجد نصّاً صريحاً في الاحتجاج بقوله ونقله، إلا أنه يمكن أن أعرض حجية الاستشهاد به من جهة قبيلة (عكل)، ومن جهة زمنه، ذلك أنه أعرابي وفد على الحاضرة خلال القرن الثاني الهجري، أي بعد عام ١٥٠هـ تقريباً، إذ إنه من معاصري الفراء، وفي ما يأتي عرض ما استخلصته من المذهبين المشهورين في الاستشهاد بمروياته:

١- مذهب البصريين

بما أن بعض البصريين يرون عدم جواز الاستشهاد بشعر طبقة الإسلاميين ولغتهم، كأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) الذي قال عن شعر جرير والفرزدق ومعاصريهما: ((لقد أحسن هذا المولّد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته))[4].

---

(١) المقاصد النحوية: ٤/ ٥٤٥، وانظره بتصرف في: شرح الشواهد للعيني ضمن حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٤/ ٢١٩.

(٢) مجالس ثعلب: ٤٣٠، برواية: من علي، لا: من عله.

(٣) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة: ٨٣.

(٤) نقله عنه ابن رشيق في: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/ ٩٠، وعنه البغدادي في: خزانة الأدب: ١/ ٦.

واستنادًا إلى ما نقله عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)[١] من أن العلماء قسموا الشعراء أربع طبقات. واتفقوا على الاستشهاد بطبقتي الجاهليين والمخضرمين، واختلفوا في الإسلاميين الذين كانوا في صدر الإسلام. وردّوا الاحتجاج بشعر المولدين، فإنه تأسيسًا على ذلك. وبالنظر إلى عصر أبي ثروان العكلي يتبين أن مذهب البصريين عدم الاحتجاج بلغته؛ لتأخره عن عصور الاحتجاج. وعلى هذا سار أوائل البصريين ممن وصلتنا كتبهم. إذ لم أجدهم يستشهدون بمروياته كسيبويه (ت ١٨٠هـ) وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) وأبي بكر محمد بن سهل بن السراج (ت٣١٦هـ) وغيرهم.

وقد تعقّب أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) وهو ميّال للمذهب البصري مرويات أبي ثروان التي عرضها محتجًا بها للمذهب الكوفي بالرد والاعتراض، إما بأنها "رواية شاذة غريبة؛ فلا يكون فيها حجة"[٢]، وإما بأن ما نقله عن العرب "لا يُعرَف قائله. ولا يؤخذ به"[٣].

وأما ما ذكره أ.د. علي أبو المكارم من أن سيبويه قد سمع منه[٤] فمحمول على تحكيم أبي ثروان في مسألة الزنبورية التي سيأتي عرضها. بدليل ذكره أيضًا لمن كان معه من الأعراب كأبي فقعس وأبي الجراح... وإحالته إلى مصادرها. ولا يعد ذلك سماعًا عنهم؛ لأنه لم يرو عنهم في كتابه شيئًا من لغتهم.

وأما بالنظر إلى قبيلة أبي ثروان (عكل) فهي لم تكن من القبائل الست التي ذكرها عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) عن أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان

---

(١) راجع: خزانة الأدب: ١/٥–٨. وانظر: أصول التفكير النحوي: ٤٣–٤٩. مراحل تطور الدرس النحوي: ١٩٨–٢٠١. وقد عد د. عبدالرحمن السيد – رحمه الله – هذا التقسيم للعرب. راجع: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها: ٢٤٠.

(٢) راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٢٩٨.

(٣) راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٣١٠.

(٤) راجع: أصول التفكير النحوي: ٢٣.

الفارابي (ت ٣٣٩هـ)[١]، بقوله: ((كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نُقِلت اللغة العربية، وبهم اقتُدي، وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذ ومعظمه، وعليهم اتُّكِل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم...))[٢].

وهي أيضًا لم تذكر ضمن القبائل التي واصل السيوطي في نقله ذكرها ممن لم تقبل لغتهم، لكن عبارة "سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم" تدل على عدم حجية الاستشهاد بمرويات أبي ثروان، لأنه كان يسكن البادية، ويفد للحاضرة.

إلا أنه عند العودة إلى نص الفارابي نفسه من كتابه يتبين أنه لم يمنع الأخذ عن سكان البراري الساكنين قرب الحاضرة، فقد قال أبو نصر الفارابي في كتابه "الحروف": ((وأنت تتبين ذلك متى تأملت أمر العرب في هذه الأشياء، فإن فيهم سكان البراري، وفيهم سكان الأمصار، وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مئتين، وكان الذي تولى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق، وتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن أشدهم توحُّشًا وجفاءً، وأبعدهم إذعانًا وانقيادًا، وهم قيس وتميم وأسد وطيئ ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نُقِل عنه لسان العرب، والباقون

---

(١) نقله عنه السيوطي في: الاقتراح في أصول النحو وجدله: ١٦٢-١٦٣، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢١١/١-٢١٢، وفيه: القبط واليمن تحريف للنبط والنمر، نبه عليه د. رمضان عبدالتواب في: بحوث ومقالات في اللغة: ١٩٢-١٩٣.

(٢) الاقتراح في أصول النحو وجدله: ١٦٢-١٦٣.

فلم يؤخذ عنهم شيء، لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطبقة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر))[1].

أما أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) فإنه لم يرو عن أبي ثروان مباشرة، بل كانت مروياته نقلا عما رواه غيره من العلماء عنه كالفراء عنه[2]. ولعله لم يكن يرى حجية الاستشهاد بمروياته سوى ما رواه الفراء عنه أو لعله لم يصله شيء عنه من غير طريق إمام الكوفيين أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ). على أن الاستشهاد بالمرويات في مجال اللغة أكثر تسامحًا منه في النحو والصرف.

٢- مذهب الكوفيين

من خلال تتبع منهج علماء الكوفة مع مرويات أبي ثروان، يتبين اعتداد الكوفيين – على النقيض من البصريين – بمرويات أبي ثروان العكلي.

ويؤكد ذلك أن الفراء استشهد كثيرًا بمروياته. وقد كان هو مصدر أكثر مروياته في العلماء التالين له. وقد تناثرت مروياته في مختلف كتب الفراء التي وصلت إلينا كمعاني القرآن[3] والأيام والليالي والشهور[4] والمذكر والمؤنث[5] والمقصور والممدود[6]. وهي تدل على عناية الفراء بما يرويه عنه، واعتداده به أيضًا. حتى اشتهر إكثار رواية الفراء عن أبي ثروان[7].

---

(١) الحروف: ١٤٦-١٤٧.

(٢) راجع: تهذيب اللغة: ٣/ ١٩٥، ٩/ ١٦٨، ١٠/ ٩٧، ٣٢٥، ١١/ ٣١٥، ١٥/ ٤٧٤.

(٣) راجع: ١/ ٤، ٦، ٥٦، ١٣٥، ١٣٩، ١٦٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٦٢، ٢/ ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٧٤، ١٤٤، ٢٤٢، ٣٣٧، ٤٢١، ٣/ ١٥، ٤١، ٧٨، ١٢١. وقد أخلّ كتاب فهارس معاني القرآن للفراء بعدد من مروياته إذ لم تذكر المفهرسة الصفحات الآتية: ١/ ١٣٥، ١٣٩، ٢٦٢، ٢/ ٧٤.

(٤) راجع: ٣١.

(٥) راجع: ٧٣.

(٦) راجع: ٤٢.

(٧) انظر: الأعراب الرواة: ١٨١، تاريخ التراث العربي، مج ٨، ج١، علم اللغة، ص ٢٥.

وقد قاد صنيع الفراء هذا من جاء بعده من الكوفيين في الاحتجاج بأبي ثروان والرواية عنه كأبي يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)[١] وأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)[٢].

كما روى أبو الحسن علي بن حازم اللحياني عن أبي ثروان بعض المرويات، ولكنها قليلة، مثل: ((أَقْلَبَكُم اللهُ مَقْلَبَ أوليائه ومُقَلَّبَ أوليائه))[٣].

ويتفق هذا الاتجاه بقبول مرويات أبي ثروان مع ما اشتهر عن المذهب الكوفي من العناية بالمسموع، واحترام كل ما جاء عن العرب[٤].

ويتضح من قول عبدالقادر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ) نقلاً عن أبي حيان: ((وفي كلام أبي ثروان وهو ممن تؤخذ عنه اللغة والعربية رد على من يقول...))[٥] أنهما يوافقان الكوفيين في مذهبهم من الاحتجاج بمروياته في اللغة.

على أن أبا ثروان العكلي مع ذلك لم يكن من المعدودين في اللغة كأبي زيد الأنصاري وأبي مالك عمرو بن كركرة والأصمعي وأبي عبيدة، الذين أثنى عليهم علماء اللغة ومن ترجم للغويين من العلماء، قال أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ): ((وكان أبو زيد أحفظ الناس للغة بعد أبي مالك، وأوسعهم رواية، وأكثرهم أخذًا عن البادية... كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها))[٦].

---

(١) راجع: الإبدال: ٦٦، الألفاظ: ١٩٧، ٢٠٣، إصلاح المنطق: ٢١٢-٢١٣.

(٢) راجع: المذكر والمؤنث له: ١/٢٥٩، ٤١٤، ٢/١٩٩، ٢٩٧.

(٣) لسان العرب: ١/٦٨٦، تاج العروس: ٤/ ٦٩ مادة قلب.

(٤) انظر: حياة الشعر في الكوفة: ٢٦٦.

(٥) خزانة الأدب: ٥/ ٩٠، وهو ينقل عن التذييل والتكميل (المخطوط): ٤/ ١١٩.

(٦) مراتب النحويين: ٧٣، وراجع: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٠٥ باختلاف في الأسماء: الأصمعي ثم الخليل ثم أبي فيد ثم أبي مالك.

ولعل أبرز موقف تبين فيه اعتداد الكوفيين بروايته، ولعله بسببه انصرف البصريون عن الرواية عنه المسألة الزنبورية، إذ إن أبا ثروان أيّد مذهب الكوفيين مخالفًا ما رآه سيبويه، ذلك أن يحيى بن خالد البرمكي جمع بين سيبويه والكسائي، فاختلفا في مسألة مشهورة عرفت بالمسألة الزنبورية، إذ سأل الكسائي سيبويه: ((ما تقول أو كيف تقول: قد كنتُ أظنُّ العقربَ أشدَّ لسعةً من الزنبور، فإذ هو هي أو فإذا هو إياها؟ قال سيبويه: فإذا هو هي. ولا يجوز النصب.

فقال له الكسائي: لحنتَ. ثم سأله مسائل من هذا النوع: خرجت فإذا عبدالله القائمُ أو القائمَ.

قال سيبويه في ذلك كله بالرفع دون النصب.

فقال الكسائي: ليس هذا كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب، فدفع سيبويه قولَه. فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن ذا يحكم بينكما؟

قال الكسائي: هذه العرب ببابك قد جمعتَهم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع، وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم، فيُحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر: قد أنصفتَ.

وأمر بإحضارهم، فدخلوا وفيهم أبو فقعس وأبو دثار وأبو الجراح وأبو ثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فشايعوا الكسائي، وقالوا بقوله..))[1].

---

(1) طبقات النحويين واللغويين: ٧١. وراجع في المسألة الزنبورية وتوجيهاتها النحوية: أمالي الزجاجي (في الملحقات): ٢٤٠-٢٤١، مجالس العلماء: ١٠، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٧٠٢-٧٠٦، رسالة القضاء بين سيبويه والكسائي أو الفراء في المسألة الزنبورية المقرونة بالشهادة الزورية: ١٧-٢٨، الأشباه والنظائر: ٣/٨٨، آراء ابن بري النحوية: ١/٢٣٣-٢٣٥، النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري: ٦٦-٧٨.

ثالثًا: أثر مرويات أبي ثروان في النحو والتصريف

لبحث أثر مرويات أبي ثروان في الدرس النحوي والصرفي واللغوي تتبعت مروياته، وكيفية استشهاد العلماء وتمثيلهم بها في مصادرها من كتب النحو والتصريف. وقد خلصت إلى بيان أثر مروياته على النحو الآتي:

١. أثر مرويات أبي ثروان في النحو

لمرويات أبي ثروان تأثير يسير في القواعد النحوية والاستشهاد بها، ومن أبرز ما يمثل به ما يأتي:

استشهاد الفراء على الجر بالمجاورة بمرويته:

تُرِيكَ سُنَّةَ وجهٍ غيرِ مُقرفةٍ   مَلساءَ ليس بها خالٌ ولا ندبُ [1]

فقد أنشد أبو ثروان بجر "غير" لمجاورتها "وجه"، مع أن الأفصح النصب اتباعًا لكلمة "سنة"، وقد عرض الفراء محاورة بينه وبين أبي ثروان، نص فيها أبو ثروان على أن الأجود النصب، قال الفراء: ((وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض بالخفض إذا أشبهه... وقال الآخر:

تُرِيكَ سُنَّةَ وجهٍ غيرِ مُقرفةٍ   مَلساءَ ليس بها خالٌ ولا ندبُ

... قلت لأبي ثروان وقد أنشدني هذا البيت بخفض: كيف تقول: تريك سنة وجهٍ غيرَ مقرفةٍ؟ قال: تريك سنة وجهٍ غيرَ مقرفةٍ، قلت له: فأنشِد، فخفض "غير"، فأعدتُ القول عليه، فقال: الذي تقول أنت أجود مما أقول أنا، وكان إنشاده على الخفض))[2].

والجر بالجوار أحد الأوجه التي وجَّه بها أبو عبيدة معمر بن المثنى[3] (ت ٢١٠هـ) والأخفش الأوسط[4] (ت ٢١٥هـ) وأبو البركات الأنباري[5] (ت ٥٧٧هـ) وأبو البقاء العكبري[6] (ت ٦١٦هـ) بعض القراءات القرآنية.

---

(١) المروية رقم: ١.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٧٤/٢، وقد نُقِل ذلك في: المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ٣٩٧/١، خزانة الأدب: ٩١/٥-٩٢.

(٣) انظر: مجاز القرآن: ١/ ١٥٥.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش: ٤٦٦/٢.

(٥) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ٢٨٥/١.

(٦) انظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٢٢/١-٤٢٣.

وتجيء مروية أبي ثروان عاضدة لقول العرب الذي اشتُهر إيراده دليلا على وجود الجر بالجوار عند العرب: ((هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ))[١].

وقد استشهد بعض النحويين بمروية نثرية له على مجيء الجر بالمجاورة مع المعارف. قال أبو حيان: ((وذكر أبو ثروان – وهو ممن تؤخذ عنه اللغة والعربية – المفضل الضبي. فقال: "كان والله من رجالِ العربِ المعروفِ له ذلك"[٢]. بخفض "المعروف" على المجاورة. وفي كلام أبي ثروان ردٌّ على من يقول بأن الجوار لا يكون إلا مع النكرة))[٣].

كما استشهد الفراء على وجه من أوجه المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، بحذف الياء، وإبقاء الكسرة، بمروية أبي ثروان:

تزورونها أو لا أزورُ نساءَكم ... ألهفِ لألاودِ الإماءِ الحواطبِ[٤]

واستشهد الفراء على نصب الفعل المضارع بعد "حتى" فيما مضى، وإن كان الرفع جائزًا بمروية أبي ثروان:

أحِبُّ لحبِّها السودان حتى ... أحِبَّ لحبِّها سُودَ الكلابِ[٥]

قال الفراء: ((ولحتى ثلاثة معان في يفعل، وثلاثة معان في الأسماء. فإذا رأيت قبلها فَعَل ماضيًا وبعدها يفعل في معنى مُضيٍّ، وليس ما قبل "حتى يفعل" يطول[٦] فارفع يفعل بعدها، كقولك: جئت حتى أكونُ معك قريبا، وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد

---

(١) انظر: الكتاب: ٤٣٦/١، معاني القرآن للفراء: ٧٤/٢، إعراب القرآن للنحاس: ٣٠٧/١، الخصائص: ١٩١/١–١٩٢.

(٢) المروية رقم: ٣٢.

(٣) التذييل والتكميل (المخطوط): ١١٩/٤، ونقله بتصرف: خزانة الأدب: ٥/ ٩٠.

(٤) المروية رقم: ٢.

(٥) المروية رقم: ٣.

(٦) المراد بطول الفعل أو الفعل المتطاول: هو الفعل الذي له امتداد، مثل: كرَّ، أدام، زلزل، صرَّ... انظر: معاني القرآن للفراء: ١٣٢/١–١٣٣.

"حتى" وإن كان ماضيا إذا كان لغير الأول. فيقولون: سرت حتى يدخلها زيد... وهو الوجه الثاني من باب "حتى"... وذلك أن يكون ما قبل "حتى" وما بعدها ماضيين، وهما مما يتطاول، فيكون يفعل فيه وهو ماضٍ في المعنى أحسنَ من فَعَل. فنصب وهو ماضٍ لحسن يفعل فيه. قال الكسائي: سمعت العرب تقول: إنَّ البعيرَ ليهرم حتى يجعلَ إذا شرب الماء مجَّه. وهو أمر قد مضى، و"يجعل" فيه أحسن من "جعل". وإنما حسنت لأنها صفة تكون في الواحد على معنى الجميع. معناه: إن هذا ليكون كثيرًا في الإبل. ومثله: إن الرجل ليتعظَّم حتى يمرَّ فلا يسلمَ على الناس. فتنصب "يمرَّ" لحسن يفعل فيه وهو ماضٍ. وأنشدني أبو ثروان:

أحِبُّ لحبِّها السودان حتى ... أحِبَّ لحبِّها سُودَ الكلابِ

ولو رفع لمضيه في المعنى لكان صوابًا. وقد أنشدنيه بعض بني أسد رفعًا))[1].

كما استشهد الفراء على أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما يؤمر به الاثنان في عرضه لقوله تعالى: (ألقيا في جهنمَ كلَّ كفَّارٍ عنيدٍ) [ق: ٢٤] بمروية أبي ثروان:

وإنْ تزجراني يا بنَ عفان أنزجرُ ... وإنْ تدعاني أحمِ عِرْضًا مُمنَّعا[2]

قال: ((العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان. فيقولون للرجل: قوما عنا. وسمعت بعضهم: ويحك، ارحلاها وازجراها... وأنشدني أبو ثروان:

وإنْ تزجراني يا بنَ عفان أنزجرُ ... وإنْ تدعاني أحمِ عِرْضًا مُمنَّعا

ونرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرُّفقة، أدنى ما يكونون ثلاثة. فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلا: يا صاحبَيَّ، يا خليلَيَّ))[3].

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/١٣٤– ١٣٥.

(٢) المروية رقم: ٩.

(٣) معاني القرآن للفراء: ٣/٧٨.

على أن ذلك ليس بمسلّم. فقد روي أن الشاعر يخاطب بالبيت شخصين اثنين. أحدهما أمير استُعدي عليه ومعه شخص آخر[١].

واستشهد الفراء بمروية لأبي ثروان على رفع الاسم المتقدم على الفعل المتأخر عنه إذا كان كلمة "كل" جاعلاً الرفع هو الأولى. قال الفراء: ((ومما يشبه الاستفهام مما يُرفع إذا تأخّر عنه الفعل الذي يقع عليه قولهم: كلُّ الناس ضربتُ. وذلك أن في "كل" مِثل معنى هل أحدٌ إلا ضربت. ومثل معنى أيُّ رجلٍ لم أضرب، وأيُّ بلدة لم أدخل، ألا ترى أنك إذا قلت: كلُّ الناس ضربت، كان فيها معنى: ما منهم أحد إلا قد ضربت. ومعنى أيهم لم أضرب. أنشدني أبو ثروان:

فقالوا: تعرّفْها المنازلَ من مِنى ... وما كُلُّ مَن يغشى منًى أنا عارفُ[٢]

رفعًا، ولم أسمع أحدًا نصب "كل"))[٣].

واستشهد الفراء على نصب المستثنى بعد "إلا" إذا كان تامًّا مسبوقًا بنفي مع جواز الإتباع للنكرة قبلها. قال الفراء: ((وإذا كان الذي قبل "إلا" نكرة مع جحد، فإنك تُتبِع ما بعد "إلا" ما قبلها، كقولك: ما عندي أحدٌ إلا أخوك... وأنشد أبو ثروان:

ما كان منذُ تركْنا أهلَ أسنُمةٍ ... إلا الوجيفَ لها رِعْيٌ ولا عَلَفُ[٤]

ورفع غيره))[٥]. وقد ذكر شواهد أخرى معه.

واستشهد الفراء على أن حرف الاستفهام "هل" يقوم مقام "ما" في الدلالة على النفي الذي يسبق الاستثناء. قال: ((أنشدني أبو ثروان:

قال الجواري: ما ذَهَبْتَ مذهبا ... وعِبْنَني ولم أكن مُعَيَّبا

هل أنت إلا ذاهبٌ لتلعبا ... أرَيْتَ إنْ أُعطِيتَ نَهْدًا كَعْثَبا[٦]

---

(١) راجع: لسان العرب: ٥/ ٣١٩ مادة جزز.
(٢) المروية رقم: ١١.
(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٩–١٤٠.
(٤) المروية رقم: ١٢.
(٥) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٦٧–١٦٨.
(٦) المروية رقم: ١٩.

... "هل أنت إلا ذاهب لتلعبا" ذهب بـ"هل" إلى معنى "ما"))[1].

ومجيء "هل" بمعنى "ما" النافية مما اختصت به "هل" عن همزة الاستفهام. وله نظائر[2]. منها قوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الأنعام: ٤٧]. وقوله أيضًا: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. وقوله عز من قائل: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[الرحمن: ٦٠].

وقد استشهد الفراء على حذف المضاف إليه منويًا إذا كان معطوفًا عليه مضافًا مصاحبًا له كقبل وبعد بمروية لأبي ثروان قال: ((وسمعت أبا ثروان العكلي يقول: "قطع الله الغداة يدَ ورجلَ من قاله"[3]. وإنما يجوز هذا في الشيئين يصطحبان مثل اليد والرجل. ومثل قوله: عندي نصف أو ربع درهم، وجئتك قبل أو بعد العصر. ولا يجوز في الشيئين يتباعدان مثل: الدار والغلام. فلا تجيزنّ: اشتريت دارَ أو غلامَ زيدٍ. ولكن: عبدَ أو أمةَ زيدٍ، وعين أو أذن، ويد أو رجل، وما أشبهه))[4].

وقد استشهد الفراء على اكتساب المضاف المذكر من المضاف إليه المؤنث التأنيث بمروية لأبي ثروان. قال: ((وإذا أضفتَ شيئا إلى شيء ومعناهما متفق. فربما ذهب الشاعر بالأول إلى الثاني، وإن كان الثاني جمعًا أو واحدًا أو مؤنثًا أو مذكرًا أخرج الفعل على عدد المخفوض، ولم ينظر إلى الخافض. وغن كان الشعر لا يقوم إلا بأن يُجعل الفعل للأخير... قال: أنشدني أبو ثروان:

أرى مرَّ السنين أخذْنَ مني كما أخذ السِّرار من الهلالِ [5]

فجعل "مرّ السنين" هو السنون بعينها))[6].

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٤.

(٢) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤٢، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: ١/٣٨٦.

(٣) المروية رقم: ٣١.

(٤) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٢٢. وانظر: همع الهوامع: ٤ /٢٩٣.

(٥) المروية رقم: ١٦.

(٦) المذكر والمؤنث للفراء: ١١٢، ١١٤.

وذكر الفراء على جواز إضافة النيف إلى عشرة في المركب العددي مروية لأبي ثروان دليلا على الجواز في الشعر خاصة، وأن يراد به المسمى لا العدد، قال: ((ولو نويت بخمسة عشر أن تضيف الخمسة إلى عشر في شعر لجاز، فقلت: ما رأيتُ خمسةَ عشرٍ قط خيرًا منها، لأنك نويت الأسماء، ولم تنوِ العدد. ولا يجوز للمفسِّر أن يدخل هاهنا كما لم يجز في الإضافة، أنشدني العُكلي أبو ثروان:

كُلِّفَ مِن عنائِهِ وشِقْوتِهْ

بنت ثماني عشرةٍ من حِجَّتِهْ[1]))[2].

وقد أخطأ من ظن أن استشهاده يدل على جواز إضافة النيف إلى عشرة مطلقًا ومرادًا به العدد، ومن ذلك ما نُقِل عن أبي علي الفارسي، جاء في "خزانة الأدب": ((قال أبو علي في "التذكرة القصرية": البغداديون يجيزون خمسة عشرٍ، فيضيفون وأنت تريد به العدد...))[3]. ذلك أن نصّ الفراء السابق بخلاف ما نُقِل عنه.

واستشهد الفراء بمروية لأبي ثروان على مجيء "سُوى" اسمًا مخالفًا البصريين الذين يرون مجيئها ظرفًا فقط[4]، نقل ذلك أبو البركات الأنباري بقوله: ((والذي يدل على ذلك أنه روي عن بعض العرب أنه قال: "أتاني سواؤك"[5]، فدلّ على صحة ما ذهبنا إليه))[6].

وردّه البصريون بأن هذه المروية: ((رواية تفرّد بها الفراء عن أبي ثروان، وهي رواية شاذة غريبة، فلا يكون فيها حجة))[7].

---

(1) المروية رقم: ٢١.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٢ /٣٤.

(٣) خزانة الأدب: ٦ /٤٣٠.

(٤) انظر: الكتاب: ٣١/١، ٤٠٧، المقتضب: ٤ /٣٤٩، ٣٥٣.

(٥) المروية رقم: ٢٢.

(٦) الإنصاف: ٢٩٦/١، ونقله عنه: خزانة الأدب: ٣ /٤٣٨.

(٧) الإنصاف: ٢٩٨/١، خزانة الأدب: ٣ /٤٣٩.

واستشهد الفراء على إعمال اسم المصدر غير العلم المأخوذ من الحدث خلافًا للبصريين بقول أبي ثروان: ((أتيته لكرامته إياي))[1].

كما استعين بمرويات أبي ثروان في الحكم على بعض الكلمات بالتذكير أو التأنيث. فقد استشهد أبو بكر الأنباري نقلاً عن الفراء بمروية لأبي ثروان في أن الغالب على "مِنى" التذكير والإجراء. قال: قال أبو بكر الأنباري: ((وقال الفراء: الغالب على "منى" التذكير والإجراء. قال: وأنشدني أبو ثروان:

فقالوا: تعرَّفْها المنازلَ من مِنى وما كُلُّ مَن يغشى منًى أنا عارفُ[2]))[3].

واستشهد الفراء على أن "الذنوب" يذكر ويؤنث بمروية أبي ثروان. قال: ((والذَّنوب أنثى وذكر، أنشدني أبو ثروان:

هَرِقْ لها من قَرْقَرَى ذَنُوبَا إنَّ الذَّنُوبَ ينفع المغلُوبا[4]))[5].

٢. أثر مرويات أبي ثروان في التصريف

استشهد الفراء على حذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها شرحًا لقوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ [الكهف: ٣٨] قال الفراء: ((معناه: لكنْ أنا هو الله ربي، تُرك همزة الألف من "أنا"، وكثر بها الكلام، فأدغمت النون من "أنا" مع النون من "لكن". ومن العرب من يقول: أنا قلت ذلك، بتمام الألف، فقُرئت "لكنَّا" على تلك اللغة... ويجوز الوقوف بغير ألف في غير القرآن في "أنا"... وأنشدني أبو ثروان:

وترمينني بالطَّرْفِ أيْ أنتَ مُذنِبُ وتقلينني لكنَّ إياك لا أقلي [6]

---

(١) المروية رقم: ٢٣.

(٢) المروية رقم: ١١.

(٣) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ٢/٠٥.

(٤) المروية رقم: ٢٠.

(٥) المذكر والمؤنث للفراء: ٩١، وفي المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ١/٤١٤ جاء: "والذنوب تذكّر وتؤنّث. أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء عن أبي ثروان...".

(٦) المروية رقم: ١٥.

يريد: لكنْ أنا إياكَ لا أقلي. فترك الهمز. فصار كالحرف الواحد))[1].

وفي مجال البنية، استشهد الفراء على أن الفعل "حضر" يكون بفتح عينه وكسرها، قال: ((يقال: حَضَرْته وحَضِرته، قال: وأنشدني أبو ثروان العكلي لجرير:

ما مَنْ جفانا إذا حاجاتنا حَضِرَتْ كَمَنْ لنا عنده التكريمُ واللَّطَفُ[2]))[3].

وقد رجّحت أن رواية أبي ثروان هي بالكسر أخذًا من نقل إسماعيل الجوهري (٣٩٢هـ) عن الفراء بلفظ يدل على أن الفراء أنشده شاهدًا للكسر. جاء في الصحاح: ((وحكى الفراء: حضِر بالكسر. لغة فيه. يقال: حضِرَت القاضي اليومَ امرأة، قال: وأنشدنا أبو ثروان العكلي لجرير على هذه اللغة:

ما مَنْ جفانا إذا حاجاتنا حَضِرَتْ كَمَنْ لنا عنده التكريمُ واللَّطَفُ[4]))[5].

وفي مجال الضبط بالحركة استشهد ابن السكيت على جواز الكسر والضم في أول كلمة "صُور" بمروية أبي ثروان:

أشْبَهْنَ من بقَرِ الخلصاءِ أعيُنَهُ وهُنَّ أحسنُ من صِيرانه صِوَرا[6]

إذ يروى أيضًا: "صِيَرا".

واستشهد الفراء على تركيب كلمة من كلمتين بمروية لأبي ثروان. ركّبت فيه كلمة "بِيَبَا" من كلمتين هما "بأبا"، التي أصلها "بأبي"، و"يا" للنداء. والأصل: يا بأبي، قال: ((ولا تنكرنَّ أن يجعل الكلمتان كالواحدة إذا كثُر بهما الكلام، ومن ذلك قول العرب: "بأبأ"، إنما هو "بأبي"، الياء من المتكلم ليست من الأب. فلما كثُر بهما الكلام توهموا أنهما حرف واحد، فصيّروها ألفا ليكون على مثال "حُبلى" و"سَكرَى"، وما أشبهه من الكلام. أنشدني أبو ثروان:

---

(١) معاني القرآن للفراء: ٢/١٤٤.
(٢) المروية رقم: ١٣.
(٣) إصلاح المنطق: ٢١٢-٢١٣، وضبط المحقق "حضرت" بفتح الضاد خلاف المراد.
(٤) المروية رقم: ١٣.
(٥) الصحاح: ٢/٦٣٣.
(٦) المروية رقم: ٦.

قــال الجـــواري: مـــا ذَهَبْـــتَ مـــذهبا وعِبْتَنِـــي ولـــم أكـــن مُعَيَّبـــا

هـــل أنـــت إلا ذاهـــبٌ لتلعبـــا أرَيْـــتَ إنْ أُعطِيـــتَ نَهْـــدًا كَعْثَبـــا

أذاك أم نُعطيـــكَ هَيْـــدًا هيْـــدَبا أبْـــرَدَ فـــي الظلمـــاءِ مـــن مَـــسِّ الـــصَّبا

فقلـــتُ: لا، بـــل ذا كمـــا يـــا بِيَبـــا أجـــدُ ألاَّ تفْـــضَحا وتحْربـــا[1]))[2].

وفي أحكام المقصور والممدود، استشهد الفراء على مجيء "القصا" بالمد والقصر، بمروية لأبي ثروان وردت بالمد:

فحاطونا القصاءَ وقد رأونا[3]

واستشهد أبو علي الحسن بن عبدالله القيسي (من علماء القرن السادس الهجري) على إحدى لغات "امرئ" (لغة فتح الراء وإجراء الإعراب على الهمزة) بمروية أبي ثروان نقلا عن الفراء: وعن الفراء: ((أنشدني أبو ثروان:

أنتَ امْرَأٌ من خيارِ الناسِ كلِّهمُ تُعطِي الجزيلَ وتُعطِي الحمدَ بالثمنِ[4]))[5].

وبناء على هذه اللغة تقول: هذا امْرَأٌ، ورأيتُ امرَأً، ومررتُ بامرَإٍ.

وفي مجال الاستشهاد بالمرويات في المعجم العربي لشرح لفظة أو ضبطها، استشهد بعض اللغويين على أن كلمة "جلنز" تطلق على المرأة القصيرة بمروية أبي ثروان:

فوقَ الطويلةِ والقصيرةِ شَبْرُها لا جِلِنْزٌ كُنُدٌ ولا قَيْدُودُ[6]

---

(1) المروية رقم: 19.

(2) معاني القرآن للفراء: 1/ 4.

(3) المروية رقم: 8.

(4) المروية رقم: 17.

(5) إيضاح شواهد الإيضاح: 2/ 603.

(6) المروية رقم: 4.

واستشهد الفراء على أن معنى "رهوًا" في قوله تعالى: (واتركِ البحرَ رهوًا) [الدخان: ٢٤] السكون بمروية أبي ثروان:

كأنّما أهلُ حجرٍ ينظرون متى ... يرَونَني خارجًا طيرٌ تناديدِ

طيرٌ رأتْ بازيًا نضخُ الدِّماء به ... أو أمةٌ خرجتْ رهوًا إلى عيدِ[1]

واستشهد الفراء على استعمال "عورة" للخلل أو الفجوة بمروية أبي ثروان:

له الشّدّةُ الأولى إذا القِرنُ أعورًا[2]

واستشهد الفراء على استعمال "أتل" للغضبان بمروية له مكونة من أربع أبيات. قال الفراء: ((يقال: أتَنَ الرجلُ يأتِنُ، وأتَلَ يأتِلُ، وهو الأتلان والأتلال، وهو أن يقارب خطوَه في غضب. قال: وأنشد أبو ثروان:

أألْ حَنَّ أجمالٌ وفارقَ جِيرَةٌ ... عُنيتَ بنا ما كانَ نَولُكَ تَفعَلُ

ومَنْ يسألِ الأيامَ نأيَ صديقِهِ ... وصَرفَ الليالي يُعْطَ ما كان يسألُ

أراني لا آتيكَ إلا كأنّني ... أسأتُ وإلا أنتَ غضبانُ تأتِلُ

أردتُ لكيما لا ترى ليَ عثرةً ... ومن ذا الذي يُعطى الكمالَ فيَكمُلُ[3]))[4].

كما استشهد بمروية لأبي ثروان على متصرفات وري الزند، جاء في كتاب "النبات": ((ويقال: زَندٌ وارٍ ووَرِيٌّ، إذا كان سريع الورْي كثير النار... قال الفراء: يقال: وريتُ الزناد

---

(١) المروية رقم: ٥.

(٢) المروية رقم: ٧.

(٣) المروية رقم: ١٤.

(٤) الإبدال: ٦٦.

فوَرَتْ. قال: وبعضهم يقول: فورِيَتْ. قال: وكان أبو ثروان يقول: وَرَتْ بك زنادي وَرْيًا، وزهرت بك زنادي. قال: وأنشدني:

قومٌ أصابُهمُ من وَرْيِ زندِهِمِ شرارةٌ غِبُّها في ثوبِ واريها[1]))[2].

كما استشهد الفراء على استعمال الفعل "يحكِم" من الحكمة التي توضع للدابة للحد من جريها بمروية أبي ثروان. قال الفراء في عرضه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩]: ((فهي من وزعت. ومعنى وزعته: حبسته وكففته. وجاء في التفسير: يحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار. قال: وسمعت بعض العرب يقول: لأبعثنَّ عليكم من يزَعُكم ويُحكِمُكم من الحكَمة التي للدابة. قال: وأنشدني أبو ثروان العكلي:

فإنَّكما إنْ تُحكِماني وتُرسِلا عليَّ غُواة الناس إيبَ وتضلعا[3]

فهذا من ذلك. إيب من أبَيْت وآبى))[4].

وفي مجال الأضداد استشهد الفراء على أن "باع" يستعمل بمعنى "اشترى" بمروية لأبي ثروان. قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]: ((معناه – والله أعلم – باعوا به أنفسهم. وللعرب في "شروا" و"اشتروا" مذهبان، فالأكثر منهما أن يكون "شروا": باعوا. و"اشتروا": ابتاعوا. وربما جعلوهما جميعًا في معنى "باعوا" وكذلك البيع. يقال: بعت الثوب. على معنى أخرجته من يدي. وبعته: اشتريته. وهذه اللغة في تميم وربيعة. سمعت أبا ثروان يقول لرجل: "بِعْ لي تمرًا بدرهم"[5]. يريد: اشتر لي))[6].

---

(١) المروية رقم: ١٨.

(٢) النبات: ١٣٤.

(٣) المروية رقم: ١٠.

(٤) معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٥–١٦.

(٥) المروية رقم: ٢٧.

(٦) معاني القرآن للفراء: ١/ ٥٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فقد تبين في هذا البحث أن أبا ثروان العكلي أحد الرواة المعدودين لدى علماء الكوفة دون البصرة. وأن له مرويات ذات تأثير في النحو والصرف. وإن كان التأثير محدودًا. إذ لم تبلغ كثرة تجعلها متداولة في مختلف كتب النحو والتصريف. ومحتجًا بها في مختلف الأبواب النحوية والتصريفية. إذ لم تزد عن أربعين مروية حسب الحصر الذي قمت به. موقنًا بأن ذلك الحصر صاحبه صعوبات تتمثل في عدم وجود فهرسة أو دقة للفهرسة في الكتب. وتصحيف أو تحريف اسمه أو مروياته. إلا أنه أمكن تصويب ذلك من خلال مراجعة المصادر الأخرى لكل مروية. مع ما عنيت به من أهمية توثيق تلك المرويات. وغلبة الظن إن لم يكن اليقين على أنها من مروياته.

وقد تأكد في البحث أن أبا ثروان لم يكن من الرواة المعدودين في رواية اللغة. وأنه لم يحظ بعناية النحويين البصريين أو من جاء بعدهم من علماء. إلا أن ذلك أيضًا يجعل دراسته وتحديد أثره مهمة في الدرس النحوي الذي ينبغي أن يشمل جميع مصادر اللغة والنحو بالدراسة والتمحيص.

كما بيّنت من خلال البحث نفي نسبة بعض المرويات إليه. وهذا له أثره في دراسة تأثيره. وفي نسبة النصوص إلى أصحابها.

وتظل نصوصه ومروياته مبثوثة في المعاجم اللغوية تفسر كلمة أو توضح معنى. وهذا يدل على أن تأثيره في اللغة قد يكون أكثر منه في النحو والتصريف.

وفق الله الجميع إلى ما يحبه ويرضاه...

المصادر والمراجع:

- الإبدال / ليعقوب بن السكيت ، تحقيق د. حسين شرف .– القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية . ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
- آراء ابن بري النحوية / د. فراج بن ناصر الحمد .– الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة الأولى. ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- الأزمنة والأمكنة / لأبي علي المرزوقي .– حيدر آباد. الهند: مجلس دائرة المعارف، ١٣٣٢هـ – ١٩١٣م.
- الأشباه والنظائر / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، راجعه فايز ترحيني .– الطبعة الثانية .– بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
- الاشتقاق / لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون .– الطبعة الأولى .– بيروت : دار الجيل . ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
- إصلاح المنطق / يعقوب بن إسحاق بن السكيت . تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون .– الطبعة الرابعة .– القاهرة : دار المعارف .
- أصول التفكير النحوي / د. علي أبو المكارم .– الطبعة الأولى .– ليبيا : الجامعة الليبية . كلية التربية . ١٣٩٢هـ – ١٩٧٣م .
- الأعراب الرواة / د. عبدالحميد الشلقاني .– الطبعة الثانية .– طرابلس ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. ١٩٨٢م.
- إعراب القرآن / لأبي جعفر النحاس ، تحقيق د. زهير غازي زاهد .– الطبعة الثالثة .– بيروت : عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية . ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
- الاقتراح في أصول النحو وجدله / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق د. محمود فجال .– الطبعة الأولى .– أبها : مطبعة الثغر . ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
- الألفاظ / ليعقوب بن إسحاق بن السكيت، تحقيق د. فخر الدين قباوة .– الطبعة الأولى .– بيروت: مكتبة لبنان. ١٩٩٨م.
- أمالي الزجاجي / لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق عبدالسلام هارون .– الطبعة الثانية .– بيروت : دار الجيل . ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- الأمالي / لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي .– بيروت: دار الكتب العلمية.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة / لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم .– الطبعة الأولى .– القاهرة : دار الفكر العربي . ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين / لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .– الطبعة الأولى .– بيروت : المكتبة العصرية . ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- الأيام والليالي والشهور / لأبي زكريا الفراء، تحقيق إبراهيم الأبياري .– الطبعة الثانية .– القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني. ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- إيضاح شواهد الإيضاح / لأبي علي الحسن القيسي، تحقيق د. محمد الدعجاني .– الطبعة الأولى .– بيروت : دار الغرب الإسلامي . ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- بحوث ومقالات في اللغة / د. رمضان عبدالتواب .– الطبعة الثالثة .– القاهرة: مكتبة الخانجي. د١٤١هـ – د١٩٩م.
- البيان في غريب إعراب القرآن / لأبي البركات الأنباري، تحقيق د. طه عبدالحميد طه .– القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
- تاج العروس من جواهر القاموس / السيد محمد مرتضى الزبيدي .– الكويت: وزارة الإعلام.
- تاريخ التراث العربي / فؤاد سزكين، ترجمة عرفة مصطفى، مراجعة مازن عماوي.– الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- التبيان في إعراب القرآن / لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق علي البجاوي .– القاهرة : مكتبة عيسى البابي الحلبي .
- تذكرة النحاة / لأبي حيان محمد الأندلسي، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن .– الطبعة الأولى .– بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل / لأبي حيان محمد الأندلسي .– مخطوط في دار الكتب المصرية . برقم ١٩٨٦.
- التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح / ابن بري، تحقيق مصطفى حجازي وعبدالحليم الطحاوي .– الطبعة الأولى .– القاهرة: مجمع اللغة العربية والهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠م – ١٩٨١م.
- تهذيب اللغة / لأبي منصور الأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون .– الطبعة الأولى .– القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ومكتبة الخانجي ، ١٣٨٤ – ١٣٩٦هـ / ١٩٦٤ – ١٩٧٦م .

■ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي / لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجريري ، تحقيق د. محمد مرسي الخولي .– الطبعة الأولى .– بيروت : عالم الكتب . ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

■ الجمل في النحو / لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق د. علي الحمد .– الطبعة الرابعة .– بيروت : مؤسسة الرسالة .– الأردن : دار الأمل . ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

■ جمهرة اللغة / لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي .– الطبعة الأولى .– بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٨٧م .

■ الجنى الداني في حروف المعاني / الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل .– الطبعة الأولى .– بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

■ الجيم / لأبي عمرو الشيباني، تحقيق إبراهيم الأبياري .– القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

■ حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة / د. يوسف خليف .– القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

■ الحيوان / لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون .– بيروت : إحياء التراث العربي، والمجمع العلمي العربي الإسلامي، د. ت.

■ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون .– الطبعة الثالثة .– القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

■ الخصائص / عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار .– بيروت : دار الكتاب العربي .– مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

■ ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق د. عزة حسن .– الطبعة الثانية .– دمشق: دار الثقافة. ١٩٧٢م.

■ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان أمين طه .– الطبعة الثالثة .– القاهرة : دار المعارف .

■ ديوان ذي الرمة / غيلان بن عقبة ، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح .– الطبعة الأولى .– بيروت : مؤسسة الإيمان . ١٩٨٢م .

■ ديوان مزاحم العقيلي، تحقيق كرنكو .ت ليدن. ١٩٢٠م.

■ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار / لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق د. سليم النعيمي .– بغداد: وزارة الأوقاف العراقية. ١٩٨٢م.

- رسالة القضاء بين سيبويه والكسائي أو الفراء في المسألة الزنبورية المقرونة بالشهادة الزورية / لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، تحقيق حياة قارة .– الرياض: مجلة الدراسات اللغوية. مج ٧. العدد ٢. ربيع الآخر – جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ مايو – يوليه ٢٠٠٥م. ص: ٧–٣٠.
- رواية اللغة / د. عبدالحميد الشلقاني .– القاهرة: دار المعارف. ١٩٧١م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس / لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د. حاتم الضامن، اعتنى به عز الدين البدوي النجار .– الطبعة الأولى .– بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
- شرح أبيات سيبويه / لأبي محمد يوسف بن سعيد السيرافي، تحقيق د. محمد علي سلطاني .– دمشق وبيروت: دار المأمون . ١٩٧٩م .
- شرح الشواهد / العيني محمود، مطبوع ضمن حاشية الصبان على شرح الأشموني .– القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .
- شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي / عبدالله بن بري، تحقيق عيد مصطفى درويش .– القاهرة : مجمع اللغة العربية . ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ / ابن مالك، تحقيق عدنان الدوري .– الطبعة الأولى .– بغداد : مطبعة العاني . ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .
- شرح مشكل الآثار / لأحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط .– بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية / إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عطار .– الطبعة الثالثة .– بيروت : دار العلم للملايين . ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
- طبقات النحويين واللغويين / لأبي بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .– الطبعة الثانية .– القاهرة : دار المعارف .
- الطبقات / خليفة بن خياط الليثي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري .– الرياض: دار طيبة. ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- عبقري من البصرة / د. مهدي المخزومي .– بيروت: دار الرائد العربي. الطبعة الثانية. ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده / ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .– الطبعة الخامسة .– بيروت : دار الجيل . ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي .– الطبعة الأولى .– بيروت : مؤسسة الأعلمي . ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

- غريب الحديث / لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق عبدالكريم العزباوي .- مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- فُرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه / لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني، تحقيق د. محمد علي سلطاني .- دمشق: مطبعة دار الكتاب، دار النبراس، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الفرق بين الحروف الخمسة / لابن السيد البطليوسي، تحقيق د. علي زوين .- بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة العاني.
- فصحاء العرب / عبدالقادر المغربي.- دمشق: مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٩، ج٣، رمضان ١٣٤٧هـ - آذار ١٩٢٩م، ص ١٤٠- ١٥٩.
- الفصوص / لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق د. عبدالوهاب التازي سعود .- المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- فهارس معاني القرآن للفراء / د. فائزة عمر المؤيد .- الدمام: مطابع الرضا، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الفهرست / لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، علق عليه الشيخ إبراهيم رمضان .- الطبعة الأولى.- بيروت: دار المعرفة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الكتاب / سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون .- الطبعة الثالثة .- بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الكتاب / سيبويه .- الطبعة الأولى .- بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٦هـ.
- الكشف والبيان / لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، تحقيق الطاهر بن عاشور .- بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- لسان العرب / محمد بن منظور .- الطبعة الأولى .- بيروت : دار صادر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة / عثمان بن جني، تحقيق د. حسن هنداوي .- دمشق : دار القلم . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- مجاز القرآن / لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين .- د.ط. .- بيروت : مؤسسة الرسالة، د.ت.
- مجالس العلماء / لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق عبدالسلام هارون .- الطبعة الثانية .- القاهرة : مكتبة الخانجي، الرياض : دار الرفاعي . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- مجالس ثعلب / لأبي العباس أحمد بن يحيى، ثعلب، تحقيق عبدالسلام هارون .- الطبعة الخامسة .- القاهرة : دار المعارف، د.ت.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح إسماعيل . - القاهرة : لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .- ١٣٨٦- ١٣٨٩هـ / ١٩٦٦ - ١٩٦٩م .
- المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيده، تحقيق مجموعة من الأساتذة .- الطبعة الأولى .- القاهرة : معهد المخطوطات العربية، ١٣٧٧ - ١٤١٨هـ / ١٩٥٨ - ١٩٩٧م .
- المخصص / ابن سيدة .- القاهرة : دار الكتاب الإسلامي .
- مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها / د. عبدالرحمن السيد .- الطبعة الأولى.- القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- المذكر والمؤنث / يحيى بن زياد الفراء، تحقيق د. رمضان عبدالتواب .- القاهرة : مكتبة دار التراث، ١٩٧٥م .
- المذكر والمؤنث / لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د. طارق الجنابي .- الطبعة الثانية .- بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- مراتب النحويين / لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- القاهرة : دار الفكر العربي. د.ت.
- مراحل تطور الدرس النحوي / د. عبدالله الخثران .- الطبعة الأولى .- مصر : دار المعرفة الجامعية. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها / جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم .- الطبعة الثالثة .- القاهرة : مكتبة دار التراث .
- مصادر اللغة / د. عبدالحميد الشلقاني .- الطبعة الثانية .- طرابلس ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٢م.
- معاني القرآن / لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق د. عبدالأمير محمد أمين الورد .- الطبعة الأولى .- بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- معاني القرآن / لأبي زكريا الفراء، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي .- الطبعة الثالثة .- بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب / ياقوت بن عبدالله الحموي .- الطبعة الأولى .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- المعجم العربي: نشأته وتطوره / د. حسين نصار .- الطبعة الرابعة .- القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية / محمود بن أحمد العيني .- بيروت: دار صادر، د.ت، مطبوع على هامش "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب" للبغدادي.
- المقتضب / لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة .- بيروت: عالم الكتب.
- المقصور والممدود / يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق ماجد الذهبي .- الطبعة الثانية .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- مقطعات الأعراب النثرية إلى نهاية القرن الرابع في المصادر الأدبية جمعًا وتوثيقًا / د. عبدالله بن سليم الرشيد .- الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- النبات (الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس) / لأبي حنيفة الدينوري ، تحقيق برنهارد لفين .- بيروت : دار القلم ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري عرض ونقد / د. محمد آدم الزاكي .- مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء / لأبي البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن الأنباري، تحقيق د. إبراهيم السامرائي .- الأردن: مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب / أحمد القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري .- بيروت: دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- النوادر / لأبي مسحل الأعرابي ، عبدالوهاب بن حريش ، تحقيق د. عزة حسن .- دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .
- يوم وليلة في اللغة والغريب / لأبي عمر محمد بن عبدالواحد المطرز (غلام ثعلب)، تحقيق د. محمد جبار المعيبد .- القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٢٤، ج٢، ذو الحجة ١٣٩٨هـ. [قلت: أرى أنه رواية أخرى لكتاب الأيام والليالي والشهور للفراء، وليس كتابا للمطرز].

* * *

بلاغة الحِجاج في
خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه

د. حزام بن سعد الغامدي
أستاذ البلاغة المشارك بجامعة الباحة

بلاغة الحِجاج في خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه

د. حزام بن سعد الغامدي
أستاذ البلاغة المشارك بجامعة الباحة

ملخص البحث:

تناولت الدراسة أبرز سمات الحجاج في خطب أبي بكر ﷺ ،حيث تم انتقاء الخطب التي تمثل قضايا الحجاج في خطب الصدّيق ،وتم استنباط أهم السمات الحجاجية في خطب أبي بكر ﷺ ، وقد أبرزت الدراسة سمة من سمات الصديق . وصفة من صفاته قد وقعت تحت الظل ، حيث عرف منه الناس الرحمة والحلم والبكاء من خشية الله ،فهو الرجل الأسيف ،وغفلوا عن خلة من أجمل خلاله ، وهي قوة العارضة، وفصاحة البيان .وشدة الإقناع . والقدرة على إفحام الخصم ، وهذا ما حاولت هذه الدراسة إبرازه وبالله التوفيق .

المقدمة:

" حاججته أحاجه حجاجاً ومحاجّة حتى حججته. أي: غلبته بالحجج التي أدليتُ بها. وحاجّه محاجّة: نازعه الحجة. والحجّة: الدليل والبرهان [1]

" ورجل مِحْجَاج: أي جَدِل " [2]. قال تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) [3]

وعلى هذا فإن الحجاج مرادف للجدل. ويكثر ورودهما مترادفين في اصطلاح القدماء، وهذا من شأنه أن يضيّق مجال الحجاج. كما سنأتي إليه في التمهيد.

والحجاج في الاصطلاح هو: جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله. أو هو تقديم الحجج والاستفادة منها.[4]

والحِجَاج الخطابي أعلى درجات البلاغة. يقول أبو هلال العسكري: " أعلى درجات البلاغة أن تحتج للمذموم حتى تخرجه في معرض المحمود. والمحمود حتى تصيّره في صورة المذموم ".[5]

والحجاج العقلي البرهاني- كما ذكر أبو الوليد الباجي - أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً ، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال. وتمييز الحق من المحال. ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة. ولا عُلِم الصحيح من السقيم ولا المعوجّ من المستقيم.[6]

---

١ – لسان العرب. مادة:ح ج ج.

٢ – السابق نفسه.

٣ – سورة البقرة.جزء من آية ٢٥٨.

٤ – ينظر: الحجاج في درس الفلسفة. مليكة غبار. أحمد أمزيل. علي أعمور ،أفريقيا الشرق. المغرب ٢٠٠٦، ص٤٤٦.

٥ – ينظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. أبو هلال العسكري. ت: علي البجاوي. محمد أبو الفضل. ط١. ١٩٥٢. ص٥٣.

٦ – المنهاج في ترتيب الحجاج ،أبوالوليد الباجي. ص٨.

ولما كانت الحاجة ماسة إلى دراسة الحجاج في خطب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ،لأنه يمثّل صورة عالية من البيان العربي في عصر صدر الإسلام ؛ وحيث إن أبا بكر -رضي الله عنه – قد عرض له من الأحداث الجسيمة ما دعاه لإقامة الحجة وإثبات البرهان وإقامة الدليل،وقد كان قمة في البيان وطودًا شامخًا في الحجاج ، لذا وجدت الدراسة ميدانًا خصبًا جديرًا بالدراسة.

وقد جاء هذا البحث لدراسة الحجاج في خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، معتمدا على المنهج الوصفي التحليلي، على النحو الآتي:

- المقدمة بين يديك.
- التمهيد: جعلتها للمفاهيم الاصطلاحية. حاولت فيه بيان التفريق بين الحجاج والجدل، وبيان أنواع الحجاج. والفرق بينه وبين المذهب الكلامي من جهة، وبينه وبين الاستدلال من جهة أخرى. وقد خلصت من التمهيد إلى ترشيح استخدام الحجاج في دراسة خطب أبي بكر رضي الله عنه.
- دراسة تطبيقية للحجاج في خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا يمثل الجزء التطبيقي من الدراسة، وقد انتخبت له تسع خطب ، لأنها تمثِّل أهم قضايا الحجاج عند أبي بكر رضي الله عنه،ويبدو فيها الحجاج واضحا. وقمت بدراسة ما فيها من حجاج. ملخِّصاً السِّمات الحجاجية لكل خطبة على حدة.
- خاتمة : لخّصت فيها أهم قضايا الحجاج عند أبي بكر رضي الله عنه،وأهم السمات الأسلوبية للخطب موضع الدراسة، محاولا إيضاح علاقة تلك السمات بمقاصد المتكلم وأثرها في المتلقي.

* * *

تمهيد:

يُعتبر مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس، ويعود ذلك الى عدة عوامل من أهمها تعدّد استعمالات الحجاج، وتباين تعاريفه من حقل لآخر بحسب العلوم التي يوظّف داخلها وفق قوامها المنهجي من منطق وبلاغة وفلسفة، والتباسه ببعض المصطلحات القريبة منه، التي توهم أحيانا بالترادف.

وقد اعتبر القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفاً للجدل، وهذا من شأنه أن يضيّق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل ، من حيث هو صناعة منطقية، ومن حيث أنه في الأصول وعلم الكلام: " معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصّل بها إلى حفظ رأي وهدمه ; سواء كان ذلك الرأي في الفقه أو غيره ".[١]

ولكن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلاً، فالجدل والخطابة " قوّتان لإنتاج الحجج ".[٢]

ويمكن القول بأن هناك نوعين من الحجاج: جدلي، وخطابي، ومدار الحجاج الجدلي على مناقشة الآراء مناقشةً نظريةً محضةً لغاية التأثير العقلي المجرّد، وتمثّله في التراث العربي "مناظرات علم الكلام".

وأما الحجاج الخطابي فهو حجاج موجّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة، والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، ولو كان ذلك بمخالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع.[٣]

---

١ – المقدمة،ابن خلدون،دار الكتاب العربي، بيروت،ص٧د٤.

٢ – الخطابة، أرسطو، تعريب عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦م، المقالة:١ الفصل:٢، ص ٦ د١٢٣أ.

٣ – الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،عبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٧–١٨.

وإذا كان الحجاج بمعناه الجدلي ضيق الأُفُق، قاصراً عن الإلمام بدراسة أساليب الحجاج، لا يفي بموضوع الدراسة، كما أن الحجاج بمفهومه الخطابي يقوم على المغالطة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن، فإن هذا كله لا يتوافق مع ما تصبو إليه الدراسة، لذلك ستسلك الدراسة في مفهوم الحجاج سبيلاً ثالثة، يجعل الحجاج مستقلاً عن الجدل، بعيداً عن تهمة الدِّعاية والاستمالة والمغالطة اللائطة بالجدل في أصل نشأته، في كنف الخطابة.[1]

تنطلق هذه الدراسة من غاية الحجاج التي تهدف إلى إذعان العقول لما يطرح إليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، لتقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه.[2]

وإذا ما أتينا للتفريق بين الحجاج والمذهب الكلامي، فإننا نجد أن ابن المعتز، يقول في كتاب البديع: " وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب إلى التكلف ".[3]

وقد أخذ بعض البلاغيين على ابن المعتز نفي هذا الفن عن القرآن قال ابن أبي الأُصبَع: " وزعم – ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز، وهو محشو منه ".[4]

وعرّفه الخطيب القزويني بقوله: " أن يورد المتكلم حجة لما يدّعيه على طريق أهل الكلام ".[5]

إذن المذهب الكلامي لون من ألوان الحجاج يراعي فيه المتكلم إقناع خصمه بالحجة والبرهان، وليس مرادفاً للحجاج ولا يقوم مقامه، كما أن الحجاج الخطابي عِرْقٌ ضارب في جذور البلاغة بخلاف مصطلح المذهب الكلامي.[6]

---

١ – ينظر: السابق، ص٢٠-٢١ .

٢ – ينظر: السابق، ص٢٧.

٣ – البديع، ابن المعتز، ص ١٤٧.

٤ – تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع،ص١١٩.

٥ – الإيضاح، القزويني، ص٣٤١.

٦ – ينظر: الاحتجاج في القرآن الكريم، زينب الكردي، ص٢٢.

وقد يتوهّم بعضهم بترادف الاستدلال والحجاج، لكنّ الحجاج ليس " استدلالاً محضاً، بقدر ماهو خطاب ينشط في إطار وضعية تخاطبيّة معيّنة، تضم طرفاً مُحاوِراً وطرفاً مُحاوَراً "[1]

ونخلص مما سبق إلى ترشيح استخدام مصطلح الحجاج موضوعاً لهذه الدراسة، وقد جعلتها في خطب أبي بكر ﷺ ، وذلك لما لحظته في أثناء قراءَتي لخطب أبي بكر ﷺ من أساليب حجاجية، ولأن ذلك غائب عن كثير من الدارسين، فلم أجد دراسة أو مقالاً كتب عن حجاج أبي بكر ﷺ.

والدراسة تحاول إبراز جانب من جوانب شخصية أبي بكر ﷺ، وهو جانب قوة بيانه، وإقناعه وشدّته في الحق، حيث يبدو للكثير من شخصية أبي بكر ﷺ جانب الرّقة فحسب.

ولا يعني الحجاج حشد الحجج فحسب، وإنما يعني أيضاً جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم، وصيغ الكلمات ،والتراكيب، وأنواع الصور. فاللفظ يحلّ مكاناً معيّناً ليقود المتلقّي إلى غاية ما، ويعتمد التركيب تركيباً دون آخر، ليقنع المتلقّي بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب في كليته [2]، وهذا ما سوف تثبته هذه الدراسة لأبي بكر رضي الله عنه.

وسوف تبحث هذه الدراسة في أصول الحجاج التي اعتمد عليها أبو بكر ﷺ ليحتج لرأي، أو يدحض فكرة ، محاولاً إقناع المتلقي بما بسطه، أو حمله على الإذعان لما يعرضه.

* * *

---

١ – الحجاج بين المنوال والمثال " نظرات في أدب الجاحظ وتفسير الطبري "، د. علي الشبعان، ص١٧.

٢ – ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة " بنيته وأساليبه أ.د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٢٨هـ ص٨٨ وما بعدها.

الحجاج في خطب أبي بكر رضي الله عنه "دراسة تطبيقية"

الخطبة الأولى:

لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ أبا بكر أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعده ليولّوا الخلافة سعد بن عبادة. خشي الفتنة فأسرع إليهم ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين. فقام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال:

" أيها الناس. نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب. وأمسّهم رحماً برسول الله ﷺ. أسلمنا قبلكم.وقُدِّمنا في القرآن الكريم عليكم. فقال تعالى﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾[1]

فنحن المهاجرون،وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو. آويتم وواسيتم. فجزاكم الله خيرا، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش. فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله".[2]

البدء مثير بناه أبو بكر رضي الله عنه على حذف أداة النداء "يا" ليفيد دلالة إلغاء ما يتوهم من فاصل بينه وبين من ناداه. مع إفادة أن مناداة من هو بمكان ،وهذا أدعى لاستمالة القلوب .

وقوله "نحن المهاجرون" عبّر بلفظة "نحن" ولم يقل "أنا من المهاجرين" إذ الحديث عن جماعة المهاجرين، وليس عن ذاته،ولو كان أبو بكر رضي الله عنه طالب ولاية لجاء حديثه بصيغة ضمير المتكلم المفرد. ولما أخذ بيد أبي عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وطلب من الأنصار مبايعة أحدهما .

---

١ – سورة التوبة، ١٠٠.

٢ - البيان والتبيين، ص٢٧د.

ونلحظ اعتماد أبي بكر رضي الله عنه على صيغة التفضيل أداة حجاجية في نحو قوله: " أول الناس، وأكرمهم، وأوسطهم، وأحسنهم، وأكثر الناس، وأمسّهم ".

وتكرار هذه الصيغة وتنوع دلالتها يهدف إلى إبراز أحقية المهاجرين بالخلافة.

ونلحظ حسن اختيار تلك الصفات وتناسبها داخل سياقها ؛ حيث تشكّل بمجموعها مؤهلات قيادة العالم أجمع، فهم " أول الناس إسلاما " فالتفضيل بالإسلام للأسبق ، ولذا ناسب قوله "أول " لكلمة "إسلاما" إذ أسبقيتهم للإسلام مبادرة إلى الخير وإسراع للحق، مع ما فيه من الصبر على أذى القوم وتكذيبهم، وعدم الاستيحاش من قلة الناصر، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

وبينما ناسبت كلمة "أول" كلمة "إسلاماً" ، فقد جاءت "أكرم" مع "أحساباً" فالأحساب توصف بالكرم ،وجاء بهذه الصفة لاعتبار أثر قوة النسب والحسب عند العرب في أمر السيادة، وقد أكد كرم أنسابهم بقوله: " وأوسطهم دارا " والأوسط هنا: الأفضل ،على حد قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[2]

ولما كان لحسن الهيئة أثره في السيادة قال: " وأحسنهم وجوها " والوجه يوصف بالحسن، فلا يصح أن يقول أوسطهم وجوها أو أكرمهم وجوها، ونحو ذلك فجاءت الصفة في محلّها، ونزلت موقعها اللائق بها.

ولما كانت كثرة العشيرة موطن قوة، ومرشّح سيادة وقيادة، قال: " وأكثر الناس ولادة في العرب" فاحتج بالكم كما احتج بالكيف.

ولما كان اصطفاء النبي ﷺ من قريش لأعظم ولاية استحقّ قرابته من بعده الخلافة والولاية فهم "أمسّ الناس رحما بالنبي ﷺ ".

---

١ – سورة الحديد،الآية ١٠.

٢ – سورة البقرة، جزء من الآية ١٤٣.

وقد احتج أبو بكر رضي الله عنه بتقديم المهاجرين على الأنصار في القرآن الكريم. على أحقيتهم بالخلافة ، لأنهم الأفضل، فاستشهد بقوله تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار"[1]

وقد مهّد بتفضيل المهاجرين على الناس. لقضيته الرئيسية، وهي تفضيل المهاجرين على الأنصار ؛ إذ الأنصار هم المنافسون للمهاجرين على الولاية.

وقد استطاع أبو بكر رضي الله عنه احتواء المتلقي بإظهار فضل الأنصار، بقوله: " وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو "

ولكن هذه الخصال يشترك فيها الأنصار مع المهاجرين، وليس لهم فيها فضل أو تقدم على المهاجرين ، ليستحقوا بذلك تقديمهم عليهم .

وقد امتدحهم أبو بكر رضي الله عنه وأشاد بفضلهم على المهاجرين بقوله: " آويتم وواسيتم ".

وقد انتقل أبو بكر رضي الله عنه من المقدمة الحجاجية إلى النتيجة بقوله: " فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء " وهذه النتيجة هي المغزى والهدف من تلك الحجج والبراهين التي أوردها أبو بكر رضي الله عنه.

وقد قرّر أبو بكر رضي الله عنه النتيجة بقوله" لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش " وأنهى خطبته بنصيحة حانية تتناسب مع مغزى الخطبة وموضوعها، فقال: " لا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله ".

ويمكن إيجاز أهم سمات الخطبة الحجاجية فيما يأتي:

١. تكرار صيغة التفضيل ، مما أسهم في إزالة توهم اعتقاد الأنصار أحقيتهم بالخلافة.

---

١ – سورة التوبة، الآية ١٠٠.

٢. الاحتجاج بالاستشهاد بالآية القرآنية على تقدُّم المهاجرين بالفضل وأحقيتهم بالإمارة ، والحجة النقلية الخبرية إذا كانت من نص مقدّس ، مقدمة على غيرها من الحجج ، لأنها من الأخبار الصادقة المجزوم بصحتها. ولهذا قيل " إذا جاء النص بطل القياس"[1]

فالحجة القرآنية ترجّح على ما سواها من الحجج الأخرى. قال ابن رشيق: " وأوضح الكلام عندي ما قام عليه الدليل، وثبت فيه الشاهد من كتاب اللّه ".[2]

٣. استيعاب الآخر واحتواؤه أداة من أدوات الحجاج في الخطبة. حيث ذكر فضائل الأنصار ومحاسنهم، مما كان له أثره في حسن إقناع الأنصار والتأثير فيهم.

٤. جاءت الخطبة في مقدمة حجاجية ونتيجة تمثل الحكم، متأثرة بألفاظ القرآن ومعانيه، ومقتبسة من آياته ، متأثرة بالبيان النبوي. فقول أبي بكر ﷺ: " آويتم وواسيتم " متأثرة بقوله ﷺ للأنصار : " ألا تقولون: أتيتنا طريداً فآويناك وأتيتنا خائفاً فأمنّاك ".[3]

٥. كثرة الجمل الاسمية في الخطبة من شأنها أن تساعد في إخراج المعاني في قالب تقريري لإثبات الحجة وإقناع الخصم. فبينما لا تتجاوز الجمل الفعلية في الخطبة ست جمل ، فقد بلغ عدد الجمل الاسمية أربع عشرة جملة.

٦. جاء ذكر المسند إليه وتقديمه لحاجة السياق إليه. وذلك في الجمل الآتية: " نحن المهاجرون. وأنتم الأنصار. نحن الأمراء وأنتم الوزراء " وهذا نوع آخر من توكيد الجمل، لإقرار المعنى وتثبيته.

---

١ – خاص الخاص. أبو منصور الثعالبي،. ص٧١.

٢ – العمدة. ج٢. ص٥٢.

٣ – مسند أحمد. رقم. ٧٤٠١١.

٧. غلبة الأسلوب الإخباري لما يقتضيه الإقناع ،وقد جاء الأسلوب الإنشائي في موضعين وهما قوله: " جزاكم الله خيراً " وقوله: " فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله ".

٨. جاءت الحجة في الخطبة مقرونة بالعلّة. فقد علّل أبو بكر ﷺ تقديم المهاجرين في الخلافة بقوله: "نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً " إلى قوله: " وقدّمنا في القرآن الكريم قبلكم ".

٩ – ورود التنغيم الموسيقي الحيّ عبر أسلوب الجناس الناقص بين (آويتم – واسيتم) وبين (أمراء – وزراء) مما كان له أثره في دعم المعنى وتقريره في ذهن المتلقي.

الخطبة الثانية:

دخل أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مسجّى بثوب،فكشف عنه الثوب،وقال:

" بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميّتاً، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، فعظمتَ عن الصفة، وجللتَ عن البكاء، وخصصتَ حتى صرتَ مسلاة، وعممتَ حتى صرنا فيك سواء، ولو أنّ موتك كان اختياراً منك، لجُدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشئون، فأما مالا نستطيع نفيه عنا، فكمدٌ وادناف، يتخالفان ولا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولتكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم نُقِم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيّك عنا، واحفظه فينا.

ثم خرج أبو بكر ﷺ وهم في شديد غمراتهم وعظيم سكراتهم، فخطب خطبة قال فيها: " أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً، وإن الله قد اختار لنبيّه ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه، وسنّة نبيه، فمن أخذ

بهما عُرِف، ومن فرَّق بينهما أُنكِر (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط) " النساء: جزء من الآية ١٣٥" ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم، فعاجلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه فيلحق بكم ".[1]

وفي رواية: " ثم تلا هذه الآية : (وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) ".[2]

قوله: " وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء " مقدمة حجاجية أعقبها بقوله: " فعظمت عن الصفة وجلَلْتَ عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة، وعممت حتى صرنا فيك سواء ". فجاءت بمثابة النتيجة لما سبق ، فقد جاء في المقدمة ذكر انقطاع الوحي بموت النبي ﷺ لتكون النتيجة عظم المصاب عن الوصف وجلالته عن البكاء ، فذكر التعليل ليسوّغ فداحة الأمر، وعظم الخطب ،وقد حسن تقديم "فعظمت عن الصفة " على قوله " وجللت عن البكاء " ، لأن من يعظم عن الصفة ستكون المصيبة بموته أجلّ من أن يعبّر عنها البكاء.

وقابل بين كلمتي " خصصت " و " عممت " ليُصَوّر حقيقة ذلك المصاب، إذ خصّ حتى أصبح لكل شخص سلوة له من كل مصاب،فكل مصاب عداه يصاب به أيُّ مسلم فهو دونه، وعمّ حتى أصبح الناس في الفجيعة سواء، فلا فرق بين قريب منه أو بعيد، فكلهم مكلوم بموته ﷺ، ومفجوع لفقده، وقد أسهمت المقابلة هنا في تصوير عظم المصيبة، وفداحة الخطب، وبذلك تحقق ما يراد من الحجاج هنا.

وقوله: " ولو أنّ موتك كان اختياراً منك لجُدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء، لأنفدنا عليك ماء الشئون "

---

١ – زهر الآداب، ص٤٠.

٢ – السيرة، ابن هشام، ج ٢، ص ٦٥٦.

ونجد أنه أحسن التعليل في الجملتين السابقتين ، حينما اعتذر عن افتدائه بالروح بكون النبي ﷺ قد خُيّر فاختار أن يلحق بالرفيق الأعلى. واعتذر عن إنفاد الدموع لكونه ﷺ نهى عن البكاء فأحسن التلطُّف في الوصول إلى مراده. وإنما دخل حسن التعليل في باب الحجاج لما فيه من التلطّف بإيراد العلّة ودقّة النظر.

وقد احتج أبو بكر ﷺ لتخفيف مصاب الناس بموت النبي ﷺ باختيار الله ذلك له. فالله جلّ جلاله هو الذي اختار موته. وقد قبضه إلى رحمته وثوابه. وما عند الله خير له مما عند الناس. وتركَ النبي ﷺ في الأُمة الكتاب والسنة. منهاجاً وحجةً لا يزيغ عنهما إلا هالك. ومن شأن هذه الحجج أن تمكِّن في النفوس قبول خبر موت النبي ﷺ.

وقوله: " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت " قد ضرب أبو بكر ﷺ جذور الفتنة والانقسام بعد موت النبي ﷺ بقوة الاحتجاج المنطقي. وبهذه الحجة التأملية النظرية التي مفادها أن من له الحياة المطلقة هو الذي يستحق أن يُعبد. أما الذي من صفاته الموت والفناء. فإنه لا تنقطع عبادة الحيُّ القيوم بموته. والاحتجاج النظري هو أحد الأساليب البلاغية التي تحقق المعنى أو تقرّبه. حتى ولو كان غائباً بعيد التصوّر عن الحواس.[1]

وقد عدل عن قوله "من كان يعبد رسول الله " إلى قوله "من كان يعبد محمدا " فذكره باسمه تصريحا ببشريته ، وكأنه بذلك يقول إن محمدا بشر كغيره لا تصرف له العبادة. وهو يموت كما يموت البشر.

وقد أكّد أبو بكر ﷺ على أحقية الله بالعبادة لاتصافه بديمومة الحياة. فعلّق القلوب بالخالق الحي الذي لا يموت. فكما أنها لا تنقطع حياته جل وعلا ، فكذلك عبادته لا تنقطع بموت النبي ﷺ. وقد كرّر التوكيد هنا في إثبات ما يصبو إليه. من إثبات موت النبي ﷺ وإثبات الحياة المطلقة لله. وقابل بين الحياة والموت ، ليحصل تدبُّر الفرق بين الحالين.

---

١ – ينظر: الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي. ناصر السعيدي ،" رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ". ص١٥٤.

واستشعار عظمة الله. وبذلك يتحقق ما يراد من الإقناع لتعميق الإيمان والتصديق بموت النبي ﷺ.

وقد استدل أبو بكر ؓ على صحة دعواه بقوله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...) الآية. وهذه أعلى مراتب الإقناع اليقيني ؛ إذ النص القرآني يقع في النفس موقع القبول. ويُتَصَوَّر تَصَوُّر المشاهد.

وألفت هنا الانتباه إلى أن عبد القاهر يعظّم من شأن الأدلة النقلية والحجج الخبرية ، إذ هي من أصدق المعاني وألصقها بالحقائق. ولذلك جعلها على رأس قائمة المعاني العقلية.[1]

ولا يغضّ عبدالقاهر من شأن الاحتجاج المصنوع في المعاني التخييلية. فضروب التخييل أظهر أمراً في البعد عن الحقيقة. وهي ضرب من التزويق .[2]

وأخلص إلى أهم السمات الحجاجية للخطبة، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

١. استهلال الخطبة بالأسلوب الشرطي القائم على المقدمة والنتيجة.

٢. قامت الخطبة على إثبات موت النبي ﷺ والاحتجاج لذلك، وكان هذا هو موضوعها وهدفها. وقد قطع بالاستشهاد القرآني حجة كل معاند ومنكر، وهذا أعلى مراتب الإقناع اليقيني. فالأدلة النقلية المبنية على حجج خبرية تأتي على رأس المعاني العقلية.

٣. تكرار حسن التعليل معتمداً على " لولا ".

٤. المقابلة كما في قوله: " طبت حياً ٍوطبت ميتاً " وقوله: " وخصصت حتى صرت مسلاة. وعممت حتى صرنا فيك سواء " وقوله: " فمن أخذ بهما عُرف ومن فرّق بينهما أُنكِر ".

٥. اعتمدت الخطبة في إثبات الدعوى على الحجة التأملية النظرية.

---

١ – ينظر: الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم، زينب الكردي، ص٢٠٥.

٢ – أسرار البلاغة، ص٢٧ وما بعدها.

الخطبة الثالثة:

نادى منادي أبي بكر رضي الله عنه من بعد الغد من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: لِيُتم بعث أسامة: ألا لا يبقينّ أحد من جند أسامة الا خرج الى عسكره. وقام في الناس،فقال:

" يا أيها الناس إنما أنا مثلكم. وإني لا أدري، لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يُطيق. إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات. وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع. فإن استقمت فتابعوني. وإن زغت فقوّموني. وإن رسول الله ﷺ قُبِض، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها. ألا وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أؤثِّر في أشعاركم وأبشاركم. ألا وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّبَ عنكم علمه. فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا. ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله. فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال. فإنّ قوماً نسوا آجالهم. وجعلوا أعمالهم لغيرهم. فإياكم أن تكونوا أمثالهم. الجدّ الجدّ ،والوحا الوحا[1].والنجاء النجاء[2]. فإن وراءكم طالباً حثيثاً. أجلاً مرُّهُ سريع. احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والأخوان. ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات".[3]

احتج أبو بكر ﷺ لما يقع منه من تقصير أو ضعف في الولاية – مقارنة مع رسول الله ﷺ – بأمرين:

أولاً: أنه لا يتحمل فوق ما يتحمل الصحابة حوله، ولذلك قال: " إنما أنا مثلكم " أي لا أطيق إلا ما تطيقون وأعجز عما تعجزون. ولا أقدر على ما كان النبي ﷺ يقدر عليه، ولا أطيق ما كان يطيق.

---

١ – الوحاء: العجلة والإسراع.

٢ – النجاء: الإسراع.

٣ – تاريخ الطبري، ج٣، ص٢١١.

ثانياً: أن النبي ﷺ اتسم بصفتين، واختص بأمرين، ليس لأبي بكر ﷺ إليهما طريق أو سبيل، وهما: الاصطفاء والعصمة من الآفات.

وكما كانت هاتان السمتان حجة لأبي بكر ﷺ في عدم تحمل ما كان النبي ﷺ يتحمّل، فكذلك هما حجتان له في وجوب طاعته ﷺ، وقد أكّد ذلك بقوله: " وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع " فمن كان متبعا لسنة المصطفى المعصوم وجبت طاعته، وحتى لا يتوهم بعضهم أن طاعته تجب على كل حال، وأنه لا يصدر عنه ﷺ إلا الصواب، فقد قال:" فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني "

فقيّد وجوب طاعته باتباعه للسنة وسيره على المحجّة، ولم يدع لمحتجٍ حجّة، ولا لمجادل مراوغة، فمن حاله الاتباع لا الابتداع، وقبول النصيحة، والرضوخ لها ،فما حجة من خالفه أو ناهضه ؟ وقد كان لهذا عظيم الأثر في اتباع الأمة له، وعدم ظهور الخلافات والمناهضات في عهده، بل اجتمعت الأمة عليه بعد أن ارتدت، وقويت شوكتها بعد أن ضعفت، واتحدت بعد أن تمزقت بنكبة الردّة . وما ذلك بعد توفيق الله إلا لقوة أبي بكر ﷺ في قراراته وإقناعه وبيانه.

ولما كانت الأُمّة –إماما ورعية – في سفينة واحدة، فإن غرقت غرق من فيها جميعا، وإن نجت نجا من فيها جميعا ، حسن قوله: "وإن زغت فقوّموني " ولم يقل: "فلا تطيعوني " ، وهذا فيه مزيد حجاج لاحتوائه المتلقي، وكسبه القلوب، وإشراكه الرعية في المسئولية وتحمل الأمانة.

وقد أبان أبو بكر ﷺ عن حدّته، مبرزاً جانباً من جوانب الضّعف ، ممهداً لذلك بقوله: " وإن رسول الله ﷺ قُبِض، وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها".

فعلّل ﷺ لحدّته، واحتج لشدّة غضبه بقوله: " ألا وإن لي شيطاناً يعتريني " وأكّد الجملة بمؤكّدين، ونصح الناس باجتنابه عند الغضب، حتى لا يؤثّر في أشعارهم أو أبشارهم، فيمسّهم بالأذى في حال استغراق اللحظة الحاضرة.

وقولـه: " ألا وإنكـم تغـدون وتروحـون فـي أجـل قـد غُيّـبَ عـنكم علمـه " مقدمـة حجاجية لقوله: " فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا "، وقد أكّد تغييب علـم الأجـل بـأكثر مـن مؤكـد: ألا.وإن، والإخبـار بالجملـة الفعليـة عـن المسند إليه، وقد، مع أن ذلك مما لا ينكره أحد،لأن فعل الناس وحالهم حال من ينكر ذلك، فيعتقد أن أجله طويل، وأنه لن يموت غِرَّة، ثم رتّب على تغييب الأجل عنهم وجوب المبادرة إلى العمل الصالح، ومبادرة الموت بصالح العمل.

ويمكن تلخيص أهم سمات الخطبة الحجاجية فيما يأتي:

١. غلبة توكيد الأساليب على الخطبة، حيث بلغت اثني عشر أسلوباً مؤكّداً في الخطبة.

٢. التكرار اللفظي بُغية الحثّ والتحريض على العمل الصالح، وإظهار الاهتمام البالغ به، وذلك في نحو قوله: " الجِدّ الجِدّ، والوحا الوحا، والنّجاء النّجاء ".

٣. وللتكرار قيمته الحجاجية في بسط الموعظة، وتثبيت الحجة، ودعمها في ذهن المتلقي، فهو رافد مهم للحجج والبراهين التي يقدّمها المتكلم لما له من وقع في القلوب، إذ يسهم في إقناع المخاطب أو حمله على الإذعان.[1]

٤. تنوُّع أساليب الخطاب بين الخبر تارةً، والأمر والنهي تارةً أخرى، وبين الأُسلوب المُثْبَت تارةً، والمنفي تارةً أخرى، مما كان له الأثر في تثبيت الحجّة،وإقامة البرهان،وتثبيت الموعظة.

---

١ – ينظر: الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم، زينب الكردي، ج٢، ص٤٣٣.

الخطبة الرابعة:

قام أبو بكر رضي الله عنه واعظا ومذكرا بفضل الاخلاص،فقال:

" إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه. فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها، وسلف قدّمتوه، من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم.

اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكّروا فيمن كان قبلكم. أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميما، قد تركت عليهم القالات الخبيثات، وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات. وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها، قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء. ألا وإن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفاً من بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم.

أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصّنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية، وظلمة في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدّموا فحلّوا عليه، وأقاموا للشقوة وللسعادة فيما بعد الموت. ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته،واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون، وأن ما عنده لا يُدرك إلا بطاعته، واتباع أمره، أما وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة "[1]

---

١ – تاريخ الطبري، ج٢، ص د٢٤.

قوله: " إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه "مقدمة حجاجية. قدّم بها للأمر بإخلاص العمل لله. وقد جاءت في أسلوب الحصر الذي يحصر قبول العمل فيما خلص لله. وينفي القبول عما سواه. فجاء الأسلوب مؤكّدا بـ " إنّ ". وبأسلوب الحصر، وبالإخبار عن المسند إليه بالجملة الفعلية المشتملة على ضميره لدفع ما قد يتوهّمه متوهم من انتفاع العبد بعمله. إن خلا من الإخلاص. وهذا أحد شرطي قبول العمل الصالح.

ولما قدّم بتلك المقدمة الحجاجية ، ناسب ذلك. أمره بالاخلاص، فيكفي في الإقناع بوجوب الإخلاص ، أن العمل الصالح لا ينفع صاحبه بغير إخلاص. ولما أمر بالإخلاص حفّز إليه بامتداحه وإبراز ثماره. وذلك بقوله: " واعلموا أنما أخلفتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها. وحظّ ظفرتم به. وضرائب أدّيتموها. وسلف قدّمتموه من أيام فانية لأخرى باقية. لحين فقركم وحاجتكم ".

ونلحظ هنا أنه لما نفى النفع عن العمل الصالح الذي لا يراد به وجه الله. وحصره فيما ابتغي به وجهه. وصف العمل الخالص لله بكونه طاعة أتي بها. وحظّ ظفر به فاعله. وواجب أدّي. وفرض قُدِّم. وأن ذلك كله قدِّم من أيام الفناء والزوال. لأيام البقاء والدوام. وفي ساعة الغنى لساعة الحاجة والفاقة. وبهذا يكون أبو بكر ﷺ قد حفّز وحث على الإخلاص. وأبرزه في أبهى صورة. وأحسن هيئة فتارة بأسلوب الحصر. وأخرى بوصفه لثمرات الإخلاص. وهو بذلك كله يحتجّ لوجوب الإخلاص في العمل.

وقد ذكّر أبو بكر ﷺ بوجوب الاستعداد للموت وصوّره عين اليقين من خلال أسئلته التي طرحها. وهي معلومة الجواب. وذلك في قوله: " أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟

وقد أجاب على ذلك مصوّراً ما آل إليه هؤلاء بقوله: " قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا رميماً، قد تركت عليهم القالات الخبيثات"[1].

وقوله: " إنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات " اقتباس من القرآن، وهذا أثر من آثار القرآن الكريم في خطب أبي بكر ﷺ.

والخطبة قائمة على إثارة الأسئلة والإجابة عليها ،استمرارا في الحجاج، وإقناع المستمع لإيقاظ المتلقي من الغفلة، وتحفيزه للعمل لما بعد الموت. قال: " وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ " ثم أجاب: " قد بعدوا ونُسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء " فذكر مصير أهل الملك الذين كانت لهم القصور والدور، وكانوا أهل السيادة والرّيادة، فإذا آلوا إلى ما آلوا إليه، فمن سواهم أولى بذلك.

وقوله: " أثاروا الأرض وعمروها " اقتباس من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ﴾"[2]، ثم حذّر من مغبّة الشهوات، فقال: " ألا وإن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم ".

وقد أكّد الأسلوب بأربع مؤكدات: " ألا " و " إن "،وقد، والإخبار بالجملة الفعلية عن المسند إليه،وقد قام الأسلوب على التضاد، فقابل: " أبقى " بـ " قطع " و " التبعات " بـ " الشهوات ". و " عليهم " بـ " عنهم " وقد أسهمت هذه الأساليب البلاغية في رسم الحجة وإظهار المحجة ، لإبراز مغبّة اتباع الشهوات والملذات.

وقد جعل أبو بكر رضي الله عنه من إظهار حال الملوك بعد الموت مقدمة حجاجية، يصل بها إلى مراده الذي يخصّه بقوله: " وبقينا خلفاً من بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم " فالنتيجة المرادة، هي الاعتبار والاتعاظ بحال هؤلاء الملوك، والتحذير من مغبّة الاغترار، وقد رتّب على الاعتبار النجاة، وعلى الاغترار

---

١ – القول في الخير، والقال والقيل والقالة في الشر.

٢ – سورة الروم، الآية: ٩.

الهلكة. ولا نتيجة محتملة غير هاتين، وعلى هذا فقد أحسن السّبْر والتقسيم، وهو من أدوات الحجاج ووسائله. وواصل أبو بكر ﷺ الأسئلة مقرونة بالأجوبة على النسق السابق بقوله: " أين الوضّاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم ؟ " ثم أجاب " صاروا تراباً، وصار ما فرّطوا فيه حسرة عليهم " وقد ناسب ذكر مآل حِسان الوجوه قوله: "صاروا تراباً " لما في ذلك من إبراز انمحاء المحاسن وذهاب رونق الشباب وطراوته ،بينما ناسب مع الملوك قوله: " قد بعدوا ونسي ذكرهم " ؛ إذ الملوك لهم الجاه والصّيت والمنزلة بين الناس، فناسب قوله: " نُسِيَ ذِكْرُهُم " أي هلك ذلك الذكر، وانطمس صيتهم ونُسوا، ولم يعد لهم ذكر ولا منزلة بين الناس. وانتهت بالأسئلة إلى الأقربين وحالهم الذي يعرفونه قبل الموت وبعده، فقال: "أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟" ثم أجاب: "قد انتهت بهم آجالهم،فوردوا على ما قدّموا، فحلّوا عليه، وأقاموا للشقوة وللسعادة من بعد الموت ".

وبهذا نلحظ الاستقصاء في بيان المصير، فذكّرهم بحال من قبلهم، ثم أعقب ذلك بحال الملوك، ثم حسان الوجوه، ثم مصير الأقارب من أبناء وإخوان، فمن أُعْجِبَ بمُلْكِه فالملوك عبرةٌ له، ومن اغترّ بشبابه فمصير الوضاء الحسنة وجوههم عِظةٌ له، ومن لم يكن كذلك فله في أقاربه و أحبابه الذين تلقّطتهم المنايا عظة وعبرة، و بهذا يكون قد استقصى أصول الاغترار بالدنيا عن الآخرة، وهي: الملك والحياة، والشباب، والمال.

ولما ذكر مآل الأبناء والإخوان، قال: "وأقاموا للشقوة وللسعادة "ولم يقل: "قد تركت عليهم القالات..كما قاله في مآل الجبّارين، ولا قال: "أبقى عليهم التبعات "كما قاله في حق الملوك،ولا قال: "وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم "كما قاله مع المغترّين بشبابهم،وذلك من التلطف مع المستمعين،إذ الحكم على أقاربهم بالشقوة أو الحسرة، أو نحو ذلك مما سبق في حق غيرهم فيه حرج لمشاعر أقاربهم،ثم إن

أقاربهم لم يوصفوا هنا بما يترتب عليه التبعة والإثم، بخلاف من اغْترّ و أُعْجب بشبابه، أو كان جبّاراً أو ولي الملك الذي لا يكاد يسلم من تبعاته أحد من الملوك.

وقد قدّم أبو بكر رضي الله عنه في ختام خطبته للحث على الطاعة واتباع أمر الله بقوله: "ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحدٍ من خلقه سببٌ يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون، وأنّ ما عنده لا يُدرك إلا بطاعته". فقد برهن على أهمية العمل الصالح، وعلّل لذلك بكون الله المستحق للعبادة دون سواه،وليس بينه وبين عباده نسب ولا سبب، إلا العمل الصالح، وكون الخلق عباد الله مجزيين بما عملوا، وكون الله لا يُدرك ما عنده إلا بطاعته، إذاً العمل الصالح هوالمهمة والمسئولية التي يحاسب على التقصير فيها العبد،كما أنه السبب الوحيد الذي يصل به العبد إلى ما عند الله من الرحمة والفضل.

وختم الصديق خطبته بقوله:"أما وإنه لا خير بخير بعده النار، و لا شر بشر بعده الجنة" فبنى الأسلوب على التوكيد بـ:"أما" و"إن"،ولا النافية للجنس، والطباق بين "الجنة" و"النار"، وقد أبرز بذلك النتيجة البشعة المترتبة على العمل السيء،والنتيجة الحسنة المترتبة على العمل الصالح، فلا لذّة للذّة تعقبها النار، ولا ألم لألم تعقبه الجنة.

ويمكن تلخيص أهم سمات الخطبة فيما يأتي:

١) توكيد أساليب الخطبة، حيث بلغت الأساليب المؤكدة ثمانية مواضع، ولكنها لم تكن الغالبة على الخطبة.

٢) الاتكاء في الحجاج على أسلوب الاستفهام الذي تكرر ثماني مرات، متوسلا به إلى إقناع المستمع بضرورة الاستعداد للمصير المحتوم والأجل المكتوب، حيث اعتمد على إثارة السؤال المتبوع بالإجابة، ليصل بذلك إلى تقرير الحقيقة المرادة.

٣)أسلوب الحصر يمثّل مقدمة الخطبة، وقد رتّب على ذلك النتيجة التي أراد الوصول إليها.

٤) الطباق في الخطبة، جاء ذلك في قوله "أيام فانية لأخرى باقية" و"أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟" وقوله: "قد أبقى عليهم التبعات.و قطع عنهم الشهوات." وقوله: "اعتبرنا ـ اغتررنا" وقوله: "الشقوة – السعادة" وقوله "خيراً – سوءاً" وقوله "خير – شر" وقوله "الجنة ـ النار".

د) غلبة المعاني القرآنية على الخطبة كما في قوله: "وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، ينظر في ذلك في قوله تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ... ﴾[1]

وقوله: "الذين أثاروا الأرض وعمروها" ينظر في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ... ﴾[2]

وقوله: "فتلك مساكنهم خاوية" ينظر في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3]

وقوله: "هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا" ينظر في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[4]

٦) تكرر أسلوب الشرط في موضعين متقابلين، وهو قوله رضي الله عنه: "إن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم".

---

١ – سورة النور، جزء من الآية ٢٦.

٢ – سورة النور، الآية ٩.

٣ –سورة النمل،الآية ٥٢.

٤ – سورة طه، الآية: ٩٨.

الخطبة الخامسة

قام أبو بكر رضي الله عنه مزهدا في الدنيا مرغبا في الآخرة، فقال:

" إن أشقى الناس في الدنيا و الآخرة الملوك. فرفع الناس رؤوسهم. فقال: مالكم يا معشر الناس؟ إنكم لطعانون عجلون. إن من الملوك من إذا ملك زهّده الله فيما في يده، ورغّبه فيما في يدي غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق. فهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير، ويسأم الرخاء، وتنقطع عنه لذة البهاء. لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة. فهو كالدرهم القسي[1] والسراب الخادع. جذل الظاهر حزين الباطن. فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله ، حاسبه الله فأشدّ حسابه وأقلّ عفوه. ألا إن الفقراء هم المرحومون. وخير الملوك من آمن بالله، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وإنكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة. وسترون بعدي ملكا عضوضا، وأمة شعاعا . ودما مفاحًا [2]، فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة يعفو لها الأثر وتموت السنة. فالزموا المساجد،واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر، أي بلاد خرشنة [3]. إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها" [4].

قدّم أبو بكر رضي الله عنه هنا النتيجة الحجاجية وأخّر المقدمة على خلاف عادته في الخطب السابقة فقال:" إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك "لما في ذلك من إثارة السامع ولفت انتباهه. ثم علّل لذلك لمّا شَعُر بإنكار الناس . فقال: "إنّ من الملوك من إذا ملك زهّده الله فيما في يده، ورغّبه فيما في يدي غيره...." حتى قال" حاسبه الله ، فأشدّ حسابه وأقلّ عفوه " فقد علّل لسبب شقاوة بعض الملوك بعدة علل. فهو

---

١ – القسي:الزائف

٢ – مفاحا: من أفاحه أي أراقه.

٣ – خرشنة: بلد بالروم.

٤)البيان والتبيين ، ص ٢٣٤.

مستقلّ لما في يده . طامع فيما في أيدي الناس. وبذلك فقَدَ أعظم كنز. وهو القناعة – الغنى الحقيقي للعبد– وجعل انتقاص الأجل سببا آخر في شقاوته وذلك أنه يصاب بأمراض القلق والأرق ، مما يتسبب في موته مبكرا. وبذلك يخسر الدنيا. ويخسر جزءًا من عمره فيما لا ينفعه في آخرته. وقد علّل انتقاص الأجل بالإشفاق القلبي. وحسد غيره على القليل وتسخطه ،مع إنعام الله عليهما لا يحصى من النعم. وأعجب من ذلك أنه يسأم حالة الرخاء. ولا يجد لذة ما يتنعم فيه. وهو مع ذلك كله لا يعتبر رغم كثرة العظات. ولا يعتبر مع غزارة العبر. ولا يركن إلى ثقة ينتفع به.

وقد استعان أبو بكر رضي الله عنه بالتشبيه في تصوير بوار هؤلاء الملوك. واحتج بهذه الصورة في إظهار شقاوتهم فقال" فهو كالدرهم القسي. والسراب الخادع" فشبّه حال من شقي من الملوك بحالة الدرهم الزائف الذي يُظن في ظاهره أنّ له قيمة. وهو في باطنه لا قيمة له. وكالسراب الخادع الذي يظن من يراه أنه ماء. فإذا جاءه لم يجده شيئا.

وقد أكّد هذه الصورة بالطباق في قوله " جذل الظاهر. حزين الباطن " وبهذا أظهر شقاوة هؤلاء وإن توهّم الرائي سعادتهم . واغتر بمظهرهم.ثم صوّر أبو بكر رضي الله عنه نهاية هؤلاء الأشقياء. وخاتمة هؤلاء المفسدين بقوله: (فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله[1]. حاسبه الله. فأشدّ حسابه. وأقلّ عفوه. فصوّر نهايته بأسلوب المجاز. إذ يقال وجبت الشمس. أي:غابت. ووجبت العين: غارت . وقد استعمله هنا في موت الإنسان لكون ذلك بداية غيابه عن الدنيا. واختفائه منها. وذلك على سبيل الاستعارة المكنية . وكذا قوله (ونضب عمره) ، إذ يقال نضب الماء إذا غار في الأرض وذهب. واستعمل هنا في الموت ، إذ الموت ذهاب للعمر وانطفاء للشمعة. وكذلك قوله:(وضحا ظله) فلم يعد له ظل. لاختفاء جسده عن الشمس. وتغييب بدنه في التراب.

---

١ – ضحا ظله: ذهب ظله. كناية عن موته وزواله.

ثم طابق بين (أشدّ حسابه) و(وأقلّ عفوه) فاستعمل أشد مع الحساب ، لمناسبتها له في إبراز شقاوة القوم.واستعمل أقلّ مع العفو لحاجة العبد للعفو في تلك الحال ولو كان قليلا. وبهذا اكتمل المشهد مصوّرا شقاوة القوم محتجا لذلك بما أوضحنا.

وقابل حال هؤلاء بحال الفقراء بقوله (ألا إن الفقراء هم المرحومون)، فأكّد رحمة الله للفقراء بأربع مؤكّدات ، لما رأى من إنكار الناس. وتوهّم سعادة الملوك وشقاوة الفقراء. يمثّل ذلك قوله ((إنكم لطعّانون عجلون)) وبهذا يصل أبو بكر رضي الله عنه إلى تفضيل حال الفقراء في الدنيا والآخرة على الملوك عامة. وحتى لا يظن الناس شقاوة كل ملك، وخسارة كل وال. قال: (وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) فهؤلاء ليسوا بأشقياء ما داموا يحكمون بالقرآن والسنة. وقد جاء بالأسلوب غير مؤكّد ، لعدم الحاجة إلى توكيده. فلم يقابل ذلك بالإنكار. كما وقع عند قوله:((إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك)).

ولما قابل بين حالين متباينين للملوك. فجعل بعضهم " أشقى ". والآخر "خير" ، ناسب ذلك أن ينقله إلى الواقع مذكّرا بنعمة الله عليهم .فقال" و إنكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة ".وقد سمّاها خلافة وإن كانت متضمنة لمُلك. ولم يسمّها مُلكا ، لقيام الخلافة في التولية على اختيار أهل العقد والحلّ. بينما المُلك يأتي وراثة يرثه الابن عن أبيه. وإن لم يكن أهلا للولاية .ووصف تلك الخلافة بأنها خلافة نبوة فيها اتّباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم والعمل على تطبيق سنته واقتفاء أثره . وهي واضحة على المحجة البيضاء ليس فيها زيغ ولا شبَه.

وقابل حال الخلافة بالملك المتضمن للعنف والظلم بقوله:(وسترون بعدي ملكا عضوضا، وأمة شعاشا، ودما مفاحا) فوصف الملك بالعضوض الذي يظلم عباد الله. ويتولاهم بالعسف والجور. فإذا كان الأمر في الملك كذلك تفرّقت الأمة وتمزّقت. وسفكت الدماء. وقُتل الأبرياء.

ثم أرشد أبو بكر رضي الله عنه الناس إلى ما ينبغي عليهم عند نزوة الباطل ووثبته بقوله ((فالزموا المساجد واستشيروا القران والزموا الجماعة، وليكن الإبرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر) وقد كنى عن الارتباط بالعبادة في المساجد بالملازمة [١] وكنى عن الرجوع إلى القرآن عند الأحداث ومعرفة حكم الله في ذلك ، كنى عنه بالاستشارة. ثم ختم الخطبة بالبشارة ((أي بلاد بلاد خَرشنة.إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها))

أهم سمات الخطبة الحجاجية:

١- توكيد الأساليب حيث جاءت ست جمل من الخطبة مؤكدة.

٢- كان للمقابلة أثرها الحجاجي في إقناع المستمع. من أمثلته (الدنيا –الآخرة) (زهّده – رغّبه) (فيما عنده – فيما في يدي غيره) (القليل – الكثير) (جذل الظاهر – حزين الباطن) (نزوة الباطل – جولة الحق) (وأقصاها – أدناها)

٣- جاء التمثيل في موضعين وهما " فهو كالدرهم القسي أي: الزائف، والسراب الخادع "وذلك في تمثيل القسم الأول من الملوك الذين هم أشقى الناس، حيث شبّه حالهم في قبح باطنهم وحسن ظاهرهم بالدرهم الزائف الذي يرى في ظاهره جميلا له قيمة، وحقيقته أنه لا ينفع صاحبه. وكذا السراب الذي يظن من يراه أنه ماء يروي وارده، فإذا به سراب لا يشبع ولا يروي. كما جاءت الاستعارة في قوله فإذا وجبت نفسه،ونضب عمره،وضحا ظله".

٤- الاستعارة والتمثيل لهما الأثر البالغ في الإيضاح والتبيان مما يمنحهما قيمة حجاجية. إذ الإيضاح مقوّم أساسي في الإقناع والتأثير، وهذه الأساليب البلاغية خاصة التمثيلية بما تثيره من استحسان وانفعال لدى المتلقي تخدم الأغراض الحجاجية، إذ العاطفة مدخل من مداخل الإقناع [١]والاستعارة أقوى من الحقيقة

---

١) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد د.حافظ علوي، جـ ٤، ص ١١٢.

فـي تحريـك همـة المخاطـب إلـى الاقتنـاع . فهـي صـورة مـن صـور البـراهين الخطابية.وهي من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية[1]فالاستعارة تؤدي وظيفة حجاجية ولا تخاطب العقل فحسب، بل تخاطب النفس والعقل معا ؛ ولذا قدرتها على التأثير تعود إلى تأثيرها في عقل المخاطب ونفسيته معا[2].

الخطبة السادسة:

وصل مال من البحرين إلى أبي بكر رضي الله عنه. فساوى فيه بين الناس، فغضب الأنصار وقالوا له: فُضِّلنا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: صدقتم، إن أردتم أن أفضّلكم صار ما عملتموه للدنيا وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل. فقالوا: والله ما عملنا إلا لله تعالى. فانصرفوا. فارتقى أبو بكر رضي الله عنه المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال: "يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا. ونصرناكم بأنفسنا قلتم. وإن لكم من الفضل مالا يحصيه العدد. وإن طال به الأمد.فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلّت

أبوا أن يملّونا ولو أنّ أمّنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملّتِ

همُ أسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظلّتِ[3]

---

١) ينظر: نحو مقاربة حجاجية للاستعارة. أبوبكر الغزاوي. مجله المناظرة. المغرب. السنة الثانية . العدد الرابع. شوال ١٤١١ ص٨١.

٢)ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد د.حافظ علوي جـ ٣ صـ ١٥٩. ١٦٠.

٣ – زهر الآداب. ج١.ص٣٩.

بدأ أبو بكر رضي الله عنه خطبته بالاستدراج، وهو التوصل إلى الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المقصود من حيث لا يشعر[1]، فإنه لما قال الأنصار – وقد غضبوا– فُضّلنا، قال: صدقتم، ثم خيّرهم بين إرادة الدنيا أو الآخرة " إن أردتم أن أفضّلكم صار ما عملتموه للدنيا وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل "وبهذا أقنع أبو بكر رضي الله عنه الأنصار، وانصرفوا وهم يقولون: والله ما عملنا إلا لله تعالى، فأبو بكر رضي الله عنه جعل أفضلية الأنصار، وسابقة أعمارهم نافعة لهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف ٣٥] ولم يأخذ بها في لعاعة الدنيا، لأنّ ما عند الله خير وأبقى.

ولما أراد بيان فضل الأنصار على مشهد من الناس خطب،وأبان أنهم آووا المهاجرين،وشاطروهم أموالهم، وفدوهم بأنفسهم وأرواحهم، وقد جعل ذلك حوارا على ألسنتهم، وأجاب عنه بقوله: "وإن لكم من الفضل مالا يحصيه العدد وإن طال به المدد " واستشهد لما ذهب إليه من وصف حال الأنصار مع حال المهاجرين بأبيات طفيل الغنوي، والأبيات شملت الدعاء والثناء والمبالغة في المدح، حتى لم يعد للأنصار بعد ذلك حجة، ولم يبق في قلوبهم سخيمة، ولا أدلّ على قوة الحجاج عند أبي بكر رضي الله عنه، وقدرته على احتواء الخصم من هذه الخطبة.

أهم سمات الخطبة الحجاجية:

١. الاستدراج أسلوب من أساليب الحجاج، نجده في قول أبي بكر رضي الله عنه لما قال له الأنصار: " وقد فُضّلنا " قال: "صدقتم" ثم استرسل، فقال:"إن أردتم أن أُفضّلكم صار ما عملتموه للدنيا وإن صبرتم كان ذلك لله"، وهنا اضطروا إلى قولهم:"والله ما عملنا إلا لله تعالى "، وانصرفوا.

---

١ – المثل السائر، ج١، ص٦٤.

وتكمن القيمة الحجاجية للاستدراج في أنه يعرض القضايا بأسلوب ليّن مؤثر، يفتح القلوب، ويشرح الصدور، ويحمل الآخرين على الاستماع والاستجابة، ويكبح نفور الخصم ببناء الكلام على مسلمات متفق عليها ، لتكون أسرع إلى القبول والإذعان[1].

٢. السبر والتقسيم ، إذ العمل إما يراد به الله والدار الآخرة أو أن يراد به الدنيا وما فيها، فقوله:"إن أردتم أن أفضِّلكم صار ما عملتموه للدنيا، وإن صبرتم كان ذلك لله"، فطلب الدنيا بالعمل الصالح بوار وخسارة، فلم يبق إلا طلبه لله لينال الأجر الأخروي؛ ولذلك سلّم الأنصار بذلك واقتنعوا.

٣. بناء الخطبة على الحوار بين أبي بكر والأنصار،وافتراضه الحجة لخصمه، ثم رده عليه، حتى وصل إلى إقناع الخصم وإذعانه.

٤. حسن الاستدلال بالشعر، مما أذهب ما قد وقع في نفوس الأنصار من غضب .

الخطبة السابعة:

لما أراد أبو بكر رضي الله أن يجهز الجنود الى الشام، دعا عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال:

(إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم، فقد جَمَع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره، فالعرب اليوم بنو أم وأب، وقد أردت أن أستنفرهم إلى جهاد الروم بالشام، ليؤيد الله المسلمين، ويجعل كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر، فمن هلك منهم هلك شهيداً، وما عند الله خيرٌ للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت فليُشر عليَّ امرؤ بمبلغ رأيه)[2]

---

١ ينظر الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم . زينب الكردي، ج١. ص ١٨٧.

٢ – جمهرة خطب العرب . أحمد زكي صفوت. ج١، ص ١٩٠.

بدأت الخطبة بإجمال أعقب بتفصيل، وهذا أسلوب منطقي، حيث أجمل فقال: (إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ جزاءها الأعمال) وقد بنى الفعل ((تُحْصَى)) للمجهول، وعدّل عن المعلوم لما فيه من الإيجاز، ودلالة عجز كل شخص كائناً من كان عن إحصاء نعم الله، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وقد انتقل أبو بكر ﷺ من إثبات العجز عن إحصاء النعمة، إلى إثبات عجز الأعمال عن جزائها، فلا يبلغ أحد بعمله شكر نعم الله مهما عمل وبذل واجتهد، فالعمل الذي يبلغ جزاء نعم الله فوق قدرة المخلوقين، ولذلك لم يؤاخذوا بما لم يستطيعوا، وإنما كُلِّفوا ببذل الطاقة والسعة.

وقد حسن هنا تقديم ((جزاءها))على ((الأعمال)) لما فيه من التناسب مع تقديم ((تحصى)) على ((نعمه)) إذ الحديث هنا منصبٌ على إحصاء النعمة وجزائها بالعمل، فحسن تقديم ((الإحصاء)) و ((الجزاء)) لاهتمام السياق بهما، وهذا التقديم رافد من روافد الإقناع، ووسيلة فنية من وسائل الاستمالة والتأثير.

وقد انتقل أبو بكر ﷺ من إجمال النعمة إلى تفصيلها ببراعة تخلّص تتمثّل في قوله: (فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم)، وهنا انتقل إلى تذكيرهم بنعم الله تفصيلاً، فقال: (فقد جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره) وما ذكره أبو بكر ﷺ هنا من نعم الله على وجه التفصيل لم يأتِ به شاملاً للنِّعم، مستقصياً للآلاء ، وإنما ذكر هنا ما يناسب مقام استنهاض العزائم إلى القتال، وتحفيز الهمم إلى الجهاد ، إذ جمع الكلمة،وإصلاح ذات البين، والهداية للإسلام، والتوفيق للإيمان، مع الحفظ من كيد الشيطان وشركه، كل ذلك من دواعي النصر وهزيمة الأعداء، وبانتقاء هذه النعم على

١- سورة النحل، الآية ١٨.

سبيل الخصوص بنى أبو بكر ﷺ مقدمة حجاجية، ليقنع بها المتلقين، ويحملهم على الإذعان للنفور للجهاد وفتح الشام.

وقد انتقل بالالتفات من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب واتخذ من قوله: (فالعرب بنو أم وأب) طريقاً وسبيلاً لتحريك مشاعرهم، وقد ناسب هنا ذكره للعرب دون المسلمين ؛ لأنه قد سبق في أول الخطبة بيان فضل الله عليهم بالإسلام، فاتخذ هنا وسيلة أخرى لتحريكهم للقتال بانتخائهم بالعروبة، فليس كل الناس يمكن التأثير فيهم من خلال تحريك المشاعر الدينية، وإنما يحتاج بعضهم إلى هزّ مشاعره من خلال تذكيره بنسبه وعرقه، والمقام هنا ناسب ذكر العرب ، لأن القتال لم يكن مع العرب كما كان في حروب سابقة، وإنما هو مع الروم، فناسب مقابلة ذكر الروم بذكر العرب ، ليجتمع أكبر عدد من العرب ضد الروم . وينطلق أعظم جيش عربي إسلامي لفتح بلاد الروم.

وكأن أبا بكر ﷺ استشعر سؤال سائل يقول: لماذا تستنفر العرب على الروم، وتلقي بهم في لهيب الحرب ونار القتال ؟

هنا قال أبو بكر ﷺ: (ليؤيد الله المسلمين، ويجعل كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر، فمن هلك منهم هلك شهيداً، وما عند الله خيرٌ للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين).

فقد أبان أبو بكر عن مقصد شريف، وغرض نبيل، ونية حسنة، وهمة عالية، فليس هدف هذه الحرب غنيمة، ولا أرضا خصبة، ولا رياء ولا سمعة، وإنما هو جهاد في سبيل الله، هدفه نصرة المسلمين، ورفع كلمة التوحيد، ونشر الخير والفضيلة، ودحر الباطل والرذيلة.

ولما كانت النتائج مبعث خوف وتوجس، فقد جاء السَّبر والتقسيم هنا ، ليضع نتيجتين لا يحتمل غيرهما: مَنْ مات مات شهيداً، وما عند الله خير له من الدنيا ؛ فقد انتقل

إلى ما هو خير منه وأفضل، ومن عاد منهم بقي حصناً لدينه، مدافعاً عن عقيدته، وقد عاد بالثواب الجزيل والأجر العظيم.

وقد أحسن أبو بكر ﷺ ختم خطبته بما يشعر المتلقي باحترامه لرأيه، وعدم تجاهله، فقال: (هذا رأيي الذي رأيت، فليُشر عليّ امرؤ بمبلغ رأيه)، فترك بذلك حرية للتعبير، وفرصة لإبداء الرأي.

ويمكن تلخيص أهم سمات الخطبة الحجاجية فيما يأتي:

١- مجيء التفصيل بعد الإجمال، وهذا أسلوب منطقي.

٢- حسن التخلص الذي استطاع من خلاله الانتقال من التمهيد إلى غرض الخطبة وموضوعها.

٣- التقديم في الخطبة رافد من روافد الإقناع ووسيلة فنية من وسائل الاستمالة والتأثير.

٤- الالتفات المتمثل في انتقال الحديث من ضمير المخاطب في قوله رضي الله عنه: "فقد جمع كلمتكم وأصلح ذات بينكم " إلى ضمير الغائب، حيث قوله رضي الله عنه وقد أردت أن أستنفرهم إلى جهاد الروم". وقد كان له دوره في براعة التخلص وحسن الانتقال.

الخطبة الثامنة

قام أبو بكر رضي الله عنه يحث الناس على جهاد الروم في موطن آخر، فقال:

(أيّها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزّكم بالجهاد، وفضّلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو بلاد الروم والشام، فإني مؤمّر عليكم أمراء، وعاقد لهم ألوية، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم، ولتحسن نيّتكم وسيرتكم وطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[١].

---

١) كنوز العمال في سنن الأقوال والأفعال،، علاء الدين البرهان فوري، ج ٥، ص٦٧١.

بدأ أبو بكر ﷺ بقوله: (أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام) فأكّد الجملة بثلاثة مؤكدات، وهي :((إن))، و ((قد))، والإخبار بالجملة الفعلية عن المسند إليه المتقدم.

وقد بنيت الخطبة على مقدمة حجاجية تتمثّل في قوله: (أيّها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزّكم بالجهاد، وفضّلكم بهذا الدين على أهل كل دين) أعقبها بالنتيجة المتمثلة في قوله: (فتجهزوا عباد الله إلى غزو بلاد الروم والشام).

إن من أنعم الله عليهم بالإسلام، وجعل عزّهم في الجهاد، وجعل دينهم أفضل الأديان، لا ينبغي لهم أن يتأخروا عن قتال الروم وفتح الشام، وكأنه بقوله: (أنعم عليكم بالإسلام) يقول: ألا يسركم أن تصل نعمة الإسلام إلى غيركم، كما وصلت إليكم، فإن فتح الشام ليس مقصوداً لسفك الدماء وأخذ الأموال، وإنما هو مشروع لنشر رقعة الإسلام، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الشرك إلى عدل السماء، وبقوله: (وأعزّكم بالجهاد) كأنه يقول: احذر الذل والضعة بترك الجهاد فكما أن الجهاد عزّ لأهل الإسلام، فإن ترك الجهاد ذلّ وهوان وصغار، وكأنّ أبا بكر ﷺ أيضا يقول: (ابتغوا العزة،واطلبوا القوة في غزو الروم).

وقد نادى أبو بكر ﷺ الناس بقوله: (عباد الله) ولم يقل (فتجهزوا أيها الناس ، أو تجهزوا أيها العرب) لتناسب ذلك مع المقدمة الحجاجية، التي اعتمدت في الإقناع إلى التذكير بنعمة الإسلام، وفضل هذا الدِّين على سائر الأديان، كما أن هناك لطيفة أخرى في مناداتهم بـ ((عباد الله)) وكأنه يقول أنتم تتعبدون الله بجهادكم في سبيله وغزوكم أعداءه وفتحكم للشام.

وقد شرع أبو بكر ﷺ في بيان خطبته لغزو الروم وضمنها النصح للغزاة، فقال: (فإني مؤمّر عليكم أمراء،وعاقد لهم ألوية، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم، ولتحسن نيّتكم وسيرتكم وطعمتكم).

وختم أبو بكر رضي الله عنه خطبته متمثلاً بالآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1] وتأتي مناسبة الآية للخطبة في كون معية الله وتأييده ونصره حليفاً لأهل التقوى والإحسان. والمقام هنا يتطلب أسباب النصر، لاسيما أن المسلمين سيقاتلون أكثر الجيوش عدداً وأشدهم بأساً وأعظمهم عُدة.

وقوله: (ولتحسن نيّتكم وسيرتكم وطعمتكم) قد جمعت أسباب إجابة الدُّعاء الذي هو مفتاح النصر. فإنّ صدق النِّية وحسن السيرة وطيب المطعم هي أسباب الإجابة، وطريق النصر. وقد أحسن ترتيبها بتقديم النية، لكونها تسبق العمل، وتكون سبب صلاحه أو فساده. فكما أن النية تأتي أولاً قبل العمل، فقد جاءت هنا قبل السيرة المتضمنة للعمل. ولما أمرهم بالإخلاص وحسن العمل، ناسب ذلك أن يأمرهم بإطابة المطعم المتضمن النهي عن أكل الحرام، فكأنّ طيب السيرة لا يتم إلا بإطابة المطعم. إذ الإنسان تصدر عنه النية وموضعها القلب. والأقوال والأفعال ومصدرها الجوارح والأطراف، وربّما غفل الإنسان هنا عن مطعمه، ظاناً أنه لا يدخل تحت الأقوال والأفعال، لذا جاء التنبيه عليه. ولاسيما أنه في مقام الغزو الذي تطمع فيه النفس إلى الأموال وتتشوف إلى الغنيمة، مما يخدش الإخلاص. فإطابة المطعم تؤثّر على النّية والسيرة؛ ومن هنا ناسب ذكرها. إضافة إلى ما يقع في الغزو من الغلول والسرقة، ونحو ذلك. فجاء المقام مقتضياً لذلك.

فإذا ما أتينا إلى سمات الخطبة الحجاجية، فإنها تكاد تكون مطابقة لسمات الخطبة السابقة، لاتحادهما في الموضوع، وهو الحث على قتال الروم، ولتوافق الخطبتين في المضامين. فكلا الخطبتين بدأتا بالتذكير بنعم الله وختمتا بالحثّ على قتال الروم. إلا أن الخطبة السابقة، قد جاء الالتفات فيها وسيلة لبراعة التخلص، وحسن الانتقال، بينما اتسمت هذه الخطبة بتمثل مضامين القرآن بختمها بمعنى مستقى من آية من كتاب الله.

---

١) سورة النحل، ١٢٨.

الخطبة التاسعة

سار أبو عبيدة رضي الله عنه حتى إذ دنا من الجابية بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية،وأنه قد جمع لهم جموعا كثيرة، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر رضي الله عنه يخبره بذلك،فقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

[(أمّا بعد فإنّ إخوانكم المسلمين معافون مكلّئون مدفوع عنهم، مصنوع لهم، وقد ألقى الله الرُّعب في قلوب عدوهم منهم، وقد اعتصموا بحصونهم، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم، وقد جاءتني رسلهم يخبروني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم، حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام، وقد بعثوا إليّ يخبرونني أنه قد وجه إليهم هرقل جنداً من مكانه ذلك، فرأيت أن أمدّ إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدد الله بكم ظهورهم، ويكبت بكم عدوهم، ويلقي الرُّعب في قلوبهم، فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في ذلك الأجر والخير، فإنكم إن نُصرتم فهو الفتح والغنيمة، وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة)[1].

بدأت الخطبة بأخبار تبعث على التفاؤل وتقوّي العزيمة، وتبعث روح الأمل فإخوانهم المسلمون في الشام معافون محروسون، قد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم فاعتصموا بحصونهم، خوفاً وفرَقاً من المسلمين، وقد أغلقوا أبواب مدينتهم دون المسلمين،وهرب ملكهم هرقل من أيدي المسلمين.

لقد كان لهذا الخبر وهذه البشارة أثرها البالغ في تقوية العزيمة، وشد الشكيمة، ورفع الهمة، وكان هذا توطئة لحث المتلقين على اللّحوق بإخوانهم، ومؤازرتهم في قتال أعدائهم، وهذا من براعة الاستهلال الدّال على قوة الإقناع لدى أبي بكر ﷺ ومهارته في التأثير على المتلقي، واحتواء المستمع.

١- جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوة، ج١، ص٢٠١.

ويأتي أبو بكر ﷺ إلى غرضه المتمثل في بعث مَدَد من المسلمين لإخوانهم في الشام. فيقول: (وقد بعثوا إليّ يخبرونني أنه قد وجّه إليهم هرقل جنداً من مكانه ذلك، فرأيت أن أمدَّ إخوانكم المسلمين بجند منكم) إذن هذه هي النتيجة التي يريد أن يصل إليها أبو بكر ﷺ. وقد أحسن التمهيد لها قبل أن يصل إليها، ثم أعقبها بمسوّغات هذا المدد، وما يتوخّاه من ثمرات، وهذا ما يمكن اعتباره مقدمة حجاجية قد تأخرت على النتيجة على غير عادة أبي بكر ﷺ في أغلب خطبه، إذ كان التمهيد لها بذكر حال ملك الروم مع جيش المسلمين مبررا للبدء بالنتيجة قبل المقدمة الحجاجية ،المتمثلة في مسوغات إرسال هذا المدد. فقال: (يشدد الله بكم ظهورهم، ويكبت بكم عدوهم، ويلقي الرعب في قلوبهم) فجاءت مسوغات إرسال هذا المدد، شداً لأزرهم، وكبتا لأعدائهم.

ولما ذكر أبو بكر ﷺ مسوّغات إرسال هذا البعث والمدد أمرهم. فقال: (فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص).

وقد ختم خطبته بحسن التقسيم فقال: (فإنكم إن نُصرتم فهو الفتح والغنيمة، وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة)وقد كان لحسن التقسيم هنا أثره البالغ في إقناع المتلقين، وإزالة التردد من نفوسهم، وتقوية عزائمهم. وكيف يتأخر أحد يعلم أنه بين نصر يحصل معه الفتح والغنيمة، أو شهادة تكون معها الكرامة.

ويمكن إيجاز أهم سمات الخطبة الحجاجية فيما يأتي:

١- براعة الاستهلال التي مهدت لموضوع الخطبة، وقد جاءت في صورة بشارة ساقها في أول الخطبة.

٢- تميّزت هذه الخطبة عن سابقتها بتقديم النتيجة على المقدمة الحجاجية، وإن كانت النتيجة قد جاءت بعد تمهيد وتوطئة حتى تقبل ولا ينفر منها.

٣- الاستعانة بالدعاء في ندبهم وبعثهم بقوله: (فانتدبوا رحمكم الله)

٤- حسن التقسيم مما كان له أثره البالغ في إقناع القوم بالنهوض للجهاد، والمبادرة للقتال

خاتمة البحث:

تناولت هذه الدراسة الحجاج في خطب أبي بكر ﵁ محاولة إبراز أهم قضايا الحجاج، وأبرزسماته الحجاجية، وقد جاءت قضايا الحجاج في الخطب على النحو الآتي:

١- أحقّية المهاجرين بالخلافة.

٢- إثبات موت النبي ﷺ.

٣- المبادرة إلى العمل الصالح قبل حلول الأجل.

٤- الإخلاص وإرادة وجه الله بالقول والعمل.

د- شقاوة الملوك.

٦- عدم تجاهل فضل الأنصار ومكانتهم عند مساواتهم في العطاء مع غيرهم.

٧- النفرة في سبيل الله في أجواء تبعث على التردد.

ويمكن إجمال أهم السمات الأسلوبية للخطب موضع الدراسة على النحو الآتي:

١- حسن اختيار الألفاظ والإتيان بها في مواقعها، فلا نجد كلمة قلقة حلت محلّ غيرها، مما كان له أثره في تقوية حجج أبي بكر ﵁ .

٢- يبرز تأثر أبي بكر ﵁ في خطبه بالقرآن، في استشهاده بآياته واقتباس مضامينه وألفاظه، والقرآن أعظم حجة يُحتج بها المتكلم، وأشد الكلام أثراً في المخاطب وإقناعاً للخصم ، ولما كان المتكلم – أبو بكر ﵁ – هو أعظم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم تأثراً بالقرآن وعملاً به، وكان المخاطبون هم صحابة رسول الله ﷺ الذين غيّر القرآن حياتهم، كان للاستشهاد بالقرآن أثره البالغ في تثبيت حججه، وإقناع الصحابة ببغيته.

٣- شدة تأثر أبي بكر ﵁ بحديث النبي ﷺ لفظاً ومعنى، لاسيما عند تشابه المواقف كما في خطبته للأنصار، حينما غضبوا عليه لما ساوى بينهم وبين الناس في قسمة أموال البحرين، وهذا ما حدث للنبي ﷺ حينما أعطى المؤلفة قلوبهم من

غنائم حنين، ولم يعط الأنصار، فوجدوا في أنفسهم حتى خطبهم وأقنعهم وأرضاهم.

٤- بناء خطب أبي بكر ﷺ على المقدمة الحجاجية والنتيجة عَقِبها. وإنما تقدمت النتيجة على المقدمة الحجاجية في موضعين، كان أحدهما لإثارة انتباه المتلقي، والآخر قد مهد له بتوطئة، جعلت لإتيان النتيجة قبل المقدمة قبولا عند المستمع.

٥- براعة الاستهلال وحسن التخلص ميزتان ظاهرتان تميزت بهما خطب أبي بكر ﷺ.

٦- اعتماد خطب أبي بكر ﷺ في أغلبها على الأسلوب التقريري المتمثّل في الشرط القائم على المقدمة والنتيجة، وهذا ألصق بالحجاج من الأسلوب المجازي المبني على الصور البيانية. ونادراً ما تجد عنده صورة بيانيه من تشبيه أو استعارة؛ لأن الأسلوب الخطابي عنده ملتصق بالأرض والواقع.

٧- أسلوب مداراة الخصم ومجاراته يتمثل في بعض خطب أبي بكر ﷺ. استطاع من خلاله أبو بكر ﷺ أن يكسب خصمه، ويصل معه إلى مراده دون أن ينفِّره.

٨- كثرة الطباق والمقابلة، التي من شأنها إبراز الحقيقة المرادة وإظهارها بوضوح، ودعمها في ذهن المتلقي؛ إذ يتم إبراز الشيء من خلال إبراز ضده ونقيضه.

٩- توكيد الجمل من خلال التكرار اللفظي تارة، وحشد أدوات التوكيد تارة أخرى، مما يناسب حال من يحتج لقضايا، أما م من ينكرها أو يجحدها.

١٠- أسلوب الاستدراج؛ مما يكبح نفور الخصم، وذلك ببناء الكلام على مسلمات متفق عليها؛ لتكون أسرع إلى القبول والإذعان.

مراجع البحث

١- الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي . ناصر السعيدي. رسالة ماجستير بجامعة أم القرى. لم تطبع.

٢- الاحتجاج في القرآن الكريم. زينب الكردي. رسالة دكتوراه بجامعة الإمام. لم تطبع بعد.

٣- أسرار البلاغة. عبدالقاهر الجرجاني. قرأه وعلّق عليه:محمود شاكر. مطبعة المدني. القاهرة .ط١. ١٤١٢هـ.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق:بهيج غزاوي. دار إحياء العلوم.بيروت. ١٤١٩هـ.

٥- البديع. عبدالله بن المعتز. دار الجبل. بيروت.ط١٠.١٤١٠هـ.

٦- البيان والتبيين. الجاحظ.تحقيق:فوزي عطوي.دار صعب. بيروت.ط١.١٩٦٨م.

٧- تأريخ الأمم والملوك. محمد بن جرير الطبري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١ ١٤٠٧هـ.

٨- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. ابن أبي الأصبع المصري. تحقيق:د. حفني محمد شرف.لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة. ١٣٨٣هـ.

٩- جمهرة خطب العرب. أحمد زكي صفوت. بيروت. ط١. ١٣٥٢هـ.

١٠- الحجاج بين المنوال والمثال "نظرات في أدب الجاحظ وتفسير الطبري. د. علي الشعبان. مكيلياني للنشر والتوزيع. تونس. ٢٠٠٨م.

١١- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلي إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه د. سامية الدريدري. عالم الكتب الحديث.أربد. الأردن.٢٠٠٨م

١٢- الحجاج مفهومه ومجالاته "دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إعداد وتقديم:د. حافظ إسماعيلي علوي. عالم الكتب الحديث. الأردن.ط١..١٤٣١.

١٣- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. د. عبدالله صولة. دار الفارابي.بيروت. ط١٢٠٠١م.

١٤- الحجاج في درس الفلسفة. مليكة غبار وأحمد أمزيل وعلي أعمور. أفريقيا الشرق. المغرب.٢٠٠٦م.

١٥- خاص الخاص. أبو منصور الثعالبي. تحقيق: حسن الأمين. مكتبة الحياة. بيروت. ت.د.

١٦- الخطابة، أرسطو، تعريب: عبدالرحمن بدوي ، دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ، ١٩٨٦م.

١٧- زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني. شرحه وعلّق عليه:د. يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية،بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٨- السيرة النبوية،ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وعبدالحفيظ شلبي، المكتبة الفيصلية، ت.د.

١٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة، ت.د.

٢٠- ٢٠ - كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق:علي الإبياري،ومحمد أبوالفضل،ط٢،١د ١٩م.

٢١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء البرهان فوري، تحقيق: بكري حياتي وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، ط د، ١٤٠١هـ.

٢٢- لسان العرب، ابن منظور،طبعة دار إحياء التراث العربي.

٢٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق:د بدوي طبانة ، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٤- مسند أحمد.

٢٥- المقدمة، ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١

٢٦- المنهاج في ترتيب الحجاج أبو الوليد الباجي، دار الغرب الإسلامي،ط٢،١٩٨٧م

٢٧- نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، أبو بكر الغزاوي،مجلة المناظرة، المغرب،السنة الثانية، العدد الرابع،شوال ١٤١١هـ

* * *

من المؤلف إلى النص :
مقاربة نقدية لمفهوم "موت المؤلف " لرولان بارت

د. هاشم ميرغني الحاج إبراهيم
كلية اللغات . قسم اللغة العربية
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

من المؤلف إلى النص : مقاربة نقدية لمفهوم "موت المؤلف" لرولان بارت

د. هاشم ميرغني الحاج إبراهيم
كلية اللغات . قسم اللغة العربية
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

ملخص البحث:

تحاول هذه الورقة مقاربة مفهوم "موت المؤلف" الذي أسس له الناقد والمفكر الأدبي الفرنسي رولان بارت (١٩١٥ . ١٩٨٠)، وذلك عبر البحث المستقصي عن المفهوم وصياغته عند بارت ، وتعالقاته المتشعبة بمجمل خطاب بارت بخاصة ، ومجمل الخطاب النقدي الحديث بعامة . محاولة الإجابة عن عدد من الأسئلة التي يثيرها مثل:كيف أدت الصياغة البارتية لعبارة "موت المؤلف" إلى التعامل معها حرفيا بحيث كادت تغلق حقل الدلالة الخصيب؟ كيف يغيب المؤلف عن نصه ؟ ما التحولات التي تحدث لصوت المؤلف إثر دخوله حقل ممارسة الكتابة ؟ مادرجات تحقق هذا الغياب في النص الأدبي ؟ما احتمالات انزلاق النص إلى فقدان الدلالة أو شحوبها إثر هذا الاهتمام بالنص دون مؤلفه ؟ ما الاحتمالات التي يفتحها النص في حالة غياب مؤلفه ؟ ما العلاقات التي يخوضها النص مع ما هو خارجه ؟ وغيرها من الأسئلة التي تسعى هذه الورقة لتفحص إجاباتها .

اللغة ألف باء الخطاب الأدبي،بمجاز عابر: صلصال هذا الخطاب الذي يسوّي به تماثيل أجناسه، وهي العنوان الأبرز للخطاب النقدي بمختلف حقبه، فالبحث في لغة الأدب هو بحث في أدبية الأدب أساسا، أي بحث في تأسيس تمايز وانزياح الخطاب الأدبي عن غيره من الخطابات. بحث في لغز الأدبية في محاولة للإجابة عن السؤال العصي: ما الأدب ؟ وما الآليات التي تشتغل عبرها اللغة لتشكل تغاير الخطاب الأدبي عن غيره من الخطابات ؟

في التراث العربي انتبه النقد منذ بواكيره الأولى إلى سؤال الأدبية، فقد افتتح ابن سلام (١٥٠ـ٢٣٢هـ) كتابه في" الطبقات" بأن"للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات"[١]. أي علما ينبغي تأسيسه،وهو علم خارج في جوهره عن دائرة علم العروض والنحو والمعجم في رأي الجاحظ[٢] الذي محور سؤال الأدبية بعد ذلك فيما عرف اختزالا بقضية اللفظ والمعنى التي مثل جذرها العريق مقولة الجاحظ (١٥٩ـ٢٥٥هـ) المعروفة عن المعاني المطروحة في الطريق التي"يعرفها العجمي والعربي،والبدوي والقروي والمدني . وإنما الشأن في إقامة الوزن،وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء،وفي صحة الطبع وجودة السبك،فإنما الشعر صياغة وضرب من

---

١ طبقات فحول الشعراء،محمد بن سلام الجمحي،تحقيق محمود محمد شاكر،دار المدني . جدة ١٩٨٠،الجزء الأول،ص ٥ .

٢ قال الجاحظ فيما رواه عنه ابن رشيق في العمدة: "طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش،فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار،وتعلق بالأيام والأنساب. فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب: كالحسن بن وهب،ومحمد بن عبد الملك الزيات" .ولا ريب أن مقولة الجاحظ هذه مثلت النص الغائب الذي انحدر منه تعريف ابن خلدون للأسلوب باعتباره أمرا خارجا عن "حد الصناعة الشعرية" . فهو لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب (والمعنيّ بالكلام أصل اللغة عند ابن خلدون وليس المفهوم السوسيري المعروف للكلام).ولا باعتبار الوزن الذي هو وظيفة العروض .

التصوير"[1]، وهي المقولة التي طرحت بوضوح ساطع مسألة المعنى الشعري المنبثق عن الصياغة، والمتخلق بلغته عن المعنى العام.والمنزاح بتأسيس كونه الخاص المستقل عن المعنى الشائع والمنكشف للكل والملقى في عراء العالم كلُقية.وقد دلل على ذلك أيضا بمقولته المعروفة عن استحالة ترجمة الشعر"ومتى حوّل تقطّع نظمُه وبطلَ وزنُه، وذهب حسنُه وسقطَ موضعُ التعجب، لا كالكلامِ المنثور، والكلامُ المنثور المبتدأ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور الذي تحوّل من موزون الشعر"[2]لأن المعنى كامن في الشكل نفسه وعناصره بحيث يستحيل أن نفصله عنها كما يستحيل أن نفصل جانبي الورقة حسب التعبير الذي سوسيري الذائع عن علاقة الدال والمدلول ،وحسب تعبيره أيضا عن ثنائية الوحدة اللغوية التي هي أشبه بالمركب الكيميائي كتركيب الماء مثلا"التركيب المؤلف من الهيدروجين والأكسجين،فإذا أخذنا أيا من العنصرين لوحده لم نجد له أية صفة من صفات الماء"[3].مما يقربنا من مفهوم معنى الشكل حيث الشكل هو"معرفة بأي آلية يمكن للنص أن يولّد نوعا خاصا جدا من المعنى"[4].

و يمكن القول بشكل عام إن هذا الفهم لطبيعة المعنى الشعري كان ساريا في التراث العربي وإن كانت صياغة الجاحظ المحكمة له قد مارست تأثيرا حاسما على البلاغة العربية من لدن قدامة بن جعفر (٢٦٠ـ ٣٢٧هـ)في "نقد الشعر" الذي ذهب إلى أن"المعاني للشعر بمنزلة الصورة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة،كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها،مثل الخشب

---

١ الجاحظ ،تهذيب الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،مكتبة الأسرة، ١٩٩٩، ص د٧.

٢ الحيوان،الجاحظ ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،القاهرة، الطبعة الثانية د١٩٦٥، ص د٧ .

٣ علم اللغة العام،فردينان دي سوسور،ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز،دار آفاق عربية،بغداد، د١٩٨٥،ص ١٢٢ .

٤ الأدب عند رولان بارت، فانسان جوف،ترجمة عبدالرحمن بوعلي،الطبعة الأولى ،٢٠٠٤،دار الحوار للطباعة والنشر ،اللاذقية سوريا ،ص ٩٩ .

للنجارة، والفضة للصياغة"[1]. وأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ) الذي يرى أن "ليس الشأن في إيراد المعاني، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف"[2]، والذي تنبّه إلى أن الأمر ليس أمر معان، ومضى في تأسيس أدبية النص بالتماس أدلة عليها: "ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرايعة. والأشعار الرايقة ما عملت لإفهام المعاني فقط أن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيدة منها في الإفهام، وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني"[3]. مرورا بعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) الذي لايمكن تعليل هذا التولُّه النقدي الحديث به إلا بكونه استطاع تشييد صرح الأدبية عبر نظريته في النظم، حتى حازم القرطاجني (٦٠٨ـ ٦٨٤هـ) الذي مضى أبعد في تأسيس شعرية النص وذلك بمحاولة تخطي "ظواهر هذه الصناعة وما فرغ الناس منه إلى ماوراء ذلك مما لم يفرغوا منه"[4] طامحا إلى تأسيس ما يشبه نظرية أدب عامة مستعينا بما تشربه من علوم العربية من ناحية، ومن فلسفة ابن سينا وأرسطو من ناحية أخرى .

ويمكن القول إن ثراء البلاغة العربية الفاحش ورصدها المليمتري لكل أشكال انزياح الكلام، وتنقيبها المتقصي بمنجم الإعجاز القرآني، وتمييزها المبكر بين اللغة والكلام في تأسيسها لعلاقات المجاز والحقيقة . وكل ما تحسدها عليه الأسلوبية الحديثة رغم إنجازها النظري الكبير - كان نتيجة طبيعية لعكوفها المضني على النص

---

١ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٦٥ .

٢ الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٢، ص ٥٧ .

٣ السابق: ٥٨ .

٤ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد عبدالسلام ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦، تقديم الكتاب لمحمد الفاضل عاشور، ص ١٠.

نفسه دون أن تشغل نفسها بما هو خارجه إلا بالقدر الذي يضيء النص ذاته.فبينما احتل الشاعر مكانه في كتب الطبقات والتراجم والأخبار.فإن شعره احتل كتب البلاغة والنقد دون مزاحمة منه.وإذا حضر فلكي يغيب سريعا تاركا نصه على منصة التحليل المجهري .

على مستوى الخطاب النقدي الحديث فإن التعامل مع الخطاب الأدبي باعتباره خلقا لغويا تحتفل فيه اللغة بإعادة إنتاج العلاقات بين الوعي والعالم لتشيد كونها الخاص المستقل يكاد يكون قاسما مشتركا ينسرب عبر هذا الخطاب كله.بحيث يصعب . إن لم يستحل . تتبع المسار المتشعِّب للُغة في هذا الخطاب بتجلياته واتجاهاته المختلفة .ولو على مستوى الرصد الإحصائي والتاريخي. وقد تزامن ذلك مع تفاقم وعي الخطاب الأدبي نفسه بذلك.حتى ليمكن بشكل عام توصيف موقف الشاعر الحديث إذا استعرنا مفهوما سارتريا بأن الشاعر"قد انسحب دفعة واحدة من الموقف الذي يعد اللغة أداة.واختار نهائيا الموقف الشعري الذي يرى في الألفاظ أشياء لا علامات أو إشارات.فبينما يمضي الناثر إلى ماوراء الكلمات فإن الشاعر يقف أمامها"[1]. ولكن ما يتسرب من رغبة سارتر هنا في التزام الناثر هو أن الناثر الأدبي نفسه قد اختار ذات الموقف.بحيث يمكن أن نحور قليلا في تساؤل جاكبسون: " أين تكمن شعرية القصيدة ؟" لتساؤل تودورف المهم"أين تكمن أدبية الأدب ؟".وتكون الإجابة هي عين إجابة جاكبسون بأنها: " تتجلى في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة.وليست مجرد بديل عن الشيء المسمى.ولاكانبثاق للانفعال، وتتجلى في كون الكلمة وتركيبها ودلالتها، وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرد إمارات مختلفة عن الواقع فحسب.بل لها وزنها الخاص.وقيمتها المتميزة"[2].

---

١ سامي الدروبي.الأدب وعلم النفس .دار المعارف.مصر.د.ت.ص ٥١ / ٢٣ د .

٢ المصدر السابق : ٥٤ د .

لا تتغيّا هذه المقاربة الدخول في المتاهة المتشعبة لـ" المعنى الأدبي"وآليات اشتغاله، والممتدة عبر التاريخ الأدبي كله. بقدر ما تتغيّا الاقتراب من بعض تخومها ذات العلاقة الوثيقة بمفهوم بارت"موت المؤلف".

نتغيّا إذن تفحص تجليات هذا الغياب الذي يطرح أسئلة مثل: ما طبيعة هذا الغياب ؟ كيف تتشكل تجلياته؟ كيف يمكن قراءته في ضوء الخطاب البارتي ؟ ما الطريق التي سلكها بارت لتأسيس مفهومه ؟ مادرجات تحققه في النصوص المختلفة ؟ كيف يمكن أن يؤسس مثل هذا الغياب لعلم النص ؟ ما احتمالات انزلاق النص إلى فقدان الدلالة أو شحوبها إثر تحوله إلى حقل لساني محض؟ وما الآفاق التي يفتحها النص إثر غياب مؤلفه؟

بدءا فإن هذه المقاربة تعي ثلاثة إشكالات: الأول يختص بالمفهوم نفسه وتعالقاته المتشعبة بمجمل الخطاب النقدي ومجمل المشروع البارتي. والثاني يختص ببارت نفسه،والثالث يختص بإشكال صياغة المفهوم وأصدائها.

أولا :

بالنسبة لمفهوم"موت المؤلف"فإن هذا المفهوم يمكن أن يسلم الباحث إلى متاهة متشعبة في تقصي الخطاب النقدي النصي تفضي إلى بانورامية واسعة تقول كل شيء ولا تقول شيئا.فالاهتمام بالنص لم يكن غائبا بشكل عام في الخطاب النقدي منذ جذره التاريخي البعيد إلى ما بعد البنيوية.وإن لم يمثل غياب المؤلف عنوانه العريض. وبارت رغم إسهامه الاستثنائي الفذ لم يكن. بداهة. أول من حاول أن"يزلزل إمبراطورية المؤلف الشاسعة" فمشروعه يسبح بذات المجرى التاريخي العميق. ومجمل المشروع البارتي منذ"درجة الصفر في الكتابة" ١٩٥٣ إلى آخر ما صدر بعد سنوات من وفاته قد تمحور أساسا حول النص. أي كان تجليات مختلفة لمقولة"موت المؤلف". وهو بدوره مشروع متشعب ومفتوح على حقول معرفية متعددة: السيميائية، البنيوية،علم الاجتماع،اللسانيات، التفكيكية،التأويل ،لذة النص ...إلخ إلخ كما أن الخطاب النقدي

المتراكم حول بارت ـ مباشرة أو غير مباشرة ـ يبلغ درجة من الكثافة والتشعب تعيق أي دراسة حول بارت وتحولها إلى سلسلة لانهائية من الإحالات .ولذا ستبذل الورقة جهدا استثنائيا لتضيّق واسعا وذلك بالتركيز المجهري على المفهوم نفسه وضبطِ تشعبه بربطه بالمقولات الأكثر مركزية عند بارت والأمس رحما بالمفهوم. محاذرة الغرق بيمِّ الخطابات المتقاطعة حوله.

ثانيا :

الإشكال الثاني يختص ببارت نفسه،المتنقل بيسر بين مناهج مختلفة، مستثمرا في كل مرة مفاهيمها الأساسية مخترقا حدودها: من صرامة السيميائية والتحليل البنيوي حتى مبهم لذة النص وهسهسة اللغة. مما قد يثير ارتباك أي دراسة حول خطابه النقدي .ففزع بارت الدائم من أحادية الإشارة وصنميتها وانغلاقها، ومن الصيغة النهائية التي يمكن أن يسمره فيها الآخرون، وإيمانه الضاري بالتعدد،والتفلت،والكثرة،وسيولة الوجود وفوضاه،وعداءه لتصلب المعتقد Dogma، وكرهه لحتمية الفلسفة الجوهرية Essentialism مقابل وجوديته السارترية الداعمة لكل ما هو متعدد،منفلت،متبدد،ولا متحدد[1]، واستعداده "لأن يفعل المستحيل حتى لايحتويه تعريف"[2].وبتعبيره هو نفسه في"رولان بارت بقلمه": " إنه لا يحتمل أن تتشكل له صورة ويتعذب لدى ذكر اسمه"[3] هو ماقاد خطاه لتلك التحولات المتسارعة المرهقة مثل جهاز يطرح صورا دون توقف وبسرعة فائقة. وهو ربما ما جعل تودوروف (١٩٣٩ـ ....) يقول عنه بيأس ملخصا تنقلاته الحادة، أو تناقضاته في قراءة اكثر تعسفا لمقولته: " إذا كان بالإمكان داخل كل نص أن

---

١ البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس الى دريدا،تحرير جون ستروك،ترجمة د.محمد عصفور،سلسلة عالم المعرفة ،العدد ٢٠٦ ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،١٩٩٦،الفصل الخاص برولان بارت ص ٦٨ وما بعدها،وللمزيد حول هذه النقطة انظر مثلا: عصر البنيوية،إديث كريزويل،ترجمة د.جابر عصفور،دار سعاد الصباح،الكويت،١٩٩٣، ص ٢٤٧ وما بعدها .

٢ البنيوية وما بعدها: ٦٦ .

٣ البنيوية وما بعدها: ٦٦ .

نأخذ جمله كتعبير عن فكره،فإن مجموع النصوص يشير إلى أنه لا يجسد شيئا،إذ نلاحظ أن بارت يغير دائما موقفه،فهو يحتاج إلى صياغة فكرة لكي يهملها"[1].

من ناحية أخرى فإن إحساسه العميق بالطاقات اللانهائية للغة،وانشغاله المهووس باللغة وتشظيها الدلالي ليس باعتبارها"موضوعا له" فحسب،بل حقلا خاصا لحرث حلمه الخالص : "لغة مكتفية بذاتها لاتعترف إلا من الميثولوجيا الفردية والسرية للكاتب"[2]،وكذلك تأثره المضمر بنثر لاكان (١٩٠١ ـ١٩٨١) الذي"يطمح باستمرار في الوصول إلى منزلة الكلام،وأهدافه واضحة من الكتابة بهذا الأسلوب : أن يتم الإحساس بطاقات اللاشعوري في الإيقاع المتقلب في الجمل التي يكتبها، وإعاقة القارئ عن تشييد بنايات نظرية مبتسرة على النص وإرغامه على المشاركة الكاملة في العمل الخلاق للغة"[3] هو ما جعل بارت يبدو لنا وكأنه يكتب نصا يفكك نفسه بنفسه بينما هو ماض للأمام، نصا متغيرا بحيث لا يمكن البناء على رماله المتحركة باستمرار .

أضف إلى ذلك أن بارت ظل مغمورا بذلك القلق الممض إزاء النص،محتميا بحساسيته المرهفة . إزاء تعقيدات النص . من صمم الاعتقاد بوجود حزمة مفاتيح جاهزة لفتح أقفال كل نص أدبي، وكانت حيويته العارمة هذه هي ما حمى نقده من التكلس والاجترار،ولذا واصل مسيرة تفلُّته من قبضة يقينية الخطاب حتى لايكتسب مدلولا ثابتا،ونهائيا،أي مصمتا مثل نص لاهوتي يرزح تحت وطأة تفسير أحادي كنسي، ولذا فإنه ليس نص بارت فحسب هو الذي يتحرك كدال لايفضي سوى لدوال أخرى تتشظّى بدورها لمجرّة من الدوال الأخرى،ولكنه هو نفسه"جعل ذاته إشارة حرة فخلاها

---

١ الأدب عند رولان بارت. فانسان جوف.ترجمة عبدالرحمن بوعلي.الطبعة الأولى.٢٠٠٤.دار الحوار للطباعة والنشر .اللاذقية سوريا .ص ٩ .

٢ الكتابة في درجة الصفر .رولان بارت. ترجمة محمد نعيم خشفة.الأعمال الكاملة ٦. مركز الإنماء الحضاري .حلب. ط١. ٢٠٠٢. ص ١٧.

٣ جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي.إعداد وترجمة عبدالمقصود عبد الكريم.المجلس الأعلى للثقافة.مصر.١٩٩٩.الفصل الثاني: لاكان والعودة إلى فرويد.لمالكوم بوبي .ص٨٣ .

دالا عائما لا يحد بمدلول"[1]، ولذا ربما كان من الأفضل إخضاع نص بارت نفسه وفي لغته الأصلية للتحليل الأسلوبي والبنيوي،إذ يمكن لمثل هذا التحليل الشاق أن يكشف بشكل أوضح عن مسارات دواله، ولكن تلك مهمة خارجة عن إطار قدرة الباحث .

ثالثا :

إن مفهوما مثل"موت المؤلف" يمكن أن يكون أحد المداخل المتعددة لخطاب بارت النقدي أكثر من كونه مصطلحا يتميز بثقل مفاهيمي خاص داخل الخطاب البارتي،أو خطاب النقد النصي بشكل عام،لاسيما إذا تذكرنا أن بارت نفسه لم يعد لاستخدامه بالاسم في كتاباته اللاحقة ليبلور رؤيته حوله .كما أن المفهوم نفسه لم يكتسب أية صلابة اصطلاحية خاصة في المعاجم والموسوعات العلمية النقدية أو الألسنية،والأهم من ذلك كله أن الصياغة القوية التي صك بها بارت عبارته"موت المؤلف"مستثمرا قوة المجاز في"موت"هي التي أعطت المفهوم كل هذا الرنين ومنحته سيرورته أكثر من مصطلحات بارت الأخرى الأخف زهوا لغويا،ولكن الأمضى فعالية،ونعني بمجازية العبارة أنها وردت في مقابل عبارة أخرى هي "ولادة القارئ".يقول بارت في جملته الأخيرة في مقالته"موت المؤلف" : " لكي تسترد الكتابة مستقبلها يجب قلب الأسطورة،فموت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القارئ[2].فتركيب الجملة هو الذي فرض وضع موت الكاتب The Death of the Author مقابل ولادة القارئ the birth of the reader،أما في متن المقال نفسه فإن بارت يتحدث عن :

- غياب المؤلف: يقول بارت : " إن النص ليصنع من الآن فصاعدا ويقرأ بطريقة تجعل المؤلف عنه غائبا absent على كل المستويات"[3].ويقول أيضا: " إن غياب

---

١ الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق،د.عبدالله الغذامي،المركز الثقافي العربي،بيروت . الدار البيضاء،الطبعة السادسة،٢٠٠٦،ص ٦٠.وللمزيد انظر مجمل الصفحات التي خصصها المؤلف لبارت بعنوان "فارس النص" من ص ٦٠ . ٦٩ .

٢ نقد وحقيقة،رولان بارت،ترجمة د.منذر العياشي،مركز الإنماء الحضاري،حلب،١٩٩٤،ص ٢٥ .

٣ نقد وحقيقة: ٢٠

المؤلف the absence of the author ..ليس حدثا تاريخيا أو حدثا كتابيا فقط: إنه يحول النص الحديث من أدناه إلى أعلاه"[1]..

- إبعاد المؤلف: يقول بارت: "ما إن يتم إبعاد المؤلف once the author is gone حتى يصبح الزعم بفك "رموز" النص زعما من غير فائدة [2].

وبذا فإن الحديث في متن النص . بعيدا عن خط الافتتان البلاغي في "موت" - يمضي ليؤسس لغياب المؤلف، وإبعاده، وابتعاده، وهو أمر مختلف عن "موته" أو إلغائه مما يتيح مناقشة أوفر دقة وتماسكا لتقصي طبيعة هذا الغياب ومستوياته وآلياته دون الانزلاق لسطوة المجاز الذي . يا للمفارقة . يغلق أفق القراءة بدلا عن فتحها .

هذه الصياغة البلاغية ربما أضرت بالمفهوم أكثر مما أفادته حتى أضحت عبارة "موت المؤلف" أحد المداخل الأساسية . والتي عادة ما يُتصوّر أنها هشّة . لنقد البنيوية، وغالبا ما يتم عزلها عن مجمل المشروع البارتي، ومجمل السياق الثقافي الذي يحارب فيه بارت. ويجري التعامل معها حرفيا. فعلى مستوى الخطاب النقدي العربي تم تلقف هذه المقولة أحيانا، وتمريرها لتقليص دلالاتها حتى الاختناق باعتبارها أول الطريق المسدود الذي تقبع في آخره لافتة "إلغاء الدلالة". كأن يرى المسدي مثلا أن "من الأمور التي تسرّع فيها رواد البنيوية إعلان انفكاك النص عن صاحبه والتأكيد على انقطاع صلة الرحم بين الأدب وواضعه، مع ما رافق ذلك من إشارة وتمجيد اسم الحداثة هو الذي جنى على المنهج النقدي ولا سيما يوم أطلق بعضهم ما يُسمى بـ "موت المؤلف"[3] التي كانت في رأيه الفكرة الجانية عليها. أو يكتب عبدالعزيز حمودة بخفة في ثلاثيته السجالية الضخمة المكرسة لنقد البنيوية والتفكيكية: "ورغم الاختلاف بين البنيوية والتفكيك في الوسائل والغايات فإن المدرستين في الواقع تلتقيان حول موت المؤلف

---

١ نقد وحقيقة: ١٩/ ٢٠.

٢ نقد وحقيقة: ٢٢.

٣ قضيّة البنيويّة دراسة ونماذج. عبد السلام المسدّي. وزارة الثقافة. تونس. الطبعة الأولى. ١٩٩١م. ص ٦٣.

واختفاء النص.المدرسة الأولى تدعو لإنشاء نقد جديد يصبح أكثر جذبا من النص المبدع ذاته.والثانية تلغي النص وتقتل المؤلف وتواريه التراب"[١]. وهكذا تثير مقولة "موت المؤلف" ذلك التخوف بأن يكون نفي المؤلف تمهيدا لتفريغ النص من غناه الباطني وانسحابه من ضراوة العالم دون التوقف لتفحص المفهوم نفسه وانفساحه.والأفق الذي انفتحت عليه البنيوية منذ سنواتها الأولى: علم الاجتماع.التحليل النفسي.الماركسية.السيميائية.الهرمونيطيقا محاذرة من تحولها إلى موضة فكرية تجتر حزمة متيبسة من المقولات الجاهزة.ومصححة حرفية الفهم المغلق لها عبر النفي العميق والمستمر لهذا الصمم الإيدلوجي من لدن إشتراوس الذي نص على أن"البنيوية ترفض إقامة أي تعارض بين العيني والمجرد .وتأبى إعطاء قيمة ممتازة للثاني منهما ... إن الصورة تتحدد بتقابلها مع مادة غريبة عنها.وأما البنية فإنها لا تملك مضمونا متمايزا.وإنما هي نفسها المضمون مدركا داخل تنظيم منطقي منظورا إليه باعتباره خاصية للواقع"[٢].مرورا ببارت الذي رأى بوضوح أن"الكاتب وهو يسجن نفسه داخل"كيف نكتب؟ "ينتهي إلى معانقة السؤال المفتوح بامتياز: لماذا العالم ؟ وما معنى الأشياء"[٣]. حتى تودوروف الذي لم يكن عكوفه المضني على البنية، وتفحص صيغها وأشكالها سوى كشف للطريقة التي تنبثق بها دلالاتها غير المنفصلة عن ميكانزمات إنتاجها.والذي حذر في "الشعرية" من خطر فائض التنظير في القراءات التي"تنزع أكثر فأكثر نحو الشكلانية في خطاب لم يعد له من موضوع سوى نفسه"[٤]. وعاد في

---

١ المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.د.عبدالعزيز حمودة.سلسلة عالم المعرفة.المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.الكويت.العدد ٢٣٢.أبريل ١٩٩٨.ص ٤٩ .

٢ زكريا إبراهيم.مشكلة البنية. مكتبة مصر.الفجالة.د.ت.ص ٣٨ .

٣ الأدب عند رولان بارت.فانسان جوف.ترجمة عبد الرحمن بوعلي.دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع.اللاذقية سوريا.ص ٩٤.

٤ الشعرية . تزفيطان طودوروف . ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة . الطبعة الثانية . دار توبقال للنشر . المغرب . ١٩٩٠. ص ٢٨ .

كتابه "الأدب في خطر" لينبّه لسهولة العبور من الشكلانية إلى العدمية أو العكس. بل لإمكان ممارستهما معا في آن. ولجناية "العقيدة" التي تدرس الأدب باعتباره باعتباره "موضوعا لغويا مغلقا مكتفيا بذاته مطلقا"[1] ودعا إلى "تحرير الأدب من المشد الخانق المحتبس فيه والمصنوع من ألعاب شكلانية. وشكاوي عدمية. وتمركز أناني على الذات وفتحه على السجال العريض للأفكار"[2].

لوضع مفهوم "موت المؤلف" في سياقه التاريخي فإن مقالة بارت التي تحمل هذا الاسم نشرت لأول مرة في مجلة manteia في العام ١٩٦٨. ثم مترجمة إلى الإنجليزية في مجلة Aspen[3] في العدد المزدوج ٥/٦ الصادر في العام ١٩٦٨ بترجمة من ريتشارد هوارد. وظهرت بعد ذلك أيضا في كتاب "الصورة. الموسيقى. النص"[4] الذي صدر في العام ١٩٧٧ وضم مختارات من مقالاته اختارها وترجمها ستيفن هيث. كما ظهرت بعد وفاته ضمن كتابه "هسيس اللغة" The Rustle of Language الصادر بعد وفاته سنة ١٩٨٤. وقد صدرت للمقالة عدة ترجمات بالعربية أبرزها ترجمة د. منذر العياشي المنشورة في كل من "هسيس اللغة" ١٩٩١. و"نقد وحقيقة" ١٩٩٤. ووجد المفهوم طريقه إلى النقد العربي منذ منتصف السبعينيات تقريبا.

---

١ الأدب في خطر. تزفيطان طودوروف. ترجمة عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. ط ١. ٢٠٠٧. ص ١٩

٢ الأدب في خطر. تزفيطان طودوروف. ص ٥٢.

٣ مجلة كانت تصدر في كولورادو. الولايات المتحدة في الفترة ١٩٦٥-١٩٧١. ويحوي الرابط الإلكتروني التالي الأعداد الأولى منها من الأول حتى العاشر: http: //www.ubu.com/aspen/intro.html. وقد وردت مقالة بارت في العدد المزدوج ٥/٦.

٤ Image music text . Roland Barthes.Essays selected and translated by Stephen Heath.Fontana press.London.١٩٧٧. ويضم هذا الكتاب بالإضافة إلى مقالة "موت المؤلف" مقالات أخرى هامة لبارت مثل: من العمل إلى النص. وحبة صوت. ومدخل إلى التحليل البنيوي للسرد.

يستهل بارت مقاله "موت المؤلف"[١] بجملة لبالزاك في قصته "سارازين" عن مخصي تزيا بزي امرأة: "كان المرأة بكل مخاوفها المفاجئة، وكل نزواتها الطائشة، واضطراباتها الغريزية، واجتراحاتها من غير سبب، وتبجحاتها، ورقة مشاعرها". ليطرح - بارت - بعد ذلك تساؤله المهم عن المتكلم هنا: "من يتكلم هكذا ؟ هل هو بطل القصة ليستفيد بتجاهل المخصي الذي يختبئ تحت ستار المرأة ؟ أم تراه يكون بالزاك الفرد، مزودا بفلسفة عن المرأة من خلال تجربته الشخصية ؟ أم هو المؤلف بالزاك يبشر بأفكار "أدبية" عن الأنوثة ؟ هل هي الحكمة الكونية ؟ أم تراها: تكون علم النفس الرومانسي؟"[٢]

يمكن إحالة هذا السؤال الافتتاحي مباشرة إلى علم السرد Narratology الذي سيختزل الإجابة عن السؤال مباشرة بأنه الراوي، وهو هنا الراوي العليم المتعالي على الذوات الفاعلة في النص والمخفي الهوية في الوقت ذاته ليسمح لكل أصوات النص بالظهور كما لو كانت تتجلى لوحدها أمام عدسة كاميرا تصور الداخل والخارج، ولكن يبدو وكأن سؤال بارت هنا ينحو نحو كشف طبيعة هذه اللغة التي يتكلم بها هذا الراوي، وتحديد المنطقة التي ينبع منها حيادها، أي رصد اللحظة التي تنفصل فيها في رأيه مثل هذه اللغة عن شخصية المؤلف، وتؤسس استقلالها، وتهدم صوت المؤلف وتمحوه، لذا يجيب بارت عن سؤاله أنه "لا يمكن لأحد أن يعرف أبدا، والسبب: لأن الكتابة هدم لكل صوت، ولكل أصل، فالكتابة في هذا الحياد، وهذا المركب، وهذا الانحراف الذي تهرب فيه ذواتنا - الكتابة هي السواد والبياض الذي تتيه فيه كل هوية، بدءا بهوية الجسد الذي يكتب"[٣]، وبهذه الإجابة يخطو بارت أولى خطواته في توسيع الشقة بين المؤلف والراوي، ففي اللحظة التي تدخل فيها الكتابة حقل الممارسة الرمزية تنأى عن أي

---

١ نقد وحقيقة : ١٥.

٢ نقد وحقيقة: ٢٥.

٣ نقد وحقيقة : ١٥.

قصد،وتتحرك "خارج أي صفة ماعدا الممارسة الرمزية نفسها في النهاية"[1]،ولكن إلى أي مدى يمكن أن يكون هذا الطموح البارتي في انفصال الصوت عن مصدره صحيحا ؟ ما المقدار المتبقي والمتسلل من صوت المؤلف لصوت الراوي لاسيما إذا كان المؤلف واقعيا عتيدا مثل بلزاك وليس فلوبير أو جويس مثلا؟ كيف نجزم أن عبارة "وتبجحاتها"مثلا لم تتسرب من أيديولوجيا المؤلف ونواياه المضفورة بنوايا خطابات أخرى تتقاطع معها،وهو ما يتهددنا أحيانا بوضوح سيّما في رواية السيرة الذاتية التي تشتغل كتخييل ينهل من السيرة الذاتية للمؤلف ؟

يمكن لباختين (١٨٩٥ ـ ١٩٧٥) الذي علمنا أن اللغة ليست بريئة أو محايدة، أو محصنة من تدخلات الآخر وآثاره، أن يسعفنا هنا على أكثر من مستوى: في تأسيسه مثلا للفرق بين السرد المونولوجي والحواري .وفي ضبط المقدار المتسرب من صوت المؤلف وسط تعدد أصوات النص .

يؤسس باختين للرواية المونولوجية باعتبار أن البطل يمضي "دون أن يصدِّعَ الفكرة المونولوجية التي يمتلكها المؤلف عنه .. فوعي الذات عند البطل محصور في الإطار الثابت لوعي المؤلف الذي يحدده ويصوغه استنادا إلى عالم خارجي ثابت ومحكم"[2]،وفي مثل هذا السرد لا يمكن الزعم بحياد الراوي.أما في الرواية الحوارية حيث يتشكل وعي البطل انبثاقا من ذاته كما عند ديستوفسكي فإن هذه المسافة بين الراوي والمؤلف تنشأ على الفور،ولكن هل ينفصل الصوت عن مصدره في السرد الحواري ؟

يشير باختين إلى "أن الناثر وإن كان لا يجهض في خطاباته أجنة التعدد اللساني،ولايستبعد تلك الوجوه اللسانية وطرائق الكلام،وتلك الشخوص ـ الحاكية المضمرة التي تتراءى في شفافية خلف كلمات لغته وأشكالها،إلا أنه لا ينقِّي خطاباته من

١ نقد وحقيقة : ١٦.

٢ مسائل في شعرية ديستوفسكي،ميخائيل باختين،عن القراءة وتوليد الدلالة،د. حميد لحمداني،المركز الثقافي العربي،بيروت ـ الدار البيضاء،الطبعة الثانية ٢٠٠٧،ص ٣٥ .

نواياها ومن نبرات الآخرين"[1]وإنما يرتب جميع تلك الخطابات والأشكال على مسافات مختلفة من النواة الدلالية النهائية للعمل الأدبي،ولمركز نواياه الشخصية"فإذا أزحنا جانبا مسألة"النواة الدلالية النهائية للعمل الأدبي"باعتبار أن الخطاب النقدي الحديث قد فرغ من نقل المسألة من العمل إلى النص،ومن مسألة التمركز المنطقي إلى تشظى الدلالة وانفلاتها دون نواة مركزية قابضة اكتمل ذوبانها بحمض النصوص التي ينغمر فيها النص فإن مسألة"نوايا المؤلف" المضمرة لازالت قائمة على مسافات مختلفة من تشكلات الخطاب السردي المختلفة ولغته؟ فكيف يمكن ضبط هذه المسافات ؟

وفقا لباختين يمكن أن ترتب طرائق توزيع لغة الرواية على النحو التالي :

- العناصر اللغوية التي تعبر مباشرة وصراحة عن نوايا المعنى والتعبير لدي الخطاب.
- العناصر اللغوية التي تزيد في نبراتها بكيفية خاصة (هزلية،ساخرة،بارودية، ...).
- العناصر اللغوية التي تبتعد أكثر عن مستواها الدلالي الأخير وتكسر بعنف أكبر نواياها .
- العناصر اللغوية المجردة تماما من نوايا الكاتب،وتظهر كأنها شيء لفظي أصيل ، وبها يستطيع أن ينفصل عن لغة عمله [2].

ثمة درجات إذن لانفصال صوت الراوي عن مصدره ،والحلم البارتي بالانفصال الصافي للصوت عن مصدره لا يتحقق دائما، ومن الأجدى بدلا عن التأكيد على هذا الانفصال عبر غسل مسرود الراوي من آثار المؤلف تقصِّي آليات تحوُّلات هذه الآثار إثر دخولها حقل الممارسة اللغوية للخطاب السردي وحواريتها مع بقية أصوات السرد،وهو ماتسعى السرديات لتأسيسه عبر التنقيب في هُويَّات الرواة المختلفة: الراوي العليم،المنحاز،المشارك،المحايد إلخ إلخ والمتداخلة أيضا: العليم المنحاز،العليم المحايد .. وهكذا،وعبر بحثها الشاق في الصيغة ،والتبئير، ووجهة النظر، والحوارية.

---

١ الخطاب الروائي،ميخائيل باختين،ترجمة د.محمد برادة،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،٢٠٠٩،ص ١٢٠ .

٢ الخطاب الروائي،ميخائيل باختين، ١٢١ .

والفضاء. وغيرها.هو مافعله جينيت بعده بنجاح كبير في "خطاب الحكاية" و"أشكال" وغيرها .

ومن ثم يمكن الحديث عن غياب للمؤلف عن نصه، لا عن إلغائه.ولذا عاد بارت في "من العمل إلى النص" ليبحث طبيعة هذا الغياب.فالأمر لا يتعلق بأن المؤلف "لا يستطيع أن يعود ثانية إلى داخل نصه"،ولكن بأنه "إذا عاد.فإنما يعود بوصفه ضيفا.إذا جاز القول.فإذا كان روائيا فإنه يسجل نفسه في الرواية كواحد من شخصياته.ويكون مرسوما على بساط الموضوع.وإذا كان هكذا فإن تسجيله يكف عن أن يكون مفضلا وأبويا.ولكنه يكون لعبا: أن يصبح إذا صح القول مؤلف ورقة paper-author. ولن تكون حياته هي الأصل لحكاياته.ولكنها ستكون حكاية منافسة لعمله.فثمة ارتكاس للعمل نحو الحياة (وليس العكس) ....فالأنا التي تكتب النص لن تكون مطلقا هي أيضا سوى أنا من ورق paper-I"[1].

وبذا تتحول أنا المؤلف السابقة للنص.لـ "أنا نصية" متخلِّقة من رحم الكتابة.ولكن هذه الأنا النصية لن تحضر بكثافة أنا المؤلف، وثقل صوتها القصدي المضفور بالنوايا المسبقة لأن هويتها هي هوية الكتابة نفسها.وهي ليست سابقة للكتابة.ولا تالية لها فهي ليست حاصل نتاج النص أي الصورة المتخيلة للمؤلف في ذهن القارئ والتي يرسمها له من شتى إشارات النص الظاهرة التي يماهيها بالواقع ليعزز تأويله الدلالي للنص.كما أنه ليس صيغة أيديولوجية ورقية تنوب عن المؤلف وتغطي غيابه .ولكنها الاستراتيجية النصية التي تشهد تحولات أنا المؤلف في مختبر اللغة التي تقوله وتخترقه وتحوله وتعيد إنتاجه وتفتح القارئ على الكتابة.والكتابة على القارئ . وبقدر ما نستطيع أن نحدد الراوي في السرد باعتباره الصوت الذي يمكن تحديد موقعه.ودرجة تبئيره.ونكشف هويته فإن المؤلف النصي منتشر ومتداخل في "كون نصي" تتعدد مجراته : مكونات نصه بما فيها

---

١ هسهسة اللغة.رولان بارت.ترجمة د.منذر العياشي.مركز الإنماء الحضاري.حلب، ١٩٩٩. مقال "من العمل إلى النص".ص ٩٢ .

النصوص الغائبة التي تخترقه ،سياقه الثقافي،وقارئه المحتمل الذي ينصب منصة تلقيه في مهب هذه التقاطعات.

يعزو بارت تفاقم صوت المؤلف في العصر الحديث إلى عدة تحولات كالتجريبية والعقلانية وحركة الإصلاح وكشفها عن مكانة الفرد،ويبرز أهم تمثلات حضوره في[1] :

- احتلاله لصدارة المشهد الأدبي : إذ يهيمن المؤلف على كتب تاريخ الأدب،وعلى تراجم الكتاب،وحوارات المجلات،وعلى وعي الأدباء أنفسهم؛ ويشير بارت في هذا إلى الحضور الساطع لثانوية النص في خطاب النقد المضموني بأشكاله المختلفة : التاريخي،الواقعي، الأيديولوجي،النفسي ،الانطباعي...إلخ إلخ الذي يركز دائما على الرسالة لا الخطاب، على "ماذا يقول النص ؟" لا "كيف يقول النص؟". حيث كانت ذات المؤلف المتضخمة تحضر بانتظام ،جارة وراءها المجتمع والواقع إلخ إلخ بينما تنزوي فتوحات نصوصه بعيدا،وفي أحسن الأحوال كان النص يفسر بإضاءة مباشرة أو غير مباشرة من المؤلف .
- تفسير العمل في ضوء منتجه : تركز الثقافة (المألوفة)،وبشكل جائر على شخصية المؤلف،وتاريخه،وأذواقه،وأهوائه،حيث لايزال قوام النقد وفي معظم الأحيان هو صوت المؤلف الذي أدلى "بمكنونه" عبر المجاز الشفاف للخيال. وهكذا فإن البحث عن تفسير العمل يستند دائما على من أنتجه .
- انغلاق النص،والنقد : فعندما ننسب النص إلى المؤلف فإن هذا يعني أننا نفرض عليه أن يتوقف،كما يعني أننا نفرض عليه سلطة مدلول نهائي وإغلاق للكتابة،وهذا الانغلاق يلائم ملاءمة جيدة النقد الذي يضطلع مهمة الكشف عن المؤلف وأقانيمه : المجتمع،التاريخ، النفس،الحرية،فإذا تم إيجاد المؤلف فإن النص يجد تفسيره،ويجد النقد انتصاره الزائف .

---

١ نقد وحقيقة: ص ١٦ ومابعدها .

- هضم حق القارئ في تعددية القراءة؛ فالمكان الذي يجب تجتمع فيه تعددية الكتابة وتعارضاتها ليس الكاتب، بل القارئ ذلك الذي تم إهماله في النقد الكلاسيكي،فالنسبة لهذا النقد لا يوجد إنسان في الأدب سوى ذلك الذي يكتب،ومع ذلك تتم إدانة الكتابة الجديدة باسم أنسنة صنعت من نفسها بخبث بطلة حقوق القارئ.

ويتآزر مفهوم بارت مع فوكو في بيان الطريقة التي يحد بها حضور المؤلف تدفق إنتاج المعنى، فبارت يرى أنه عندما ننسب النص إلى المؤلف فإننا بذلك نفرض على العمل سلطة مدلول نهائي، فينغلق إثر اعتباره مجازا شفافا يقبع وراءه صوت المؤلف الذي أدلى "بمكنونه".بينما يرى فوكو أن المؤلف هو من يحجّم التكاثر الخطر للدلالات في عالم يكون فيه المرء مزدهرا بخطاباته ودلالاتها،ولذا يسمي فوكو المؤلف "مبدأ الاقتصاد في تكاثر المعنى" كما يحدده كـ "شخص إيديولوجي يميز به المرء الطريقة التي نخشى بها تكاثر المعنى".فوجود المؤلف وتمليكه تلك الوظيفة هو ما يعوق "التداول الحر للخيال،والتلاعب الحر به، والتأليف الحر له،وتحلله، وإعادة صياغته"[1]،وبعزل الكاتب، وتغييب سطوة حضوره الطاغي على ذاكرة القراءة ينفسح فضاء خلوة القارئ الشرعية بالنص مثلما ينفسح للذاكرة النقدية المتحررة من الوصاية المقدسة عليها باسم نوايا المؤلف المسبقة لتتفرغ لتفحص آليات اشتغال النص دون وطأة معاودة ما هو خارجه: شبح المؤلف.

لم يكن بارت،بالطبع،أول من حاول أن "يزلزل إمبراطورية المؤلف" المترامية الأرجاء، فإزاحة المؤلف عن صدارة المشهد النقدي بدأ قبل ذلك بكثير،أي قبل أرسطو(٣٨٤ ق.م ـ٣٢٢ ق.م) الذي امتدح هومير،فيما يقول واين بوث "لأنه يتكلم بصوته بصفته شاعرا أقل

---

١ ما معنى مؤلف؟،ميشيل فوكو،مقال ضمن كتاب "القصة الرواية المؤلف،دراسات في نظرية الأنواع الأدبية،عدد من الكتاب،ترجمة وتقديم د.خيري دومة،دار شرقيات، القاهرة،١٩٩٧،ص ٢١٢ . ومقال فوكو هو في الأصل محاضرة ألقاها فوكو أمام الجمعية الفلسفية الفرنسية في ٢٢ فبراير ١٩٦٩أي بعد وقت قليل من نشر بارت لمقاله "موت المؤلف" ١٩٦٨.

من الشعراء الآخرين"[1]،ولذا كان من الطبيعي أن يتوقف بارت في مقاله عند بعض أبرز المجهودات السابقة في ذات السياق،فتوقف عند خمس محطات أساسية زلزلت إمبراطورية المؤلف قبله،وهذه المحطات هي في رأيه: مالارميه،بول فاليري،مارسيل بروست،السريالية، الألسنية،وربما كان من الضروري هنا التوقف هنا عند دور الألسنية في التأسيس لغياب المؤلف .

من العسير تصور الخطاب النقدي الحديث بعامة ،والبنيوية بخاصة، دون زلزال ألسنية دي سوسير (١٨٥٧ــ ١٩١٣): تفريقه الهام بين اللغة lange والكلام parole ،تأسيسه للدرس اللغوي باعتبار اللغة نظاما مكتفيا بذاته،ضرورة دراستها تزامنيا synchronic وليس تعاقبيا diachronic، وتحديده للدال signifier والمدلول signified وطبيعة العلاقة الاعتباطية بينهما،وكل ما أضحى من ركائز الخطاب النقدي واللغوي الحديث،ولكن بارت هنا يلخص إسهام الألسنية في أنها"قدمت أداة تحليلية نفيسة لتدمير المؤلف،فقد أوضحت أن التعبير في جملته إنما هو سيرورة فارغة void process،تعمل بشكل كامل دون أن تكون ثمة ضرورة لكي تملأ بشخص المخاطبين،فالمؤلف لسانيا لم يكن قط أكثر من ذلك الذي يكتب،كما أن الضمير"أنا"ليس شيئا آخر غير ذلك الذي يقول"أنا".فاللغة تعرف"الفاعل".وليس"الشخص"وهذا الفاعل يظل فارغا خارج التعبير الذي يحدده يكفي لكي تنهض اللغة،أي يكفي كما يعني هذا لكي تستوفى exhaust"[2] أي في تحويلها وجهة النظر من خارج اللغة إلى داخلها،فبما أن اللغة قد أضحت عالما مستقلا متكاملا،فإن البحث قد تحول من الأشخاص والذوات في الخارج إلى ضمائرها وذواتها،ولكن الكلام هنا يظل ناقصا،إذ يمكن لظاهر جملة بارت أن يشير إلى أن اللغة

---

١ بلاغة الفن القصصي،وين بوث،ترجمة أ.د. أحمد خليل عويدات،ود. علي بن أحمد الغامدي،مطابع جامعة الملك سعود،الرياض،١٩٩٤،ص ٤.

٢ نقد وحقيقة: ١٩.

تمضي في انفصال عما هو إنساني.ودي سوسير نفسه قد حذر بأن"ترك اللغة خارج السياق الاجتماعي يجعل منها شيئا مصطنعا"[١] فـ" الطبيعة الاجتماعية للغة هي إحدى المميزات الداخلية لها"[٢].ولذا فالسؤال: ماذا نفعل بكل ما يخترق اللغة من خارجها: التاريخ.الأجناس البشرية، اللهجات المحلية وتفرعاتها وباختصار: لكل ما ترك دي سوسير بحثه لعلم اللغة الخارجي أو التعاقبي: أي كل ما يجعل اللغة حقلا لتداخل الفردي والاجتماعي ؟ كيف ندرس اللغة داخليا دون أن ننفي عنها عنفوانها الاجتماعي؟

يقر دي سوسير بأهمية دراسة الظواهر الخارجية للغة إلا أنه يرى أن فهم النظام الداخلي للغة يتم بدونها، فالكلمة ــ حتى لو كانت مستعارة ــ بمجرد دخولها نظاما لغويا معينا لا توجد إلا ضمن علاقاتها وتقابلاتها مع الكلمات الأخرى المتصلة بها شأن كل إشارة حقيقة، ولذا فهي تدرس ضمن هذه العلاقة.والمثال الأثير لدي سوسير في ذلك هو نظام الشطرنج"فما هو خارجي في الشطرنج يمكن فصله بسهولة عما هو داخلي.فإذا استخدمنا أجزاء من الشطرنج مصنوعة من العاج بدلا من الخشب فإن التغيير لا أثر له في نظام الشطرنج.أما إذا قللنا من أجزاء الشطرنج أو أضفنا إليه فإن هذا التغيير له أثر كبير في اللعبة"[٣].

دون مقولات دي سوسير هذه ما كان يمكن للخطاب النقدي الحديث أن يخلو إلى النص بوصفه حقلا لغويا لإنتاج الدلالة، فإذا كان دي سوسير يعزز من أهمية الدراسة الخارجية للغة في التحليل اللغوي الداخلي دون أن يعطيها الكلمة الفصل [٤].فإن بارت يحفر بذات المجرى في"نظرية النص" فهو لاينفي نسبية الاستعانة بالعلوم الأخرى" التاريخ.علم الاجتماع.... واستثمارها بشكل جزئي في التحليل النصي.فالتحليل النصي "لن يرفض جذريا الإضاءات التي يقدمها التاريخ الأدبي.أو التاريخ العام.ولكن ما يرفضه هو

---

١ علم اللغة العام.فردينان دي سوسير: د ٩ .

٢ علم اللغة العام.فردينان دي سوسير : .د٩

٣ علم اللغة العام.فردينان دي سوسير : ٤١ .

٤ علم اللغة.فردينان دي سوسير : ٤٠

تلك الخرافة النقدية القائلة : إن الأثر الفني مقيد بحركة تطويرية خالصة كما لو أنه مجبر على أن يكون تابعا،متوافقا مع الحالة (المدنية،والتاريخية،والعاطفية) للمؤلف الذي هو أبوه .إن التحليل النصي ليفضل على هذا التشبيه بالنسب" بالتطور العضوي" تشبيها آخر بالشبكة وبالتضافر النصي وبالحقل المتعدد والكثيف المعالم"[1]. والنص لم يعد تفريغا نفسيا لذات المتكلم في كلام نسميه نصا كما يزعم النقد الكلاسيكي الذي ينظر للعلاقة بين الذات واللغة باعتبارها علاقة بين ذات وتعبير،فـــ" الالتفات إلى الخطاب الرمزي يقود،كما يبدو،إلى اعتقاد مخالف: فالذات ليست امتلاء فرديا،يحق لنا أو لا يحق أن نفرغها في اللغة،ولكنها على العكس من ذلك تشكل فراغا من حوله ينسج الكاتب كلاما التحويل فيه غير محدود "[2].إذ بمجرد أن يخطأ المؤلف كلماته،فإن كل ما لدينا هو هذه الكلمات وعلاقاتها دون ربطها الاعتسافي بما هو مسبق: شبح المؤلف،حيث"لا شيء خارج النص" حسب التعبير الدريدي الذائع والذي انبثق من تحليل دريدا لكتابة روسو الذاتية[3]، وهو التعبير الذي يمكن قراءته على أكثر من مستوى لضفره بمقولة بارت حول"موت المؤلف"ابتداء من دريدا نفسه. ولكنا سنكتفي هنا باختزالنا لقراءة التفكيكيين كريستوفر نورس،وديفيد وود له بما يكفي لفتحه على مقولة بارت،حيث تشير مقولة دريدا في نظرهما إلى :

- أنه"ليس بوسعنا بلوغ الواقع إلا بالمرور عبر المقولات والمفاهيم والشفرات،وعبر بنى التمثيلات".
- أن الكتابة هي الأداة غير الاختزالية والأكثر ملاءمة لتوفير شروط الفهم العقلي عبر التمثيلات والشفرات،وليس المعني بالكتابة تدوين علامات الألفباء الصوتية

---

١ النص والتناصية،عدد من المؤلفين،ترجمة د.محمد خير البقاعي،مركز الإنماء الحضاري،حلب،١٩٩٨،مقال "نظرية النص" رولان بارت. ص ٤٦ .

٢ نقد وحقيقة : ١٠٨.

٣ في علم الكتابة، جاك دريدا،ترجمة وتقديم أنور مغيث ومنى طلبة،المركز القومي للترجمة،القاهرة ،٢٠٠٨، ط٢،ص ٣٠٧ .

على الورق.بل كتابة معممة يستخدمها دريدا ليشير إلى كل أنظمة اللغة والثقافة والتمثيل التي تتجاوز حدود العقل المتمركز منطقيا وحدود ميتافيزيقا الحضور الغربي[١].

- أن النص يمتلك نعمة الاستباق الحدسي المتمثلة في القدرة على إبراز العلاقة الفعلية بين ما يقع داخله وما يقع خارجه .
- أن كل الكلمات والمفاهيم التي لدينا بخصوص ما يقع خارج النص هي في الواقع طرق التأويل أو طرق إنشاء معنى أو أصل يراد له أن يبقى خارج الكتابة.أصل تعتمد وظيفته النظرية على إبراز الكتابة كنقض لهذا الأصل نفسه،وهكذا تولد الكتابة حنينا لمعنى الطبيعي الذي يعتمد على الكتابة بوصفها انتهاكا له .
- أن الكتابة ينبغي أن تفهم هنا بمعناها الواسع.أي باعتبارها تلفظا للعلامات دون الرجوع إلى أي نوع من إحالة معطيات المعنى إلى ذلك الأصل الذي تتيحه فكرة الكلام .
- أن دريدا لاينكر وجود الوعي والذاتية والعالم الواقعي ..إلخ إلخ ولكنه يقترح أنه بقدر ما تكون هذه المفاهيم دالة فإنها تدخل عالم الكتابة والنصية .
- أن التشكيلات الخطابية والممارسات المؤسسية التي تتناسج معها هما بالتحديد الشيء المتضمن في النص العام[٢].

ينفتح مفهوم بارت حول "موت المؤلف" على أفقين أسس لهما بارت في مقاله،ولكنهما تطورا سريعا بعد ذلك ليحتلا مكانهما في الخطاب النقدي الراهن وهما : التناص،والتلقي.فإشارة بارت المبكرة هنا للتناص هي إحدى الشرارات التي أطلقته من عقاله . وكان قد سبقها شرارات أخرى أطلقها الشكلانيون الروس،وباختين،وذلك قبل

---

١ ما وراء التفكيك.جاك دريدا وآخرون.ترجمة واختيار محمد عبد الرحمن حسن.سلوم للنشر.د.ت.مقال "التفكيك.ما بعد الحداثة، والفنون البصرية" كريستوفر نورس. ص ١٣٩/١٤٠.

٢ ماوراء التفكيك.المصدر السابق.مقال "ما وراء التفكيك ؟".ديفيد وود.ص ٩٠ وما بعدها .

أن يتأسس المصطلح ويحتل مكانه في الخطاب النقدي الراهن كمفهوم جذري عند جوليا كريستيفا وجيرار جينيت وميشال ريفاتير ومارك إنجينو وآخرين. كما أن تركيزه على القارئ باعتباره المكان الذي تجتمع فيه تعددية الكتابة هو الذي أسس بعد ذلك ــ متزامنا مع كشوفات أخرى ــ لنظريات القراءة.واستجابة القارئ .والقارئ التفاعلي في عصر النص المتشعب hypertext المكتوب بصيغة بروتوكول نقل النصوص المتشعبة http التي هي أظهر تجليات الثورة الرقمية .

يؤسس بارت للتناص باعتباره مفهوما مركزيا في ترسيخ مفهوم موت المؤلف.ففي اللحظة التي يتحرر النص فيها من وصايتنا عليه باسم صوت المؤلف يفقد صوته الأحادي. ينفتح لتشظيات المعنى.ويتحرر من انغلاق النوايا ليغدو حقلا لتلاقي نصوص عديدة غائبة يتقاطع. أو يتوازى.أو يتعالق معها عبر علاقات مثل الامتصاص .والانتخاب. والتحول. والاستشهاد. والقلب .والإقصاء .

التناص هو ما يمكن أن يسمح للقارئ بالدخول ففي هذا الفضاء الواسع للكتابة. حيث لا يعود النص "سطرا من الكلمات ينتج عنه معنى أحادي.أو معنى لاهوتي.ولكنه فضاء لأبعاد متعددة.تتزاوج فيها كائنات مختلفة وتتنازع.دون أن يكون أي منها أصليا: فالنص نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤر الثقافة"[1] .

ما من أغراض هذه المقاربة أن تتقصى مفهوم "التناص"لكن من المهم الإشارة هنا إلى أن التناص ــ وإن كان مركزيا في فهم طبيعة ومدى انفساح النص ــ إلا أنه لا يمكن أن يصلح أبدا كقراءة للنص.يمكن له أن يدلنا ــ بشحوب بائن ــ على بعض مكونات النص.لكنه لايمكن أن يدلنا أبدا على "معناه" أو "أصله". فهو ليس بمثابة نواة "دلالية" ثانية وإن كانت متسعة تعوضنا عن نواة المؤلف .

وقد تنبه بارت في "درس السيميولوجيا" لهذا التعويل المبالغ فيه على التناص. فأطلق تحذيره : "إن التناص الذي يدخل فيه كل نص لا يمكن أبدا أن يعتبر أصلا للنص .إن البحث

---

١ نقد وحقيقة : ٢١ .

عن الأثر والمؤثرات التي خضع لها رضوخ لأسطورة السلالة والانحدار.أما الاقتباسات التي يتكون منها النص فهي مجهولة الاسم ولايمكن ردها لأصولها"[1].

هذه الجملة البالغة الدلالة لبارت يمكن أن تشير في قراءتنا لها إلى ثلاثة أمور :

- إن فكرة العثور على أصل النص بمجرد العثور على تناصاته مع النصوص الأخرى ليست صحيحة،لأن النص لا أصل له.إنه تكون نصوص عديدة،لكنه ليس أيا منها،وليس مجموعها .
- إن البحث عن أثر ومؤثرات النص ليست سوى عودة مستترة لوالد ضمني للنص،لأسطورة السلالة التي يجب أن ينحدر منها النص.وهكذا نستبدل أسطورة المؤلف /الوالد بأسطورة النص أو النصوص / الوالدة. وفي كلتا الحالتين فإننا نعود بالنص إلى ما هو خارجه بحثا عن أب متوهم.
- إن تناصات النص وإن كان يمكن القبض على بعضها ـ ولو توهما بالإشارة إلى أسمائها أو محاولة تقصي الاقتباسات المباشرة التي تأتي كممارسة عقلانية بالإحالة إلى مصدر خارج النص ـــ إلا أنها تظل دائما مجهولة بحيث يستحيل القبض عليها نقية معراة.وذلك بسبب آليات التحول المعقدة التي خاضتها هذه النصوص بتربة النص. وهي بدورها منغمرة في تناصاتها الخاصة التي تتسرب كلها لفضاء النص الحاضر بصورة حدسية ولاواعية كأسمدة خرافية تغذي شجرة التاريخ .

التناص هو ما يفتح النص صوب المحتمل،فينأى عن الانغلاق كـ" عمل أدبي"مكتف بذاته، أي مستنفد لآليات القراءة والتأويل.ولذا فرق بارت بين العمل والنص في مقاليه الهامين: "نظرية النص"،و"من العمل إلى النص" وهما العملان اللذين أسسا مع غيرهما لعلم النص .

---

١ درس السيميولوجيا،رولان بارت،ترجمة عبدالسلام بنعبدالعالي،دار توبقال،الدار البيضاء،ط٣، ١٩٩٣، ص ٦٢ .

بتحرر النص من وصاية المؤلف،واشتغاله عبر آليات التناص ينفسح المجال للنص لتأسيس كونه الخاص،وبالتالي لتأسيس علم للنص .وللسانياته التي وضع بارت لبناتها الأولى في"من العمل إلى النص"ورسخها في"نظرية النص" وفي مجمل خطابه النقدي .ولأننا الآن لسنا بصدد مقاربة النص نفسه،بقدر ما نحن بصدد إضاءة الدرب الذي سلكه بارت إليه عبر"موت المؤلف".فمن المهم هنا الإشارة إلى أهم هذه اللبنات[1]التي أرساها بارت مفرقا بين العمل والنص بإيجاز مكثف تحتمله طبيعة هذه الورقة:

- العمل مادة بينما النص تجل وبرهان : العمل جزء من مادة يحتل جزءا من كتاب أو مكتبة،ويحمل في اليد بينما النص حقل منهجي . العمل يظهر بينما النص يتجلى مبرهنا لوجوده متضمنا في الخطاب .
- النص ليس تفكيكا للعمل وبينما يستقر العمل في المكتبة،فإن النص يتجاوز،ويعبر. ويتحقق بالعمل والإنتاجية .
- عبور الجنس الأدبي: قد لايقف النص عند حدود الجنس الأدبي،بل يخترقها ويتجاوزها بينما يقبع العمل في حدود جنسه الأدبي أمينا لمواضعاته .
- النص يتحقق بالعلامة والعمل بالمدلول: يقارب النص ويتحقق بالعلامة sign بينما يتعلق العمل بالمدلول signified سواء أكان مباشرا أم مرمزا برداءة(الترميز برداءة يعني هنا أن تتوقف رمزيته لضيق مجاله) .يمارس النص تأجيلا لامحدودا للمدلول متحركا في حقل الدال الخصيب عبر آليات اللعب .ودال النص ليس دالا ثابتا يؤول أو يتدرج،إنما يتفكك ويتداخل ويتنوع في منطق غير مفهوم بحيث لا يمكن أن نحدد"ماذا يعني ؟".فهو كنائي metonymic تتحرر فيه طاقة الرمز .

---

١ هسهسة اللغة.من العمل إلى النص.ص ٨٧ وما بعدها. وقد حاولنا الالتزام بمفردات بارت نفسها إلا في حالة تفسير هذه الأسس أو التعليق عليها .وقد تعلمنا منذ الجرجاني أن أدنى تغيير في البنية هو تغيير في المعنى .

- الاشتغال على اللغة كنظام بلانهاية ولامركز: النص يشتغل كما اللغة التي هي نسق بلامركز،ولاسياج،ولذا يمكن القول إن النص قد أعيد إلى اللغة بإدراكه للطبيعة الرمزية وتلقيها كلية .
- تعددية النص: النص متعدد،ولايعني تعدد النص أن النص له عدة معان،ولكنه يعني أنه يحقق للمعنى المتعدد نفسه تعددية." والذي يمكن النص من الاشتغال هكذا خارج أي حدود دلالية أن "المدلولات التي ينتجها ليست سوى دوال لمدلولات جديدة .وهكذا عبر ميكانيزم لاينتهي"[1] .
- النص والمعنى: النص لا يقرن وجوده بالمعنى،فالمعنى يخترقه ويعبره، لذا فهو لا يرتبط بتفسير أيا ما كانت درجة ليبراليته،إنه انفجار explosion وانتشار dissemination وهو"مغمور من جميع الجهات بنوع من تقاطع معاني لا محدودة يقوم بتوزيعها بين اللغة والعالم"[2] . وقد سبق لجوليا كريستيفا أن عرفت التناص بأنه :" جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعا الحديث التواصلي – ونقصد المعلومات المباشرة .في علاقة مع ملفوظات مختلفة . سابقة أو متزامنة] "[3] . وهو التعريف الذي يتضمن فيما يرى مفيد نجم عددا من المفاهيم النظرية " أولها اعتبارها النص ممارسة دلالية،أي نظاما دلاليا مميزا خاضعا لتصنيف الدلالات،حيث تتوالد الدلالة من عملية تستثمر في الوقت نفسه،وبحركة واحدة جدل الفاعل(الكاتب)،وجدل الآخر (القارئ) والسياق الاجتماعي"[4].

---

١ الأدب عند رولان بارت،فانسان جوف: ١٢٠ .

٢ رولان بارت،حبة صوت عن "الأدب عند رولان بارت" ،فانسان جوف،ص ١٢١ .

٣ آفاق التناصية: المفهوم والمنظور، تأليف مجموعة من المؤلفين، ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص ١٩٩٨، ص ٣٧ .

٤ المرجعيات التناصية في شعر محمود درويش ، مفيد نجم ، موقع رابطة الكتاب السوريين ، http://syrianswa.org .

- مكونـــات الـــنص: الـــنص حقـــل لتقـــاطع لغـــات غـــابرة ومعاصرة،وأصداء،واستشهادات،وثقافات لاتحصى،وكل هذه المكونات نصف متعارف عليها فحتى إذا تعرفنا على أصولها التي انحدرت عنه،فإن تأليفها لا يتكرر،وهذا ما يجعل من النص اختلافا: إنه لا يستطيع أن يكون هو إلا في اختلافه.
- لا قواعد للنص: ما من مركز للنص،ما من نهاية،إنه انتشار وانبجاس،ولذا ما من قواعد له أوعلم يقوم على الاستنباط والاستدلال النصي .ولذا فإن الخطاب حول النص يجب أن يكون هو نفسه نصا،فنظرية النص لا تكتمل إلا بـ"ممارسة الكتابة" دون أن تكون خارج النص،ولذا فإن اللغة الواصفة للنص من الخارج هي موضع شك، وكما يقول بارت فإن الخطاب على النص لايجب أن يكون سوى نص"ذلك لأن النص حيّز اجتماعي لا يدع أي لغة بمعزل عنه،كما لا يدع أي موضوع من مواضيع التعبير في مقام الحاكم،والأستاذ،والمحلل،والمرشد،والمفكك (للرموز) decoder ، فنظرية النص لا تتلاقى إلا مع ممارسة كتابية"[1] .
- تناص النص ليس إلا تناصا لنصوص أخرى،وهي تغدو مجهولة،ولايمكن الاهتداء إليها،وتعددها يحدث تصحيحا عميقا لمسار القراءة،ويفتحها على انزياحات المعنى .
- العمل متورط في سيرورة النسب والنص متفلت خارج الوصاية : يندرج العمل في سياق نسب: الجنس الأدبي،التاريخ،سلسة الأعمال السابقة له،تمليك العمل لصاحبه،بينما ينخرط النص في بلاغة شبكة تتسع باستمرار دون وصاية من أب أو موروث .
- العمل مادة للاستهلاك والنص إنتاجية: العمل يستهلك ويستنفد بينما النص يصفي العمل من الاستهلاك ويحوله إلى إنتاجية وممارسة بتقليص المسافة بين

١هسهسة اللغة،رولان بارت،من العمل إلى النص،مصدر سابق،ص ٩٦ .

القـراءة والكتابـة إن لـم تكـن إلغاءها.فالقـارئ لا يـستهلك النص.ولكنـه يعيـد إنتاجـه.وإذا كـان هنـاك مـن أحـد يـتكلم فـي الـنص فإنـه القـارئ.وإذا كـان الـنص شبكة تتسع باستمرار بتعالقات النصوص الغائبة .فإن التلقي يقع في قلب شبكة أكثـر اتـساعا.فالقارئ يـستقبل كـل دال فـي الـنص ضـمن شـبكة واسـعة مـن المفـاهيم والسياقات.والاعتقادات.والتـصنيفات.والاختبارات. والتجـارب السابقة.وكل مـا يحيـل كـل دال لبـؤرة تفرعـات جديـدة للشبكة.تسلم بـدورها لتفرعات جديدة وهكذا .

- اللذة للعمل والمتعة للنص: للعمل لذة ولكنها لذة استهلاك.بمعنى أنك تستطيع قـراءة العمـل ولكنـك لا تـستطيع كتابتـه."إننـا لا نـستطيع أن نكتـب هكذا.وهـذا الابتعاد هـو مايؤسـس للحداثـة باعتبارهـا معرفـة لمـا لا نـستطيع أن نبدأه ثانيـة.أما النص فيتميز بالمتعة (أي اللذة الدائمة دون انقطاع) وهو ما أفاض بارت فيه في "لذة النص".

يـرتبط غيـاب المؤلـف إذن بتأسـيس الـنص المتحـرر مـن الوصـاية والقابـل لتكثـر الدلالة.ومن هنا فإن غياب المؤلف لا يمكن أن يعني ــ بالخفة التي يتلقف بها البعض هذه المقولة ـــ غياب الدلالة.وقد كـان بـارت نفسه حريـصا علـى عـدم انـزلاق الـنص إلـى تلـك الشـكلانية المقيتة التي كان خصما قاسيا لها.ليس في تحليله السيميائي فحسب.بل في مجمـل خطابـه النقـدي كمـا في موقفـه مـثلا مـن المدرسـة الموباسـانية فـي الكتابـة" التي حولـت الجملـة الطبيعيـة إلـى جملـة اصـطناعية هـدفها الـشهادة علـى غائيتهـا الأدبيـة البحت.أي الـشهادة على ما بذل فيهـا من جهـد"[1] حيث "لاتعـود وظيفـة الكاتـب أن يبـدع عملا بقدر ما أن ينتج أدبا يعلن عن ذاته [2].ليصدر بارت حكمه: " لا شيء أكثر استعراضية

---

١ الكتابة في درجة الصفر : ٨٩ .

٢ الكتابة في درجة الصفر: ٩١.

من تلك التوليفات النحوية كما لو أن أحد الصناع يركب آلة دقيقة"[1]. وفي تحليله لإحدى روايات جارودي "نرى أن كل ما قيل هنا وارد على سبيل الاستعارة،لأنه يجب إشعار القارئ بكل فجاجة أنها "كتابة متقنة" أي أن ما يستهلكه نوع من الأدب.لا تهدف هذه الاستعارات التي تستثمر اللغة إلى مداها،إلى نقل إحساس متفرد،لأنها ليست سوى ماركة أدبية تحدد موقع اللغة،مثلما تعلن التسعيرة عن ثمن السلعة"[2]. هذه الكتابة الحرفية المفرغة التي تسعى "لإقامة الشروط لأزمة تأريخية سوف تنفجر يوم لا تعود الغائية الجمالية كافية لتبرير المواضعة التي أوجدت هذه اللغة البالية"[3].

تلك هي فكرة بارت الجوهرية، والأفق التي تفتحه مقولة "موت المؤلف".فالمقولة لاتعني كما يقول الغذامي "ظاهر معناها اللغوي،وهي لاتعني إلغاء المؤلف وحذفه من ذاكرة الثقافة،إنها تهدف إلى تحرير النص من سلطة الطرف المتمثل بالأب المهيمن: المؤلف، إنها تفتح النص على القارئ بما أن القارئ هدف أولي للنص،وتزيح المؤلف مؤقتا إلى أن يمتلئ النص بقارئه،والقارئ بالنص،ثم يصار بعد ذلك إلى استدعاء المؤلف ليحضر حفل زفاف النص إلى قارئه ليبارك هذه العلاقة الجديدة،وينتظر الولادة الآتية فرحا لابنه .. لكي يتزوج الابن ويتمدد في أسرة جديدة من النصوص الموازية ...حيث ينام المؤلف /الأب سعيدا بمجد نصه وتاريخانيته المستديمة"[4].ولذا يؤكد الغذامي أن "موت المولف ليس فناءه ونهايته،بل هو - فحسب - ترفيع للنص عن شروط الظرفية وقيودها،ثم فتح المجال لنصوصية النص لكي يدخل النص إلى آفاق الإنسانية عابرا للزمان والمكان"[5]. ولذا يمكن القول إن هذا التركيز على اللغة، هو تركيز على الدلالي في حدود اندغامه القصوى باللغوي،بلغة أخرى: إنه ليس تنصلا من مسؤولية الكاتب تجاه العالم بقدر ما هو

---

١ الكتابة في درجة الصفر: ٩٠.

٢ الكتابة في درجة الصفر: ٩٢ .

٣ الكتابة في درجة الصفر: ٨٣ .

٤ نقد وحقيقة،المقدمة ١٠/١١.

٥ نقد وحقيقة،المقدمة : ١١ .

انخراط سري فيه عبر هذا التأكيد الشرس على حرية الفرد الخلاقة في تفكيك البنى الأيديولوجية والاجتماعية والجمالية القديمة المتلبسة باجترارات اللغة تمهيدا لحضرة الكتابة .ومن ثم فإن النضال لاستعادة اللغة من الرث والمستلف والجاهز والمبذول هو نضال لاستعادة الحلم،الحرية،كينونة الذات،الرؤيا في نسبيتها وانفتاحها بدلا عن انغلاقها الخانق وصممها،والاشتغال على الشكل هو اشتغال على المعنى في المقام الأول حيث الشكل "هو معرفة بأي آلية يمكن للنص أن يولد لونا خاصا جدا من المعنى"[١].فبالكلمات كما يقول بارت "تخلق الكتابة معنى لاتكون الكلمات في البداية تتوفر عليه".والأيدلوجيا لايمكن أن تغيب أبدا لأنها كامنة في الأشكال،وبتعبير فانسان جوف فإن الأيدلوجيا"ليس على مستوى المضامين فحسب.بل وبدرجة أكبر أيضا على المستوى الشكلي المحض،هي الطابع الخاص لتثبيت الخط التاريخي في العمل الأدبي".والحفر اللغوي فقط هو الذي يمكن أن يكشف عن هذه الأيديولوجيا الثاوية هناك عميقا بحيث لاتكاد ترى،وقد علّمنا فوكو (١٩٢٦ــــ ١٩٨٤)، مثلا،أن السلطة لا تتملكنا بطغيان المعنى،ولكن بالتباسات الشكل،فهي لاتتملكنا بأن تطلب منا مباشرة،وبكل شفافية أن ننحني إذعانا لها،إذ لو فعلت ذلك لجازفت بعصيانها،ولكنها تفعل ذلك عبر آليات خطابها المعقد،بحيث يكاد يمحي ثقل"معناها"الباهظ المباشر،أي أنها تكاد تتحول إلى شكل محض عبر الآليات والشارات التي تخترقنا دون وعي .إذ تغدو" بمثابة شبكة منتجة تمر عبر الجسم الاجتماعي كله أكثر مما هي هيئة سلبية وظيفتها هي ممارسة القمع"[٢]. وما من سبيل لكشف السلطة سوى تحليل خطابها،وكشف تشكلاتها للمعنى الذي يشتغل بغيابه،ويمكن لتحليل خطابات أخرى كالخطاب التعليمي،أو الرومانسي،أو خطاب"التهذيب" الاجتماعي مثلا أن يكشف تحليل بنيته عن معنى غائب يمارس عنفوانه بشراسة،إذ لا يمكن للبنية أن توجد بصورتها النقية،أي

---

١ الأدب عند رولان بارت،فانسان جوف،ص ٩٩ .

٢ نظام الخطاب،ميشيل فوكو،ترجمة محمد سبيلا،دار التنوير . د.ت . ص ٦٣/ ٦٤ .

كإصاتة خالصة.إنها ملتبسة بالدلالة في أكثر حالاتها شكلانية، وقد أشار إيريك دولوز إلى ندرة وجود البنيات بصورة نقية في مقولته: " إن البنيات في العادة لاشعورية لأنها أشبه ما تكون بحقيقة خفية .. بدليل إن البنية الاقتصادية مثلا قلما توجد في صورتها النقية الخالصة.بل توجد مغطاة بالعلاقات القانونية والسياسية والأيديولوجية التي تتجسد فيها"[1].

يمكن لهذا التحليل لالتباسات الشكلي مع الدلالات أن يمضي أبعد.ليكشف عما هو شكلاني بالمعنى القدحي للكلمة.إذ إن التمسك الشرس بالمضمون يكشف عن شكلانية متخفية بامتياز .يقول جرييه استنادا على ناتالي ساروت: "إن كلمة شكلية ـــ بمعناها السيء ـــ لا يجب أن ينطبق إلا على الروائيين المهتمين جدا بـ"المضمون".والذين يبتعدون إراديا عن كل بحث في الأسلوب حتى يفهم المضمون جيدا .. أي هؤلاء الذين يستخدمون شكلا ـــ أو قالبا ـــ نجح تماما فيما قبل ولكنه الآن قد فقد قوته وحياته. إنهم شكلانيون لأنهم وافقوا على شكل صنع من قبل.شكل أصيب بالتليف.وأصبح مجرد صنعة.إنهم شكلانيون يتعلقون بهيكل تآكل لحمه"[2].أي بقوالب مرت عليها آلاف الأقلام.حيث لا يحتاج الأمر ـــ في حالة الشاعر مثلا ـــ سوى بعض مهارة النظم لإلصاق المعاني الشائعة بالقوالب المحفوظة السابقة على التجربة.وهي معان تفقد ما تبقى لها من حضور عند صبها في هذه القوالب المهترئة.وهكذا يمضي في تلك المهارة الخادعة الخالية من الروح.حيث الكتابة استعادة دائمة للمحفوظ والجاهز.وحيث تلقي الجمهور المؤازر ـــ الذي أعيد إليه ما يعرفه تحت وهم الأدبية ـــ هو جائزته الفورية. هكذا"مثل جثة لا تفنى: إنها لعبة غريبة والتاريخ لا يكسرها على الإطلاق"[3].

---

١ مشكلة البنية.زكريا إبراهيم : ٢٤.

٢ نحو رواية جديدة.آلان روب جرييه.ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى.دار المعارف بمصر.د.ت. ص ٥١ .

٣ هسهسة اللغة.رولان بارت.ترجمة د. منذر عياشي .مركز الإنماء الحضاري.حلب. ط١. ١٩٩٠.ص ١٣٤.

هـذه الكتابـة التـي تـزعـم انتماءهـا للمـضمون هـي كتابـة شـكلانية بامتياز، بـالمعنى القـدحي للـشكلانية فهـي "تقطـع بأنـه لاوجـود إلا لـشكل واحـد هـو أفـضل الأشـكال لـ"التعبير" عن حقيقة تتصف بالعطالة باعتبارها موضوعا، ولاسلطة للكاتب عليها سـوى سلطة فنه الذي يلائم علاماته معها"[1]. ولذا يصف بارت الكتابة البرجوازية الفرنسية بأنها كتابة صنعة "لأن الشكل كان في خدمة المحتوى مثلما تكون المعادلة الجبرية في خدمة الفعـل الإجرائي، وهـي كتابـة زخـرف لأن هـذه الأداة كانـت تزينهـا عـوارض طارئـة علـى وظيفتها، مـستعارة دون حـرج من التقاليـد "الأدبيـة""[2]، وما يـسميه بـارت بـ"التقاليـد الأدبيـة" تمتد دائرته واسعة: مواضعات التاريخ الشكلاني للكتابة أو للكاتب نفسه، الانجراف وراء التقليـد الأدبـي الـسائد فـي عـصر بعينه، الـذوق الـسائد، تفـضيلات القـارئ العادي، رغبـات الجمهور، إلخ إلخ ... .

تكشف مثل هذه الكتابة التقليدية عن خطر "تجريد الذات من حريتها وفعاليتها" إذا استعرنا تعبيرا لعبد الكريم درويش في سياق مغاير، حيث تبدو الكتابـة وكأنها خاضعة للنسق الماضوي المستقر للغة بحيث تبث اللغة مقولاتها رغما عن الذات، وتكشف مثل هذه الكتابة ـ التي تستعير القوالب الشكلية السابقة على تجربتها وتعيد ملأها بلاهوادة كـل مـرة بمـضمونها الـواقعي ـ أيـضا عـن تـصدع آخـر، إذ أنهـا تفتـرض بلغتهـا المنظمـة العقلانيـة، المباشـرة، المحافظـة، الواضـحة، المنطقية أن العـالم نفـسه قـد تـم فهمـه وتفسيره وامتلاكه نهائيا بيقـين كامل لافسحة فيـه لقطرة شـك. وبذا تغلق هـذه اللغـة بـصمم أيدبولوجيتها الباب أمام حريـة السؤال. ولذا يتسـاءل بـارت : "مـا دلالة التنظيم العقلانـي للغـة الكلاسـيكية إن لـم تكـن دالـة علـى أن الطبيعـة صـلدة يمكـن

---

١ الكتابة في درجة الصفر: ٨٩ .

٢ الكتابة في درجة الصفر: ٧٥ .

امتلاكها.لاثغرة فيها.ولاظل لها.خاضعة بأكملها لسيطرة الكلام"[1].دون أن يجيب هذا العالم الكلاسيكي في صممه الأزلي عن مثل هذا النداء .

تقتات مثل هذه الكتابة على وهم إعادة إنتاج الشائع.بحيث تصبح القراءة كما وصفها سارتر في تحليله للأدب الكلاسيكي"بمثابة احتفال تقليدي للتعارف الشبيه بالتحية.أي بمثابة توكيد يحتفل فيه بأن كلا المؤلف والقارئ من عالم واحد.ولهما أفكار واحدة في كل الأشياء.وبذا يكون كل إنتاج فكري عملا من أعمال التأديب.ويصير الأسلوب ـ في نفس الوقت ـ أعظم مظهر لذلك التأديب من الكاتب حيال قرائه"[2]. لكن ما البديل عن مثل هذه الكتابة ؟

للمضي قدما في إيضاح البديل لمثل هذه الكتابة يجب بدءا تفحص طبيعة حوار النص مع ما هو خارجه: الواقع.العالم.الذات .. إلخ إلخ.تلك العلاقة الملتبسة التي تؤسس لطبيعة النص.وفي مستوى أعمق تؤسس لأدبية النص أو تنفيها.فكيف تتشكل هذه العلاقة ؟

يخوض النص مع الواقع ثلاث علاقات :

العلاقة الأولى:

يتمثل أبسط هذه العلاقات في استحضار هذا الخارجي بكل أنساقه لبياض الورق في تلك الواقعية الفقيرة التي تكتفي بإشارات الواقع الظاهرة وتعيد نسخها بلا توقف.بحيث يستحيل النص إلى صورة ورقية فقيرة بالمقارنة بغني الواقع تفرغ النص والواقع معا من غناهما الباطني .كاشفة عن عدم قدرتها على اختراق الواقع .وهتك دلالاته الباطنية الخفية. منزلقة حتى القاع للتاريخي والخبري.

ويمكن أن يمثل الأدب"الواقعي" بطبعاته الفقيرة: الواقعية الاجتماعية.الصورة المثالية لهذا الأدب.حيث تكون" وظيفة اللغة في الحاصل تحرير محضر اتهام.ولا توجد

---

١ الكتابة في درجة الصفر: ٦٥.

٢ ما الأدب.جان بول سارتر.ترجمة سهيل إدريس.دار العلم للملايين.ط ١. بيروت. ١٩٥٤. ص ١٥٣ .

مهلة بين التسمية وإصدار الحكم"[1] وحيث تصبح الكتابة هنا "وكأنها التوقيع الذي نمهر به أسفل تصريح جماعي لم ينشئه موقعه"[2]. إحدى إشكاليات هذا الأدب أنه لا يعيد فقط إنتاج الواقع ورقيا.ولكنه يختزل هذا الواقع ويفقره عبر اللغة والقوالب الشائعة التي يعيد استهلاكها. عبر إفقاره من الرؤيا.عبر تناول أكثر مستويات الواقع تسطحا: مستواه المباشر.وعبر الخلط المربك بين الأدبي /واللا أدبي.أي حضور المعنى العام حجرا يؤرق بحيرة النص مجردا من نعمة الذوبان في أدبية النص .

هذه الكتابة الواقعية لا يمكن أن تقنِع أبدا بتعبير بارت.وقد حكم عليها أن تصف فقط"ومرجع هذا تلك العقيدة الثنوية التي تقطع بأنه لا وجود إلا لشكل واحد هو أفضل الأشكال لـ"التعبير" عن حقيقة تتصف بالعطالة باعتبارها موضوعا.ولاسلطة للكاتب عليها سوى سلطة فنه.الذي يلائم علاماته معها"[3].

العلاقة الثانية :

وتتمثل في علاقات الامتصاص والتمثل والانتخاب للواقع التي يقيمها النص عبر اللغة. هذا المفهوم الذي يعبر عنه جمال عبد الملك "ابن خلدون بالقول بأن :" فعالية الإنتاج الأدبي تستند إلى تمثل الواقع والقدرة على اختيار عنصر الثبات في مشهد الواقع الجياش المضطرب. ونفس الأديب كالعدسة الحساسة التي تكثف صورة الواقع وتنتقي من مشاهده ما هو نموذجي.ثم هي تعيد تركيبه وصياغته من جديد وتضفي عليه ألوانها الذاتية وهذا بدوره يغير الواقع فهي عملية دينامية تبدأ من الموضوع لتؤثر في الذات.ثم تعود من الذات لتغير الموضوع"[4] . وهو المفهوم الذي يجد تعضيدا له من لوسيان غولدمان في تأسيسه للـ"البنيوية التكوينية".فالعمل الأدبي عند غولدمان هو"تعبير عن رؤية

---

١ الكتابة في درجة الصفر: ٣٢ .

٢ الكتابة في درجة الصفر : ٣٥ .

٣ الكتابة في درجة الصفر : ٨٩.

٤ ابن خلدون .أهمية المضمون في العمل الأدبي.مجلة القصة .الخرطوم. العدد الحادي عشر: ٤٠ /٤١) .

للعـــالم،وعن طريقـــة للنظـــر والإحـــساس بعـــالم ملمـــوس مـــشتمل علـــى كائنـــات وأشياء.والكاتب إنسان يعثر على شكل ملائم ليخلق ويعبر عن هذا العالم"[1] .

النص في هذه الحالة هو الواقع مقطرا،مصفى،ومنتخبا عبر الكاتب،الإشكالية في تلك الحالة تكمن في مراوغة الواقع المعقدة للكاتب،وتفلت هذا الواقع من بين أنامله، وسقوطه ـ أي الكاتب ـــ في أحبولة التقاط ما هو غير جوهري في هذا الواقع،أو انزلاقه لشرك فكرته الجاهزة سلفا عن هذا الواقع.وفي هذه الحالة بدلا من أن يرتفع النص إلى مصاف الرؤيوي والكلي والكوني، فإنه قد يكتفي .بنظرته الجزئية كأنما يرى العالم من نافذة .

العلاقة الثالثة :

تتمثل في طموح النص الجامح لتشييد عالمه الموازي للعالم الخارجي عبر بناء لغوي يحتفي فيه بإقامة عوالمه الثرية متعددة الطبقات،النص في هذه الحالة ليست تعبيرا عن العالم. أو محاكاة له،إنه عالم آخر مشاد من صلصال اللغة .

وفي ذلك البناء الجليل المشاد باللغة سوف تنضغط معالم العالم الواقعي بعلاقاته المتوقعة بحيث لاتعود حجرا يؤرق بحيرة النص،حينها يتشكل عالم آخر هو عالم النص، وفي جزء صغير من هذا العالم النصي الغني يمكن أن نرى ماهو جوهري،ومستتر،وباطني في عالمنا الواقعي ونمنحه شكله الغائب. بينما تنفسح بقية أجزاء هذا العالم النصي لتأويلات القراءة باحتمالاتها اللامحدودة تقريبا، وتنفتح لتشظيات المعنى،لخلخلة المتعارف عليه،ولإكمال نقص العالم بشراسة المخيلة.

واللغة هنا"لاتتحدث عن". إنما"تخلق عالما".إنها"لاتقول"ولكنها"تكون".ذلك هو المحور الذي تجد الكتابة الحقيقية نفسها في عالمه. فاللغة في هذه الحالة تغادر أنساقها المعدة سلفا لتغامر بنسف النسق في تشظ دلالي لانهائي،وتنفتح لتفجرات

---

1 لوسيان غولدمان واخرون،البنيوية التكوينية والنقد الأدبي،ترجمة محمد برادة وآخرين: 17) .

الباطن المستتر بحرائقه الغامضة،وتنشغل قوانينها الخفية لتشعل يباس الروح بالحرائق .

المعنى هنا ليس منبثقا عن الشكل،ولكنه الشكل نفسه،إنه معنى الشكل. والقيمة الاجتماعية لا تنبثق من الشكل فقط،بل تكمن في تدليل هذا الشكل على قيمة الحرية الفردية إذ"ربما ليس ثمة وظيفة اجتماعية بالنسبة للفنان أعلى من أن يدلل على حيوية الفعل الفردي الخلاق"[1]. فالنص إذ ينخرط في نسف النظام المستقر والمتداول للغة التي تعيد بث مقولاتها بدقة ماكينة تطريز ينغمر في اكتشافات أكوانه الجديدة عبر اختراقات اللغة،وانفجاراتها .

وبينما يشتغل الكلاسيكي والواقعي على النسق اللغوي الجاهز ليعيد كتابة ما تمت كتابته آلاف المرات، ينبثق كشف رفيقه في أن نسفه للقوالب المعدة سلفا كوصية يقوده إلى نبع"لغة مكتفية بذاتها لاتغترف إلا من الميثولوجيا الفردية والسرية للكاتب"[2] حيث ينبثق أسلوبه كأنما من جسده،ينبثق من"أعماق الكاتب الأسطورية،وينفسح خارج مسؤوليته،إنه الصوت الزخرفي لجسد مجهول وسري،وهو يشتغل مثلما تشتغل الضرورة"[3] ،وهكذا يمضي غاسلا لغته من آثار اقدام الماضين، مقتربا من حلم بارت في إبداع كتابة بيضاء متحررة من كل تبعية لنظام محدد من أنظمة اللغة،ومن القشرة دائمة التوليد للمسكوكات والعادات،من الماضي الشكلاني للكاتب،كتابة غير مصوغة من قبل،حيث تنهدم الخصائص الاجتماعية للغة حيث" يحتفظ الفكر بكامل مسؤوليته،ولايستمدها من التزامه الإضافي بالشكل ضمن تاريخ لاصلة له به"[4]. لغة تسعى دون كلل لانتهاك علاقاتها الدلالية المألوفة،وكشط غبارها التاريخي المتراكم،وأعرافها المتواطأ عليها،قبل منحها بريئة للكتابة .

---

١ الفن الحديث محاولة للفهم،نعيم عطية،دار المعارف مصر،ص ١٠٧.

٢ الكتابة في درجة الصفر،رولان بارت،ترجمة محمد نعيم خشفة،الأعمال الكاملة ٦، مركز الإنماء الحضاري ،ط١، ٢٠٠٢،ص ١٧.

٣ الكتابة في درجة الصفر : ١٨/١٧.

٤ الكتابة في درجة الصفر : ١٠٢/١٠١.

البـراءة هنـا سـمة أساسـية للكتابـة ليكتمـل خروجهـا مـن شـرنقة الأسـاليب السـابقة،ولذا سيكتب بـارت: " مهما بلـغ الأسـلوب من الرهافـة يبقى فيه دوما شـيء من الفجاجـة.إنه شـكل لا وجهة له .إنـه نتاج عنفوان وليس نتاج مقصد"[١]حيث الفجاجـة في الأسـلوب متلازمـة نـسف النـسق.والمثال الـذي يـسوقه بـارت لمثـل هـذه الكتابـة هـو نـص"الغريـب"للبير كامو،حيث أنجـز كامو"أسـلوب غياب،وهو غيـاب مثالي للأسـلوب تقريبا،لقـد اختـصرت الكتابـة حينئـذ إلى نـوع مـن الـصيغة الـسالبة تنهـدم فيـه الخـصائص الاجتماعية أو الأسطورية للغة لفائدة حالة محايدة وحالة عطالة للشكل،وبذلك يحتفظ الفكـر بكامل مسئوليته،ولا يستمدها من التزامه الأضافي بالشـكل ضمن تاريخ لا صلة لـه بـه"[٢].واللغـة هنـا ليـست قيمـة مـضافة إلـى محتـوى جاهز،ولكنهـا كمـا هـي الحـال عنـد بروست"صفة مميزة للرؤية،واكتشـاف العالم الخاص الذي يراه كل منا،ولايراه الآخـرون" العالم الذي تكتشفه اللغة في براءة تخلق الكتابة،وتحتفظ لنفسها بحق استقلاليته .

لكن،ختاما، تتبقى إشـارة: إن مجـرد حـضور النـص بـدلا عـن مؤلفـه لايجعـل إشـكالية الأدبيـة تنتهـي بداهـة، إنمـا تبـدأ، إنهـا ليـست حلا،بـل سـؤالا،ليس فقـط لأن فـضاء الـنص الشـاسـع والمتمدد بلانهاية لايمكن اسـتكشـافه، بـل لأن اللغـة نفسـها تظل دائما حافلة بتصدعاتها،وشقوقها،وتجاويفها، وانفجاراتها،وبالتالي فإن ما يتفلت كل مرة من لبنات العالم الذي تطمح لبنائه يظل أكثر مما يبقى، دون أن يكتمل الـنص أبدا .تاركا للخطـاب المنذور للأدبية ــ والذي حان الوقت لنكف عن تسميته ببساطة نقدا ــ أن يتشرد أبدا في متاهة اللغة بمقارباته المختلفة في دراسات النص من البنيوية ومابعدها، ونظريات التلقي ،وعلـم الـنص، ودراسـات الـنص المـوازي para text.والهرمونيطيقا،والنقـد الثقـافي، والميتانقد metacriticism ،وكل ما قدر لهذا الخطاب أن يجوب به مجرات النصوص التي تتناسل وتتوالد دون أن تكف عن تمديد كونها،وتشكيل خرائط التباساتها أبدا .

* * *

---

١ الكتابة في درجة الصفر: ١٧.

٢ الكتابة في درجة الصفر: ١٠١/١٠٢.

نتائج البحث :

من النتائج التي توصل إليها البحث :

١. انتبه النقد العربي منذ بواكيره الأولى إلى سؤال " الأدبية " أي ما يصير به النص أدبا عبر تأسيسه لمسألة المعنى الشعري المنبثق عن الصياغة . والمنزاح بتخلق لغته عن المعنى العام والشائع،ودعا لتأسيس علم خاص بذلك كانت البلاغة إحدي تجلياته .

٢. أدت الصياغة البارتية المجازية لمفهوم "موت المؤلف" إلى إشكالات تتعلق بالتعامل حرفيا معها باعتبارها الباب المفضي لتقلص الدلالة واختناقها . وموتها . وقد حاولت الورقة فتح المفهوم استنادا إلى المقولات المركزية لبارت في النصية والتناص .

٣. إن الاهتمام بشكل النص لا يمكن أن يؤدي إلى إقصاء المعنى . فالدلالة لايمكن أن تنفصم عن آليات إنتاجها . وهو ليس تنصلا من مسؤولية الكاتب تجاه العالم بقدر ما هو انخراط سري فيه عبر هذا التاكيد الشرس على حرية الفرد الخلاقة في تفكيك النبنى الأيدولوجية والاجتماعية والجمالية القديمة . واستنقاذ اللغة من الرث والجاهز والمستهلك.

٤. هناك درجات مختلفة لتحقق المؤلف في نصه . ومن الأجدى بدلا عن هذا الإصرار لنفي صوت المؤلف من نصه تقصي آليات تحولات هذا الصوت إثر دخوله حقل الممارسة اللغوية للخطاب الأدبي .

٥. انفتاح بارت على ألسنية دي سوسير . والتناص . والقارئ . وآليات النص الداخلية هي ما أسس تضافرا مع جهود أخرى لعلم النص .

٦. يخوض النص ثلاث علاقات مع ما هو خارجه : تتمثل الأولى في استحضار هذا الخارجي بكل أنساقه لبياض الورق بحيث يستحيل النص إلى صورة ورقية فقيرة للواقع . بينما تتمثل الثانية في علاقة الامتصاص والتمثل والانتخاب للواقع

التي يقيمها النص عبر اللغة . والثالثة تتمثل في طموح النص الجامح لتشييد عالمه الموازي لعالم الخارج .

* * *

مراجع البحث :

١. الحيوان . الجاحظ . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون . الطبعة الثانية .مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . القاهرة . د ١٩٦٦.

٢. علم اللغة العام . فردينان دي سوسور . ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز . دار آفاق عربية . بغداد. د ١٩٨٥.

٣. الصناعتين . أبو هلال العسكري . تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى . عيسى البابي الحلبي . د ١٩٥٢.

٤. البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس الى دريدا . تحرير جون ستروك . ترجمة د.محمد عصفور . سلسلة عالم المعرفة.العدد ٢٠٦ .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ١٩٩٦.

٥. الأدب عند رولان بارت . فانسان جوف . ترجمة عبدالرحمن بوعلي . الطبعة الأولى.٢٠٠٤ . دار الحوار للطباعة والنشر .اللاذقية سوريا .

٦. الكتابة في درجة الصفر . رولان بارت. ترجمة محمد نعيم خشفة . الأعمال الكاملة ٦. مركز الإنماء الحضاري.حلب . ٢٠٠٢.

٧. نقد وحقيقة . رولان بارت . ترجمة د.منذر العياشي . مركز الإنماء الحضاري . حلب . ١٩٩٤.

٨. الخطاب الروائي . ميخائيل باختين . ترجمة د.محمد برادة . رؤية للنشر والتوزيع . القاهرة . ٢٠٠٩.

٩. هسهسة اللغة . رولان بارت . ترجمة د.منذر العياشي . مركز الإنماء الحضاري . حلب . ١٩٩٩ .

١٠. Encycolopedia of literature and criticism, edited by Martin Coyle &others , Routledge London ١٩٩٣

١١. النص والتناصية . عدد من المؤلفين . ترجمة د.محمد خير البقاعي . مركز الإنماء الحضاري . حلب . ١٩٩٨.

١٢. نظام الخطاب . ميشيل فوكو . ترجمة محمد سبيلا .دار التنوير . المغرب. د.دار نشر .

١٣. نحو رواية جديدة . ألان روب جرييه . ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى . دار المعارف بمصر . د.ت : ط١ .

VOLUME 26
NOVEMBR - 2012

JOURNAL OF
ARABIC STUDIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATIO
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY



www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

ادة البحث العلمي
Deanship of Academic Res